

أبو هريرة

بقلم الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدّين الموسويّ

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه دراسة لحياة صحابي روى عن رسول الله ﷺ فأكثر حتى أفرط وروت عنه صحاح الجمهور وسائر مسانيدهم فأكثرت حتى أفرطت أيضاً، ولا يسعنا ازاء هذه الكثرة المزدوجة إلا أن نبحت عن مصدرها لاتصالها بحياتنا الدينية والعقلية اتصالاً مباشراً ولولا ذلك لتجاوزناها وتجاوزنا مصدرها الى ما يغنينا عن تجشم النظر فيها وفيه. ولكن اسلات هذه الكثرة قد استفاضت في فروع الدين واصوله فاحتج بها فقهاء الجمهور ومتكلموهم في كثير من أحكام الله عزوجل وشرائعه ملقين اليها سلاح النظر والتفكير.

ولا عجب منهم في ذلك بعد بنائهم على اصالة العدالة في الصحابة أجمعين. وحيث لادليل على هذا الاصل (كما هو مبين في محله بايضاح) لم يكن لنا بد من البحث عن هذا المكثر نفسه وعن حديثه كما وكيفاً لتكون على بصيرة فيما يتعلق من حديثه بأحكام الله فروعاً واصولاً وهذا ما اضطرنا الى هذه الدراسة الممعنة في حياة هذا الصحابي (وهو أبو هريرة) وفي نواحي حديثه وقد بالغت في الفحص وأغرقت في التنقيب حتى أسفر وجه الحق في كتابي هذا وظهر فيه صبح اليقين والحمد لله رب العالمين. وأما أبو هريرة نفسه فنحيلك الآن في تاريخ حياته وتحليل نفسيته على ما ستقف عليه في الكتاب؛ إذ مثلناه بكنهه وحقيقته من جميع نواحيه تمثيلاً تاماً تدركه بحواسك كلها والحمد لله على التوفيق.

وأما حديثه فقد أمعنا النظر فيه كما وكيفاً فلم يسعنا - شهد الله - إلا

الانكار عليه في كل منهما، وقد سبقنا الى ذلك معاصروه كما ستقف عليه في محله (١) ان شاء الله مفصلاً.

وأى ذى روية متجرد متحرر يطمئن الى هذه الكثرة لا يعدلها المجموع من كل ما حدث به الخلفاء الاربعة وأمهات المؤمنين التسع والهاشميون والهاشميات كافة كما فصلناه في الأصل (٢).

وكيف تسنى لأمى (تأخر اسلامه فقلت صحبته) أن يعى عن رسول الله ﷺ ما لم يعه السابقون الأولون من الخاصة وأولى القربى. ونحن حين نحكم الذوق الفنى والمقياس العلمى نجدهما لا يقران كثيراً مما رواه هذا المفرط في اكتاره وعجائبه.

فان للسنة في حكمتها وأساليبها وخصائصها ميزاب يعرفها أولوا الأبواب والأذواق الفنية وأهل الاختصاص من علماء البلاغة.

فما يسمعه أو يقرؤه منها يجدوه متميزاً في أذواقهم ومقاييسهم بوضوح واعلان ويجدوا سماته وشاراته متميزة في غير شك ولا شبهة.

فالسنة أرفع من أن تحتضن اعشاباً شائكة وحز بها أبو هريرة ضمائر الأذواق الفنية: وأدمى بها تفكير المقاييس العلمية قبل أن يشوه بها السنة المترهة ويسعى الى النبي وأمته ﷺ.

وبالجملة: قال السنة منهاج الاسلام، ودستور الحياة اللاحب في كل ما يجب أن تصاغ الحياة على مثاله في الاخلاق والعقائد والاجتماع والعلم والآداب، فلا يصح في منطق أن نسكت عن هذا الدخل الشائن لجوهر الإسلام وروحه الرفيعة المنادية بالتححرر والانعقاد من كبول العقائد السخيفة والخرافات التي يسبق الى الذهن استنكارها.

(١) في الفصل ١٤.

(٢) راجع منه الفصل ١٠.

واذن فالواجب تطهير الصحاح والمسانيد من كل ما لا يحتمله العقل من حديث هذا المكثار.

أقول هذا وأنا أرى وجوها تنقبض دوبي، ونفوساً تنقبض مزورة عني. وقد يكون لها بسبب الوراثة والتربية والبيئة أن تنقبض وتنقبض أمام حقيقة وضعها البحث على غير ما الفت من احترام الصحابة واعتقاد عدالتهم أجمعين اكتعين أبصعين من غير أن تزن أعمالهم وأقوالهم بالموازن التي اخذ النبي ﷺ بها أمته، لأن الصحبة عندهم بمجردها حرم لاتنال من اعتصم به معرة ولا يمس بجرح وان فعل ما فعل وهذا شطط على المنطق؛ وتمرد على الادلة وبعد عن الصواب.

والحق أن الصحبة بما هي فضيلة جليلة، لكنها غير عاصمة، والصحابة فيهم العدول وفيهم الاولياء والأصفياء والصديقون وهم علماءؤهم وعظماؤهم وفيهم مجهول الحال، وفيهم المنافقون من أهل الجرائم والعظائم؛ والكتاب الحكيم يعلن ذلك بصراحة (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم) فعدولهم حجة ومجهول الحال تتبين أمره وأهل الجرائم لا وزن لهم ولا لحديثهم.

هذا رأينا في جملة الحديث من الصحابة وغيرهم والكتاب والسنة بينتنا على هذا الرأي (١) فالوضاعون لا نعفيهم من الجرح وان اطلق عليهم لفظ الصحابة، لأن في اعفائهم خيانة لله عز وجل ولرسوله ولعباده، ونحن في غنى

(١) لكن الجمهور بالغوا في تقديس كل من يسمونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال فاحتجوا بالغث منهم والسمن واقندوا بالطلاق وأمثالهم ممن سمع النبي أو رآه اقتداء أعمى وانكروا على من يخالفهم في هذا الغلو وخرجوا في الانكار عن كل حد من الحدود كما بيناه على سبيل التفصيل في: ص ١١ إلى منتهى: ص ١٥ من أحوبة موسى جار الله وفي الفصل الذي عقدناه في: ص ٢٣ منها فراجع

بالعلماء. والعظماء والصدّيقين والصالحين، من أصحابه ﷺ ومن عترته التي أنزلها منزلة الكتاب وجعلها قدوة لأولى الألباب.

وعلى هذا فقد اتفقنا في النتيجة وان قضى الالتواء في المقدمات شيئاً من الخلاف، فإن الجمهور إنما يعفون أبا هريرة، وسمرة بن جندب، والمغيرة، ومعاوية؛ وابن العاص، ومروان، وأمثالهم تقديساً لرسول الله ﷺ لكونهم في زمرة من صحبه ﷺ ونحن إنما ننتقدهم تقديساً لرسول الله ﷺ ولستنه ﷺ شأن الأحرار في عقولهم ممن فهم الحقيقة من التقديس والتعظيم.

وبديهي - بعد - أن تكذيب كل من يروي عن رسول الله ﷺ شيئاً خارجاً عن طاقة التصديق أولى بتعظيم النبي وتزيهه وأجرى مع المنطق العلمي الذي يريده ﷺ لرواد الشريعة ورواد العلم من أمته. وقد أندر ﷺ بكثرة الكذابة عليه وتوعدهم بتبوء مقاعدهم من النار فاطلق القول بالوعيد.

وإن انشر هذه الدراسة في كتابي هذا - أبو هريرة - مخلصاً للحق في تمحيص السنة وتزيهها في ذاتها المقدسة وفي نسبتها لقدسى النبي الحكيم العظيم (وما ينطق عن الهوى). وللحق في سلامة التفكير وصدق النظر.

وللحق في قواعد العلم والعقل التي تأبى احترام كذاب على رسول الله ﷺ فتعفيه من الجرح لأنه صحب رسول الله!! وتأبى كل الإباء ان نخضع لروايته (مغلولين مفلولين) فيما يمس السنة النبوية وهي أولى بالتزينة والتقدّيس لأنها رسالته الى العالمين وبقيته الباقية الى يوم الدين.

وليس لأحد أن يتقبض أو تنقبض نفسه بعد أن نقدم له كتابنا هذا وفيه صفايا ما عندنا من هذه الدارسة، ونحن نكرم الفكر نفسه ونرفعه عن ان يهون فيسف الى حياطة الخرافة واحاطتها بسور من قدس موهوم (له باب ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب).

ولا نريد لوجه أن يتقبض ولا لنفس أن تتقبض، بل نريد لمن تمر به هذه السحابة
المركومة من التقاليد أن يتحرر منها ثم يعن في الكتاب امعان أولى الأبواب (الذين
يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) .
لأنقصد بهذا الكتاب - شهد الله - أن نصدع هذه الوحدة المتواكبة المتراكمة في هذه
اللحظة المستيقظة، بل نقصد تعزيز هذه الوحدة واقامتها على حرية الرأي والمعتقد، لتكون
الوحدة على هذا الضوء للغاية وادل على القصد، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه
أنيب.

والكرامة العقلية أسمى الكرامات التي يسعى إليها أولوا الأبواب باغلى مالديهم من
أموال وأنفس ودماء، لأنها السلم إلى المجد والجسر إلى الاتحاد.
أما إذا شاء بعض اخواننا في الدين الإسلامي أن يصعر خده محمراً أو مصفراً فليصغ إلى
هذه الملاحظات المتواضعة، وليفتنا بعدها يجدا إن شاء الله تعالى أقرب إلى تأليف الكلمة
وتوحيد الصفوف بالرغم عن هذا الشوك الذي يقض المضجع؛ ويخز الفكر، ويدمي
الضمير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بين ايدينا الآن من هذه الملاحظات ألوان: بعضها يمس العقل في أفقه وطاقته، وبعضها
يمس العقيدة في صورتها ومعناها، وبعضها يمس الطبائع في نواميسها وفطرتها، وبعضها
متناقض متداحض؛ وبعضها خارج على قواعد العلم المشتقة من صلب الدين، وكثير منها
تزلف إلى بني أمية أو إلى الرأي العام في تلك الأيام؛ وبعضها خيال أو خبال، وهي بجملتها
خروج على أصول الصحة في كل معانيها.

فمن بلاياه أن ملك الموت كان قبل موسى يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه
موسى ففقاً عينه! وأرجعه على حافرتة إلى ربه أعور! فكان بعد هذه الحادثة يأتي الناس
خفياً!.

ومنها: تلك المسابقة الطريفة بين الحجر وموسى، أو بين موسى والحجر إذ وضع موسى ثيابه عليه ليغتسل في ناحية عن الناس ففر الحجر بثياب موسى ليستدرجه الى لحاقه عارياً! كي ينفي الشائعة عن فتق موسى بمروره على الملاء من بني اسرائيل مكشوفاً كما خلق يشند خلف الحجر يناديه بأعلى صوته ثوبى حجر ثوبى حجر حتى وقف الحجر إذ انتهت مهمته فطفق موسى يضربه بعصاه ضرباً أثر فيه ندوبا أي جروحا قال أبو هريرة: ان في الحجر ندباً ستة أو سبعاً.

وأطرف ما في هذه الاسطورة هذا التردد من أبي هريرة في ندوب الحجر فان ورعه في الحديث كان يفرض عليه أن لا يحدث عن شئ حتى يكون منه على مثل ضوء الشمس. ومنها: ذلك الجراد الذهبي المتراكم يتساقط على أيوب عليه السلام وهو يغتسل فجعل يحشى منه في ثوبه.

ومنها: ان مولودين تكلموا برشد وعقل وعلم بالعواقب الغيبية حيث لا مقتضى لخرق العادة ونواميس الطبيعة.

ومنها: ان بقرة وذئباً يتكلمان بلسان عربي مبين، يدل على عقل وحكمة وعلم بالغيب، حيث لا مقتضى للتحدى والاعجاز. في حديث حدث به في فضل الخليفتين. ومنها: مجئ الشيطان اليه في صورة رجل في ثلاث ليالي متوالية ليسرق لعياله وأطفاله الجوعى من طعام كان أبو هريرة موكولاً إليه حفظه في خرافة عجيبة.

ومنها: ان أمة من بني اسرائيل فقدت، وبعد البحث عنها تبين أنها الفأر بدليل أن الفأر اذا وضع لها البان الابل لم تشرب! واذا وضع لها البان الشاة شربت ومنها: حديثه إذ كان - فيما زعم - مع العلاء في أربعة آلاف فأتوا خليجاً من البحر ما خاضه أحد قبلهم! ولا يخوضه أحد بعدهم! فأخذ

العلاء بعنان فرسه فسار على وجه الماء وجه الماء! وسار الجيش ورائه (قال أبو هريرة) فوالله ما ابتل قدم ولا خف ولا حافر!

ومنها: حديثه عن مزودة المبارك اذ كان فيه تميرات طعم منها الجيش كله حتى شبع والنميرات على حالها فكانت معاشه مدة أيامه على عهد النبي ﷺ وابي بكر وعمر وعثمان، حتى كانت مأساة هذا المزود الكريم في طى مأساة عثمان، اذا انتهب مع ما انتهب في تلك المحنة.

ومنها: حديثه عن داود اذ خفف القرآن عليه فكان يقرؤه كله في وقت لا يسع قراءته كان - فيما زعم أبو هريرة - يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج، فهل هذا إلا كقول القائل: كان يضع الدنيا على سعتها في البيضة على ضيقها؟

* * *

ومنها: أحاديث تناول فيها الحق تبارك وتعالى فصوره في اشكال تعالى الله عز وجل عنها علواً كبيراً.

كحديثه في ان الله خلق آدم على صورته؛ طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً. وقد تطور فيه، فتارة رواه كما سمعت. وتارة بلفظ: إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته. ومرة بلفظ اذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فان الله خلق آدم على صورته، ومرة رواه بلفظ: خلق آدم على صورة الرحمان.

وهذا افتتاحان في خيال طريف في تصوير الله تعالى وآدم ضمنه أدباً بارعاً وتعاليم إن ننسبها الى الدين الاسلامي نجد فيها إغراباً يثير فينا الضحك والبكاء في آن واحد. وحديثه في أن الله تعالى يأتي هذه الأمة يوم القيامة في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا

فاذا أتانا عرفنا فيأتهم في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم! فيقولون أنت ربنا فيتبعونه، في قصة طويلة مظلمة باردة ذات خيال شرود أبد يعرض الله في اشكال يتنكر في بعضها! ويغدو على عباده! ويروح في ملابسات فيها النكتة وفيها الحوار وفيها المخادعة! وفيها الضحك من الله في غير عجب! على نحو لا يقتصر الاصطدام فيه بالعقائد الاسلامية والمستقلات العقلية فحسب. بل يصطدم الى ذلك باللياقات الملكية إذا ما شينا - والعياذ بالله - فكرة التحسيم حاشا لله وتعالى الله وتقدس أسماؤه.

وحديثه في أن جهنم لا تمتلئ حتى يضع الله رجله فيها! في خراقة فيها افتخار النار بالمتكبرين واستكانة الجنة بدخول سقطة الناس اليها.
وحديثه في أن ربه - تعالى الله ربنا - يتزل كل ليلة الى السماء الدنيا يقول من يدعوني فاستجب له.

الى غير ذلك من الأحاديث التي كانت مصدراً لمذهب التحسيم في الاسلام كما ظهر في عصر التعقيد الفكري، فظهر بسببها أنواع من البدع والأضاليل.

* * *

وله أحاديث عنى فيها بالانبياء عليهم السلام، فوصفهم بما تحب عصمتهم منه. وحسبك منها حديثه اذ وصف أهوال القيامة فصور الناس يفزعون الى آدم ثم إلى نوح ثم الى ابراهيم ثم الى موسى ثم الى عيسى عليهم السلام في لجلجة لم تعد عليهم بطائل لأن هؤلاء الأنبياء عليهم السلام حجت - على زعم أبي هريرة - شفاعتهم بما فرض لهم هذا الرجل من الذنوب التي غضب الله بها عليهم غضباً بكاراً فذاً ما غضب مثله قبله ولن يغضب مثله بعده وأخيراً كانت الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وي كأن أبا هريرة لم يجد سبيلا الى تفضيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا بالغض من سلفه أولى العزم عليهم السلام.

وحديثه المتضمن نسبة الشك الى خليل الله ابراهيم عليه السلام إذ قال: رب

أرني كيف تحي الموتى في كلام جعل رسول الله ﷺ أحق بالشك من ابراهيم وجعل يوسف أفضل من النبي بالصبر والاناة فيه لوط من التفتيد إذ قال: أو آوى الى ركن شديد.

وحديثه المشتمل على نقض سليمان حكم أبيه! في اسطورة مثلت متداعيتين على ولد قضى به داود للكبرى فقال سليمان: اتتوني بالسكين أشقه بينهما. فقالت الصغرى: لاتفعل هو ابنها فقضى به للصغرى والتناقض بين نبين في حكم خاص من احكام الله تعالى لايتفق ومباني العقائد الاسلامية الصحيحة واطرف مافي هذه الأسطورة حلف أبي هريرة انه لم يكن سمع في حياته بالسكين إلا يومئذ وانهم ما كانوا يقولون إلا المدية. وحديثه عن سليمان إذ قال: لأ طوفنّ الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله فقال له الملك: قل إن شاء الله فلم يقل فأطاف بهن! فلم تلد منهن إلا امرأة نصف انسان.

وحديثه في غملة قرصت موسى فامر بقرية النمل فاحرقت فاحسى الله اليه قرصتك غملة فاحرقت أمة من الامم تسبح لله تعالى.

وحديثه عن رسول الله ﷺ انه كان يؤذي ويسب ويلعن ويجلد على الغضب من لا يستحق ذلك فيكون ايذاؤه وجلده وسبّه ولعنه كفارة لذنوب من يتعرض منه لهذا الشر. ولو نسب هذا الى فرعون لأساء الى أخلاقه، على أن ناساً علنهم رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستحقون المغفرة فهل يلزمنا أبو هريرة بحبهم واحترامهم ورفعهم كما ترفع البررة الصالحون؟ وما هي المقاييس الصحيحة بعد هذا المقياس الهريري الطريق؟ وحديثه في عروض الشيطان لرسول الله ﷺ ليقطع عليه صلاته فدعته - أي خنقه - وهم ان يوثقه الى سارية لينظر الناس اليه مكتوفاً لكنه ﷺ

ذكر قول سليمان رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي. فخلى سبيله. وحديثه في نوم النبي ﷺ عن صلاة الصبح.

الى غير ذلك من احاديثه التي فتحت الباب للقول بعدم عصمة الانبياء وتعريضهم للخطأ والزلل في رأى معوج لا يستقيم عليه معنى النبوة في حقيقته وواقعه.

* * *

وهنالک لون آخر في حديثه يريك التناقض بأجلى مظهره فانظر الى حديثي أبي سلمة منه في العدوى إذ نفاها في الأول منهما. واثبتها في الثاني فناقشه أبو سلمة قائلاً له: يا أباهريرة ألم تحدث انه لا عدوى؟ فانكر حديثه الأول ورطن بالحبشية. وانظر إلى حديثه عن طواف سليمان - على زعمه - بنسائه تجده متعارضاً متناقضاً فتارة روى انهن مائة، وأخرى روى انهن تسعون. ومرة روى انهن سبعون وأخرى انهن ستون! وكل ذلك ثابت عنه في الصحاح.

وانظر إلى أحاديثه في هجرته تجدها صريحة بأنه انما هاجر مسكيناً حافياً طاوياً خادماً يخدم هذا وهذه بشبع بطنه فمن اين له الغلام الذي حدث عنه في الشام؟ إذ قال (على عهد معاوية): لما قدمت على النبي ﷺ ابق غلام لي في الطريق، فيينا أنا عند رسول الله أبايه إذ طلع الغلام فقال لي النبي: يا أباهريرة هذا غلامك؟ قلت: هو لوجه فاعتقته.

وأنظر الى احاديثه عن نفسه وهو في الصفة تجدها صريحة بانه انما كان من مساكينها المعدمين وقد استوطنها طليعة عمر النبي ﷺ فكانت مثواه ليلاً ونهاراً إذ لم يكن له في المدينة عشيرة ولا مترل سواها ولم يكن عليه إلا نمرة يدب القمل عليها كان يربطها في عنقه فتبلغ ساقيه فيجمعها بيده لئلا تبدو عورته. وكان يصرعه الجوع فيخر مغشياً عليه بين المنير والحجرة فمن اين له

الدار التي ادعاها او اخر حياته؟ في حديث حدث به في الشام عن نفسه وعن أمه اذ أسلمت بدعاء النبي صلى الله عليه قاله لها وله - فيما زعم - .

وانظر إلى احتجاجه على مستكرى حديثه تجده متعارضاً متساقطاً كما فصلناه في الأصل على انه في نفسه مما تنبو عنه الاسماع لسخافته وتفيه العقول لسقمه - كما بيناه ثمة - وقد جاء فيه: ان أبا هريرة بسط نمرته لرسول الله فطفق ﷺ يغرف العلم بيديه فيكيله في النمرة ثم يقول ضمه يا أبا هريرة فيضمه الى صدره فيعصم بذلك من النسيان ويكون به احفظ الصحابة واعلمهم بالسنة.

هذه حجته على مستكرى حديثه سخره الله بها حجة لخصومه عليه وبرهاناً قاطعاً على صحة ما نسبوه اليه وشوارد احاديثه التي كان يكيلها جزافاً ويحدث بها متنافرة متناكرة كثيرة الى الغاية لكن هذا القدر كاف لما اردناه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وحسبك في أبي هريرة انه كان يحدث بما لم يره ولم يسمعه ويدعي مع ذلك الرؤية والسماع كما ستسمعه في فصله الخاص به من الكتاب، واليك الآن نموذجاً من ذلك تقيس عليه ما سواه.

قال أبو هريرة فيما صح عنه بالاجماع: دخلت على رقية بنت رسول الله زوجة عثمان ويدها مشط فقالت: خرج رسول الله ﷺ من عندي آنفاً رجلت شعره الحديث.

ومن المعلوم اجماعاً وقولاً واحداً أن رقية انما ماتت سنة ثلاث بعد فتح بدر، وأبو هريرة انما أسلم سنة سبع بعد فتح خيبر فأين كان عن رقية ومشطها يا أولي الأبواب؟.

* * *

واليك نموذجاً من حديثه الخارج على قواعد العلم المشتقة من صلب الدين ألا وهو قوله: بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: ان وجدتم فلاناً وفلاناً

فاحرقوهما بالنار (قال) ثم قال لنا حين أردنا الخروج: اني أمرتكم أن تحرقوها وان النار لا يعذب بها إلا الله تعالى فان وجدتموهما فاقتلوهما أهـ.

وهذا من النسخ قبل حضور وقت العمل، وهو محال على الله تعالى ورسوله ﷺ .
ورب حديث له خارج على العقل كحديثه عن داود وقراءته القرآن بأجمعه في لحظة لا تسع اسراج الدابة كما سمعت.

وله أحاديث خيالية أوردنا منها ستة في ختام الأربعين من حديثه في الفصل ١١ لتكون نموذجاً لسائر ما كان من نوعها.

أما ما تزلف به الى بني أمية وأعوانهم أو الى الرأي العام في تلك الأيام فكثير أوردنا منه طائفة في الفصل ٥ والفصل ٧ والفصل ٩ وستجدها على أنواعها مختلفة، فأمن متحرراً متجرداً تجده جائعاً يريد أن يشبع من الحديث، ويريد أن يشبع خياله من الحياة كما يراها الرجل الجائع وهو - بعدئذ - يعترف انه موطئ الأقدام في عصر حقره وأجاعه، ثم قذفه الى عصر أشبعه من أجل صناعة الأحاديث، أفيحوز ان نجعله بعد كل هذا حجة؟ نلقى اليه بازمة عقولنا وعقائدنا من غير نظر نختاره لهذه العقول والعقائد؟

فان صح هذا عقلاً وشرعاً فليمض أبو هريرة ومن اليه في حرمهم الذي بنته السياسة ووضعت بين التقاليد والمواريث.

وان صح عماية التقاليد والمواريث منشأ لفرقة؛ أو مثاراً لخلاف فلتببق حتى يأذن الصبح، إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو هريرة

حدّث عن رسول الله ﷺ فأكثر، وروى عنه الصحاح الستة وسائر مسانيد الجمهور فأكثر. فلم يسعنا إزاء هذه الكثرة المزدوجة إلى أن نبحت عن مصدرها، لإتصالها بحياتنا الدينية والعقلية اتصالاً مباشراً. ولولا ذلك لتجاوزناها وتجاوزنا مصدرها إلى ما يغنينا عن تجشم النظر فيها وفيه.

لكن آسلات هذه الكثرة قد استفاضت في فروع الدين وأصوله فاحتج بها أهل المذاهب الأربعة ومتكلموهم من الأشاعرة وغيرهم كثير من أحكام الله وشرائعه عز وجل ملقين اليها سلاح النظر والتفكير لذلك لم يكن بد من البحث عن هذا المكثّر نفسه. وعن حديثه كما وكيفاً لنكون على بصيرة فيما يتعلق من حديثه بأحكام الله عز وجل.

١ - اسمه ونسبه (*)

كان أبو هريرة غامض الحسب، مغمور النسب، فاختلف الناس في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً. ولا يضبط في الجاهلية والإسلام^(١) وإنما يعرف بكنيته. وينسب الى دوس. وهي قبيلة يمانية تفرعت عن دوس ابن عدنان بن عبد الله بن زهران كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن النضر بن الأزد بن الغوث.

أما أبوه فقد قيل^(٢) ان اسمه عمير وانه ابن عامر بن عبد ذي الشرى

(*) بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد: فيقول أضعف المؤمنين عملاً، وأقواهم بعفو الله أملاً؛ عبد الحسين بن شرف الدين الموسوي العاملي: هذه تعليقة تضمن بيان مصادر الكتاب ولاندع شاردة عنه إلا ردّها إليه؛ فما أولى البحث والتدقيق بتتبعها، والله هو المرجو أن ينفع بها وبأصلها ويجعلها خالصين لوجهه الكريم إنه أرحم الراحمين.

(١) نص على هذا بعين لفظه أبو عمر بن عبد البر في ترجمة أبي هريرة من استيعابه ومن راجع ترجمته في معاجم التراجم كالاستيعاب والاصابة وأسد الغابة وطبقات ابن سعد وغيرها يجد غموض حسبه ونسبه محسوساً.

(٢) القائل بهذا محمد بن هشام بن السائب الكلبي فيما نقله عنه ابن سعد في ترجمة أبي هريرة من طبقاته وقواه أبو أحمد الدماطي فيما نقله عنه ابن حجر في ترجمة أبي هريرة من اصابتة.

ابن طريف بن غياث بن أبي صعب بن هنية بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس.

وأمة أميمة ابنة صفيح بن الحارث بن شابي بن أبي صعب بن هنية بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس (١).

وكنى أبا هريرة بكرة صغيرة كان مغرمًا بها (٢) ولعل من غرامه بما حدث عن رسول الله ﷺ ان امرأة دخلت النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض (٣) وردت عليه عائشة إذ بلغها حديثه ان شاء الله تعالى من هذا الكتاب -.

(١) هكذا ساق نسبها محمد بن سعد في ترجمة أبي هريرة؛ وهي في ص ٥٢ وما بعدها من القسم الثاني من الجزء الرابع من طبقاته.

(٢) روى ابن قتيبة الدينوري (في ترجمة أبي هريرة ص ٩٣ من كتابه المعارف) ان أبا هريرة كان يقول: وكنيت بأبي هريرة بكرة صغيرة كنت ألعب بها. وأخرج ابن سعد في ترجمة أبي هريرة من الطبقات بالاسناد اليه قال كنت أرمي غنما وكانت لي هرة صغيرة فكنت اذا كان الليل وضعتها في شجرة فاذا أصبحت أخذتها فلعبت بما فكنوني أبا هريرة وكل من ترجم ذكر هذا أو نحوه واستمر في الاسلام على غرامه بالهرة والعبث بما حتى رآه النبي ﷺ يحملها في كفه كما ذكره الفيروز آبادي في مادة الهرة من قاموسه المحيط.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ص ١٤٩ من الجزء الثاني من صحيحه. وأخرجه أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة ص ٢٦١ من الجزء الثاني من مسنده.

٢ - نشأته وإسلامه وصحبته

نشأ في مسقط رأسه (اليمن) وشب ثمة حتى أناف على الثلاثين ^(١) جاهلياً لا يستضيء بنور بصيرة ولا يقدر بزناد فهم، صعلوكاً قد أحمله الدهر ويتيمماً أزرى به الفقر. يخدم هذا وذاك وتى وتلك مؤجراً نفسه بطعام بطنه ^(٢) حافياً عارياً. راضياً بهذا الهوان، مطمئناً اليه كل الاطمئنان.

لكن لما أظهر الله أمر نبيه ﷺ في المدينة الطيبة بعد بدر وأحد والأحزاب وبعد اللتيا والتي. لم يكن لهذا البائس المسكين حينئذ مذهب عن باب رسول الله ﷺ فهاجر اليه بعد فتح خيبر فبايعه على الاسلام وكان سنة سبع للهجرة بانفاق أهل الاخبار. أما صحبته فقد صريح أبو هريرة - في حديث أخرجه البخاري ^(٣) - بأنها كانت ثلاث سنين.

(١) قال أبو هريرة من حديث تجده في ترجمته من الاصابة وغيرها قدمت ورسول الله بخير وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين.

(٢) كان أبو هريرة يحدث عن نفسه فيقول كما في ترجمته من الطبقات والاصابة وحلية الأولياء وغيرها :- كنت أجيئ لابن عفان وابنه غزوان بطعام بطني اسوق بهم اذا ركبوا وأخدمهم اذا نزلوا. وله كلام في هذا المعنى كثير سنورده في محله من الاصل.

(٣) في باب علامات النبوة في الإسلام ص ١٨٢ من الجزء الثاني من صحيحه. وهو موجود في ترجمة أبي هريرة من الاصابة والطبقات.

٣ - على عهد النبي ﷺ

لما أسلم أبو هريرة انضوى بإسلامه الى مساكين الصفة ^(١) وهم - كما قال أبو الفداء في تاريخه المختصر -: أناس فقراء لا منازل لهم ولا عشائر ينامون على عهد رسول الله ﷺ في المسجد ويظلمون فيه. وكانت صفة المسجد متواهم فنسبوا اليها. وكان اذا تعشى رسول الله ﷺ يدعو منهم طائفة يتعشون معه، ويفرق منهم طائفة على الصحابة ليعشوهم. قال: ومن مشاهيرهم أبو هريرة الى آخر كلامه ^(٢).

وكان أبو هريرة - كما نص عليه أبو نعيم الاصفهاني في حلية الأولياء ^(٣) اشهر من سكن الصفة واستوطنها طول عمر النبي ﷺ ولم ينتقل عنها. وكان عزيز من سكن الصفة من القاطنين ومن نزلها من الطارقين الى آخر كلامه.

وصف أبو هريرة نفسه فقال - كما في أول البيوع من صحيح البخاري -: وكنت امراً مسكيناً من مساكين الصفة، الحديث وهو طويل ^(٤).

قال - كما في باب نوم الرجال في المسجد من كتاب الصلاة من صحيح

(١) قال ابن الأثير في مادة صفف من النهاية: أهل الصفة هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منزل يسكنه وكانوا يأوون الى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه.

(٢) فراجع في آخر حياة النبي عند ذكر أصحابه.

(٣) ص ٣٧٦ من جزئها الاول حيث ترجم أبا هريرة.

(٤) فراجع في الصفحة الاولى من الجزء الثاني من الصحيح.

البخاري (١) - : رأيت سبعين من أصحاب الصفة (٢) ما منهم رجل عليه رداء وانما عليه أما ازار واما كساء بطوه في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين. ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته أهـ.

وفي صحيح البخاري من حديث طويل (٣) عن أبي هريرة قال فيه: وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وآله بشبع بطنه.

وفيه أيضاً من طريق ابن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة من حديث (٤) قال فيه: وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني.

وحدث عن نفسه في مقام آخر فقال (٥): كنت من أصحاب الصفة فظلللت صائماً فامسيت وأنا أشتكى بطني فانطلقت لأقضى حاجتي فجئت وقد أوكلت الطعام. وكان أغنياء قريش يبعثون بالطعام لأهل الصفة فقلت: إلى من أذهب؟ فقيل لي: إلى عمر بن الخطاب فاتيته وهو يسبح بعد الصلاة فانتظرتة فلما انصرف دنوت منه؛ فقلت: أقرئني وما أريد إلا الطعام، قال: فاقرأني

(١) ص ٦٠ من جزئه الاول.

(٢) السبعون من اصحاب الصفة قد استشهدوا بجمعهم يوم بئر معونة قبل إسلام أبي هريرة؛ وهذا الحديث نظير حديثه إذ قال: دخلت على رقية بنت رسول الله ﷺ وفي يدها مشط مع ان رقية قد ماتت قبل مجئ أبي هريرة الى المدينة بزمان وكم له من نظير هذا ستسمعه في محله من الاصل.

(٣) تجده في باب حفظ العلم من كتاب العلم ص ٢٤ من جزئه الاول وأخرجه ايضا غير واحد من حفظ الاثار كأبي نعيم في حليته.

(٤) هو الحديث الاول من كتاب البيوع في الصفحة الاولى من جزئه الثاني.

(٥) فيما أخرجه أبو نعيم في ترجمة أبي هريرة من الحلية ص ٣٧٨ من جزئها الاول.

آيات من سورة آل عمران، فلما بلغ أهله دخل وتركني على الباب فأبطأ؛ فقلت: يترع ثيابه؛ ثم يأمر لي بطعام؛ فلم أر شيئاً، فلما طال علي قمت فاستقبلني رسول الله ﷺ فانطلقت معه حتى أتى بيته فدعا جارية له سوداء^(١) فقال: آتينا بتلك القصعة، قال: فأتتنا بقصعة فيها وضر^(٢) من طعام أراه شعيراً قد اكل وبقي في جوانبها بعضه وهو يسير فأكلت حتى شبعت أهد.

وكثيراً ما كان يصف نفسه فيقول^(٣): والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه - من المسجد - فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبني فمر ولم يفعل ثم مر عمر بي فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبني فمر فلم يفعل. ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رأي وعرف ما في نفسي وما في وجهي. ثم قال: أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله؛ قال: إلق ومضى فتبعته فدخل فأذن لي فدخلت فوجدنا لبناً في قدح، فقال ﷺ: من اين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: أبا هر، قلت: لبيك؛ قال: إلق الى أهل الصفة فادعهم لي؛ قال: وأهل الصفة اضياف الإسلام لا يأوون الى أهل ولا على أحد؛ وكان ﷺ اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئاً، واذا أتته هدية أشركهم فيها، قال فسألت ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أنا أحق ان أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها؛ فاذا جاءوا أمرني ان

(١) ما عهدنا ولا سمعنا ان في بيت رسول الله ﷺ جارية سوداء.

(٢) في النهاية وضر الصفحة دسمها وأثر الطعام فيها.

(٣) كما في باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه من كتاب الرقاق ص ٨١ من الجزء الرابع من صحيح البخاري. وأخرجه أبو نعيم مختصراً في ترجمة أبي هريرة من حلية الأولياء.

أعطيتهم، وما عسى ان يبلغني من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله ورسوله بد فأتيهم فدعوتهم فاقبلوا فاستأذنوا فاذن لهم واخذوا مجالسهم فقال ﷺ يا أبا هر خذ فاعطهم؛ فاخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح فاعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرده عليّ فاعطيه الآخر فيشرب حتى يروى، ولم ازل حتى انتهيت الى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم فاخذ القدح وتبسم اليّ فقال: أبا هر بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله قال: اقعد فاشرب؛ فقعدت فشربت، قال، اشرب فشربت، فما زال يقول: أشرب؛ حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكاً قال: فأرنيه. فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة (١).

وفي صحيح البخاري (٢) عن أبي هريرة قال: رأيتني واني لا احر فيهما بين منبر رسول الله ﷺ الى حجرة عائشة مغشياً على فيجئ الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى اني مجنون وما بي من جنون ما بي إلا الجوع أهـ.

وكان ذو الجناحين جعفر بن أبي طالب عليه السلام كثير البر والاحسان والصدقة والعطف على البائسين. فكان يطعم أبا هريرة من جوع فوالاه

(١) هذا الحديث اخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه وهو من أعلام النبوة - لوصح - فما ندرى لم يروه غير أبي هريرة؟ وهلا حدث بهذه الآية شركاء أبي هريرة في اللبن على الاقل؟ وما ندرى هل كان ثمة مقتضى للتحدي والاعجاز؟ وموجب لخرق العادات؟ فان مثل هذه الآية لا تكون إلا عند الاقتضاء ونحن نؤمن بآيات الله تعالى ومعجزات رسله ومع ذلك فان الظاهر ان الحديث مما تزلف به أبو هريرة إلى غوغاء الناس وعوامهم بعد وفاة كبار الصحابة لم يبق منهم من يخشاه.

(٢) راجع من جزئه الرابع ص ١٧٥ تجده في أواخر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

أبو هريرة وفضله - كما في ترجمة جعفر من الاصابة - على الناس بعد النبي كافة.
وقد روى البخاري (١) بالأسناد الى أبي هريرة قال: إن الناس يقولون اكثر أبو هريرة
على رسول الله ﷺ واني كنت ألزمه بشيع بطني حتى لا أكل الخمير ولا ألبس ولا
يخدمني فلان وفلانة وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع، وكنت استقرئ الرجل الآية
هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان اخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب كان
ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته الحديث (٢).

وأخرج البغوي من طريق المقرئ - كما في ترجمة جعفر من الاصابة - قال: كان
جعفر بن أبي طالب يحب المساكين ويجلس اليهم ويخدمهم ويخدمونه ويحدثهم ويحدثونه
فكان رسول الله ﷺ يكرهه أبا المساكين (٣).

وأخرج الترمذي والنسائي بالسند الصحيح - كما في ترجمة جعفر من الاصابة ايضاً
- عن أبي هريرة قال: ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطأ التراب بعد رسول الله
صلى الله عليه أفضل من جعفر بن أبي طالب (٤).

(١) في ص ١٩٧ من الجزء الثاني من صحيحه في باب مناقب جعفر وأخرج نحوه أبو نعيم في ترجمة جعفر
١١٧ من الجزء الأول من حليته.

(٢) ونقل ابن عبد ربه الاندلسي - في فصل الجود مع الاقلال من الجزء الاول من عقده الفريد - عن أبي
هريرة انه قال: تبعت جعفر بن أبي طالب ذات يوم وانا جاع فلما بلغ الباب التفت فرآني فقال لي: ادخل
فدخلت ففكر حيناً فما وجد في بيته شيئاً إلا نخباً كان فيه سمن مرة، فانزله من رف لهم، فشقه بين ايدينا،
فجعلنا نلحق ما كان فيه من السمن والزيت وهو يقول:

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجود

(٣) وهذا الحديث أخرجه أبو نعيم في ترجمة جعفر من حلية الاولياء ص ١١٧ من جزئها الاول من طريق
المقرئ عن أبي هريرة ايضاً.

(٤) وهذا الحديث أورده ابن البرقي في ترجمة جعفر من الاستيعاب.

وما زالت الصفة موطن أبي هريرة الذي يطمئن اليه ليلاً ونهاراً، لا يأوي إلى ما سواها حتى ارتحل النبي ﷺ من هذه الدار الفانية ولحق بالرفيق الأعلى وقبل ذلك لم يقم أبو هريرة بشئ يعود عليه بشيع بطنه سوى القعود في طريق المارة يترع اليهم بجوعه. لا تحفزه مهمة. ولا يذكر في حرب ولا في سلم، بلى ذكروا أنه فر من الزحف يوم مؤتة^(١). وزعم أنه كان في البعث الذي بعثه رسول الله ﷺ مع علي براءة الى مكة وأنه نادى يوم الحج الأكبر حتى صحل صوته، وله في ذلك حديثان متناقضان متساقطان كما ستقف عليه في محله إن شاء الله تعالى.

وزعم أن النبي ﷺ وكله بحفظ زكاة رمضان في حديث طويل^(٢) سنورده في الأباطيل.

٤ - علي عهد الخليفتين

ألمنا بأخبار الخليفتين، واستقرأنا ما كان علي عهدهما؛ فلم نجد لأبي هريرة ثمة أثراً يذكر؛ سوى ان عمر بعثه والياً على البحرين سنة إحدى وعشرين^(٣). فلما كانت سنة ثلاث وعشرين عزله وولى عثمان بن أبي العاص

(١) راجع ص ٤٢ من الجزء الثالث من المستدرک تجد أبا هريرة يعبر بذلك فلا يدري أي شيء يقول لمن

غيره.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوكالة ص ٢٩ من الجزء الثاني من صحيحه.

(٣) حين مات الوالي عليها من قبل رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وهو العلاء ابن الحضرمي.

الثقفي^(١)، ولم يكتف بعزله حتى استنقذ منه لبيت المال عشرة آلاف زعم انه سرقها من مال الله في قضية مستفيضة، وحسبك منها ما ذكره عبد ربه المالكي (فيما يأخذ به السلطان من الخزم والعزم من أوائل الجزء الأول من عقده الفريد) إذ قال - وقد ذكر عمر-: ثم دعا أبا هريرة. فقال له: علمت اني استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين. ثم بلغني انك ابتعت افراساً بالف دينار وستمائة دينار. قال: كانت له افراس تناجحت وعطايا تلاحقت. قال: حسبت لك رزقك ومؤنتك وهذا فضل فأده قال: ليس لك ذلك. قال: بلا والله وأوجع ظهرك ثم قال اليه بالدره فضربه حتى أدماه ثم قال: ائت بها؛ قال: احتسبها عند الله قال: ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً؛ أجتت من أقصى حجر البحرين يجي الناس لك لا لله ولا للمسلمين؟ مارجعت^(٢) بك اميمة إلا لرعية الحمر.

قال ابن عبدربه: وفي حديث أبي هريرة: لما عزلني عمر عن البحرين قال لي: ياعدو الله وعدو كتابه سرقت مال الله؟ قال فقلت: ما أنا عدو الله وعدو كتابه ولكني عدو من عاداك وما سرقت مال الله، قال: فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف؟ قال فقلت: خيل تناجحت، وعطايا تلاحقت، وسهام تتابعت قال: فقبضها مني فلما صليت الصبح استغفرت لأمر المؤمنين الحديث؛ وقد أورده ابن أبي الحديد إذ ألم بشئ من سيرة عمر في المجلد الثالث من شرح النهج^(٣)

(١) كما هو ثابت لدى الأخبار ومصرح به في عدة حوادث تلك السنة من تاريخ ابن الأثير وغيره.
(٢) الرجوع والرجيع العذرة والروث سميا رجيعا لانهما رجعا من حالتها الاولى بعد ان كانا طعاما وعلفا، واميمة ام ابي هريرة، وكلمة الخليفة هذه من افطع كلمات الشتم.
(٣) ص ١٠٤ طبع مصر.

وأخرجه ابن سعد في ترجمة أبي هريرة من طبقاته الكبرى^(١) من طريق محمد ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال لي عمر: يا عدو الله وعدو كتابه أسرقت مال الله إلى آخر الحديث. وأورده ابن حجر العسقلاني في ترجمة أبي هريرة من أصابته فجوره عطفاً على أبي هريرة تحويراً خالف فيه الحقيقة الثابتة باتفاق أهل العلم، وذهل عما يستلزمه ذلك التحوير من الطعن بمن ضرب ظهره فادماه وأخذ ماله وعزله.

٥ - على عهد عثمان

أخلص أبو هريرة لآل أبي العاص وسائر بني أمية على عهد عثمان واتصل بمروان وتزلف الى آل أبي معيط، فكان له بسبب ذلك شأن، ولاسيما بعد يوم الدار إذ حوصر عثمان فكان أبوهريرة معه. وبهذا نال نضارة بعد الذبول ونباهة بعد الخمول.

سححت في تلك الفتنة فرصة الانضواء الى الدار فأسدى بها الى آل أبي العاص وغيرهم من الأمويين يداً كان لها أثرها عندهم وعند أعوانهم ومقوية سلطانهم؛ فنضوا عنه دثار الخمول واشادوا بذكره؛ على أنه لم يخف عليهم كونه ما استسلم الى الحصار ولا دخل الدار إلا بعد أن كف الخليفة أيدي أوليائه عن القتال وأمرهم بالسكينة. كما قال بعض معاصريه في رثائه:

فكيف يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
وانما فعل ذلك احتياطاً على نفسه واحتفاظاً بأصحابه. وكان أبو هريرة

(٣) ص ٩٠ من قسمها الثاني من جزئها الرابع.

على علم بأن الثائرين لا يطلبون إلا عثمان ومروان. وهذا ما شجعه على أن يكون في المحصورين.

ومهما يكن فقد اختلس الرجل هذه الفرصة فربحت صفقته وراجت سلعته، وأكب بعدها بنو أمية وأولياؤهم على السماع منه. فلم يألوا جهداً في نشر حديثه؛ والاحتجاج به. وكان يتزل فيه على ما يرغبون.

وكان مما حدثهم به عن رسول الله ﷺ إن لكل نبي خليلاً من أمته وإن خليلي عثمان^(١).

وقال^(٢): سمعت رسول الله ﷺ يقول: عثمان حي تستحي منه الملائكة.

وروا عنه ورفوعاً: لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان^(٣).

وروا عنه مرفوعاً أيضاً: أتاني جبرئيل فقال لي: إن الله يأمرك أن تزوج عثمان أم كلثوم على مثل صداق رقية الحديث^(٤).

(١) أهل العلم كافة متصافقون على بطلان هذا الحديث، لكن أولياء أبي هريرة يجيلون الآفة به على اسحاق بن نجيع الملطي أحد رجال سنده إلى أبي هريرة، وقد أورده الذهبي في ترجمة اسحاق من ميزان الاعتدال جازماً ببطلانه.

(٢) فيما أخرجه ابن كثير عند ذكر فضائل عثمان في حوادث سنة ٣٥ ص ٢٠٣ من الجزء السابع من كتابه «البداية والنهاية».

(٣) هذا الحديث باطل بالاجماع، وأولياء أبي هريرة يجيلون الآفة فيه على عثمان بن خالد بن عمر بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان أحد سلسلة سنده المتصلة بأبي هريرة، وقد أورده الذهبي في ترجمة عثمان بن خالد المذكور من ميزان الاعتدال وعده من منكرانه.

(٤) أخرجه ابن منده وقال: غريب تفرد به محمد بن عثمان بن خالد العثماني أهد «قلت»: وقد نقل هذا الحديث ابن حجر العسقلاني في آخر ترجمة السيدة أم كلثوم ؓ من الجزء الرابع من الإصابة وذكر انه غريب، وانه تفرد به محمد بن عثمان بن خالد العثماني فراجع.

وقال: دخلت على رقية بنت رسول الله ﷺ امرأة عثمان ويدها مشط فقالت:
خرج رسول الله ﷺ من عندي أنفا رجلت شعره، فقال لي: كيف تجدين أبا عبد الله
(عثمان)؟ قلت: بخير. قال اكرمي، فانه من اشبه أصحابي بي خلقاً^(١).

: ربما حرف الكلم عن مواضعه، كما فعل في الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ
من قوله: ستكون بعدي فتنة واختلاف. قالوا فما تأمرنا عند ذلك يا رسول الله؟ قال
ﷺ - وقد أشار إلى علي - : عليكم بالامير وأصحابه.

لكن أبا هريرة آثر التزلف إلى آل أبي العاص وآل معيط وآل أبي سفيان فروى لهم أن
النبي ﷺ أشار في هذا الحديث إلى عثمان^(٢) وقد حفظوا له هذا الصنع. كما ستقف
عليه في الفصل ٨ من هذا الاملاء ان شاء الله تعالى.

٦ - علي عهد علي

خفت صوت أبي هريرة على عهد أمير المؤمنين. واحتى برد الخمول وكاد أن يرجع
إلى سيرته الأولى. حيث كان هيان بن بيان وصلعمة بن قلعة قعد

(١) سنورد هذا الحديث في اول الفصل ١٣ فراجعه ثمه واعجب.

(٢) ولذا اخرج الحاكم عن أبي هريرة في فضائل عثمان اول: ٩٩/٣ من المستدرک. والحق يوجب ذكره

في فضائل علي، نظير قول النبي ﷺ : =

عن نصره أمير المؤمنين فلم ينضوا الى لوائه، بل كان وجهه ونصيحته الى أعدائه.

= تكون بين الناس فرقة واختلاف فيكون هذا واصحابه على الحق، وأشار إلى علي، اخرج الطبراني عن كعب بن عجرة، وهو الحديث ٢٦٣٥/٦ من كثر العمال، وقوله ﷺ - ستكون بعدي فتننة فالزموا فيها علي بن أبي طالب فانه اول من آمن بي واول من - يصفحني يوم القيامة وهو الصديق الأكبر وهو فاروق هذه الأمة الحديث، أخرجه ابو احمد وابن مندة وغيرهما عن ابي ليلي الغفاري، ونقله في ترجمة ابي ليلي كل من ابن عبد البر في استيعابة وابن حجر في اصابته وغيرهما، وقوله ﷺ : يا عمار إن رايت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ودع الناس إنه لن يبدلك على ردى ولن يخرجك من الهدى الحديث، اخرج الدلمي عن كل من عمار وابي ايوب وهو الحديث ٢٥٩ في آخر ص ١٥٥ من الجزء ٦ من كثر العمال وقوله ﷺ : يا ابا رافع سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً حق على الله جهادهم الحديث اخرج الطبراني في الكبير عن محمد بن عبيد الله بن رافع عن ابيه عن جده وهو الحديث ٢٥٨٩ من الجزء ٦ من الكثر إلى كثير من امثال هذه النصوص التي لا يسعنا الآن استقصاؤها، وحسبك قوله ﷺ : إن منكم من يقاتل علي تأويل القرآن كما قاتلت على تزيله فاستشرف لها القوم وفيهم ابو بكر وعمر، فقال ابو بكر انا هو، قال لا، قال عمر: انا هو؟ قال: لا ولكنه خاصف النعل الحديث، أخرجه الحاكم في آخر: ١٢٢/٣ من المستدرک وصححه على شرط الشيخين واورده الذهبي في تلخيصه معترفا بصحة على شرطهما واخرجه احمد من حديث ابي سعيد في: ٣٣/٣ و ٨٢ من المسند ورواه الحافظ أبو نعيم في ترجمة على: ٦٧/١ من حليته واخرجه ابو يعلى في السنن وسعيد بن منصور في سننه وهو الحديث: ٢٥٨٥ في: ١٥٥/٦ من الكثر، والاحاديث في وجوب قتال الناكثين والقاسطين والمارقين متظافرة، وأخبره ﷺ بوقوع الفتن من بعده متواترة وهي من اعلام النبوة وكلها صريح بوجوب اتباع علي، فحديث ابي هريرة الذي اخرج الحاكم من جملتها بلا ريب، ويؤيد ذلك ان النبي ﷺ لم يطلق الأمير على غير علي ابداً، اما علي فقد نال منه هذا الوسام، وحسبك قوله ﷺ : لأنس اول من يدخل عليك من هذا الباب امير المؤمنين وسيد الوصيين، الحديث، اخرج الحافظ الاصفهاني في ترجمة علي من الجزء الاول من حلية الأولياء، وقد امر ﷺ ان يسلموا على علي بالامرة كما هو ثابت من طريق العترة الطاهرة، والمقام لايسع التفصيل.

وقد أرسله معاوية مع النعمان بن بشير - وكانا عنده في الشام - الى علي عليه السلام يسألانه أن يدفع قتله عثمان الى معاوية ليقيدهم بعثمان، وقد أراد معاوية بهذا أن يرجعها من عند علي الى الشام وهما لمعاوية عاذران ولعلي لائتمان؛ علماً من معاوية أن علياً لا يدفع قتلة عثمان اليه، فاراد أن يكون النعمان وأبو هريرة شاهدين له عند أهل الشام بذلك، وان يظهر للناس عذر معاوية في قتال علي.

فقال لهما اثتيا علياً فانشده الله لما دفع اليها قتلة عثمان، فانه قد آواهم، ثم لاحت بيننا وبينه، فان ابي فكونوا شهداء الله عليه، واقبلوا على الناس فاعلماهم بذلك. فأتيا علياً فدخلا عليه، فقال له أبو هريرة: يا أبا حسن ان الله قد جعل لك في الاسلام فضلاً وشرفاً، فأنت ابن عم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعثنا اليك ابن عمك يسألك امراً تسكن به هذه الحرب، ويصلح الله به ذات البين ان تدفع اليه قتلة ابن عمه عثمان فيقتلهم به ويجمع الله تعالى امرك وامره ويصلح بينكم وتسلم هذه الامة من الفتنة والفرقة، ثم تكلم النعمان بنحو من هذا فقال لهما: دعا الكلام في هذا، حدثني عنك يا نعمان، هل أنت أهدى قومك سبيلاً؟ - يعني الانصار - قال: لا. قال فكل قومك قد اتبعني الا شذاذ منهم ثلاثة أو أربعة افتكون أنت من الشذاذ؟ قال النعمان: اصلحك الله انما جئت لأكون معك والزمك، وقد كان معاوية سألني ان اؤدى هذا الكلام، ورجوت ان يكون لي موقف اجتمع فيه معك. وطمعت ان يجري الله تعالى بينكما صلحاً فاذا كان رايك غير ذلك فانا ملازمك وكائن معك.

قال حفظة الآثار: اما أبو هريرة فلم يكلمه أمير المؤمنين فانصرف الى الشام فاخبر معاوية بالخبر فامرهم معاوية ان يعلم الناس ففعل ذلك وعمل اعمالاً ترضي معاوية. واقام النعمان بعده عند علي ثم خرج فاراً الى الشام فأخبر أهلها بما لقي

الى آخر ما كان من هذه الواقعة (١).

وحين جد الجدد، وحمى وطيس الحرب، ورد على أبي هريرة من الهول ما هزم فؤاده وزلزل اقدمه، وكان في أول تلك الفتنة لا يشك بأن العاقبة ستكون لعلي. فضرب الأرض بذقنه، قابلاً في زاويا الخمول يثبط الناس عن نصرة أمير المؤمنين بما يحدثهم به سراً وكان مما قاله يومئذ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون فتنة؛ القاعد فيها خير من القائم والقائم خيرا من الماشي والماشي خيرا من الساعي ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذبه (٢).

ولم يزل كذلك حتى خرجت الخوارج على أمير المؤمنين واختلف الناس عليه في العراق واستفحل أمر معاوية باستيلائه على مصر وقتله محمد بن أبي بكر وعيته في بلاد أمير المؤمنين، وشنه الغارات عليها، وبعثه بسراً في ثلاثة آلاف الى الحجاز واليمن عيثاً في الأرض وفساداً، وتنكيلاً بعباد الله وتقتيلاً، وتحريقاً لهم وتمزيقاً، وانتهاكاً لحرمات الله، وهتكاً لامائه وسبياً لذراري المؤمنين من عباده؛ وعبرة للناظرين، ومثلاً واحداً في الغابرين.

(١) وقد ذكرها ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب الغارات، ونقلها الباحثة المعتزلي في ص ٢١٣ من المجلد الأول من شرح نهج البلاغة فليراجعها من اراد التفصيل ليعرف سوء نوايا معاوية وسوء منقلب النعمان في هذه الواقعة وانما اعرض أمير المؤمنين عن ابي هريرة فلم يكلمه لكونه لم يره اهلاً لتزلفه بدينه الى معاوية، وعلم امير المؤمنين ما اراده معاوية من المكائد اذ أرسلهما اليه يطلبان منه قتلة عثمان فلم يجبهما بشئ لا سلباً ولا ايجاباً بل اعرض عن طلبهما، وتكلم مع النعمان في موضوع آخر وهذا من قوته في سياسته ﷺ.

(٢) اخرجه احمد بن حنبل من حديث أبي هريرة في: ٢/٢٨٢ من مسنده. وهو من الأباطيل بدليل قول تعالى: (فقاتلوا التي تبغى حتى تنفيء الى امر الله).

وفي ختام هذه الفظائع أخذ البيعة لمعاوية من أهل الحجاز واليمن عامة ^(١) فعندها باح أبو هريرة بما في صدره، واستراح الى بسر بن أرطاة.ممكنون سره فوجد بسرمنه اخلاصاً لمعاوية. ونصحاً في أخذ البيعة له من الناس، فولاه على المدينة ^(٢) حين انصرف عنها وامر أهلها بطاعته ولم يزل بعدها يصلي بهم ويرى لنفسه الولاية عليهم حتى جاءهم جارية بن قدامة السعدي من قبل أمير المؤمنين في الفي فارس وأبو هريرة يصلي في الناس، فهرب من وجهه، فقال جارية ^(٣) لو وجدت أبا سنور لقتلته.

وبلغ جارية - وهو في الحجاز - استشهاد أمير المؤمنين في الكوفة فأخذ البيعة من أهل المدينة للإمام السبط أبي محمد الحسن الزكي المجتبي عليه السلام ثم عاد الى الكوفة فرجع أبو هريرة يصلي بالناس ^(٤) واستفحل بعدها امره حيث انتهى الامر الى معاوية.

٧ - على عهد معاوية

نزل أبو هريرة أيام معاوية الى جناب مريع، وانزل آماله منه منزل صدق

-
- (١) من اراد الوقوف على تفصيل هذه الفظائع والفجائع فعليه بص ١١٦ حتى: ١٢١ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي على ان كل من ارخ حوادث سنة الأربعين ذكرها كابن جرير وابن الأثير وغيرهما وهي من القضايا الثابتة من افعال معاوية ثبوت وقعي الحرة والطف من ولده يزيد.
- (٢) كما نص عليه ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب الغارات، ونقله ابن ابي الحديد في اواخر صفحة: ١٢٨ من المجلد الأول من شرح النهج.
- (٣) كما نص عليه ابن الأثير عند ذكر سرية بسر الى الحجاز واليمن سنة ٤٠ فراجع ص ١٥٣/٣ من تاريخه الكامل.
- (٤) كما في الصفحة المتقدمة الذكر من كامل ابن الأثير.

لذلك نزل في كثير من الحديث على رغائبه، فحدث الناس في فضل معاوية وغيره أحاديث عجيبة.

وقد كثر وضع الحديث في تلك الدولة حسبما اقتضته دعايتها، وأوجبته سياستها في نكاية الهاشميين، وكثرت الكذابة يومئذ على رسول الله كما أنذر به ﷺ وتطوروا فيما اختلفوه من الحديث حسبما أوحى اليهم وكان أبو هريرة في الرعي الأول من هؤلاء، فحدث الناس في الفضائل احاديث منكورة، فمنها ما أخرجه ابن عساكر بطريقين وابن عدى بطريقين ومحمد بن عائد بطريق خامس ومحمد بن عبد السمرقندي بطريق سادس ومحمد بن مبارك الصوري بطريق سابع والخطيب البغدادي بطريق ثامن كلهم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الله ائتمن على وحيه ثلاثة أنا وجبرئيل ومعاوية؟!!

ومنها: ما أخرجه الخطيب بالاسناد الى أبي هريرة قال: ناول النبي ﷺ معاوية سهما فقال: خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة!

ومنها: ما أخرجه أبو العباس الوليد بن أحمد الزوزني في كتابه - شجرة العقل - من طريقين الى أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ان لأبي بكر قبة من درة بيضاء لها أربعة أبواب تخترقها رياح الرحمة ظاهرها عفو الله وباطنها رضوان الله كلما اشتاق الى الله انفتح له مصراع ينظر منه الى الله عز وجل.

ومنها: ما أخرجه ابن حبان بالاسناد الى أبي هريرة قال: لما قدم رسول الله ﷺ من الغار يريد المدينة أخذ أبو بكر بغرزه فقال: ألا أبشرك يا أبا بكر؟ ان الله تعالى يتجلى لي للخلائق يوم القيامة عامة ويتجلى لك خاصة!.

ومنها: ما أخرجه ابن حبان أيضاً بالاسناد الى أبي هريرة قال: بينا جبرئيل مع النبي ﷺ إذ مرهما أبو بكر فقال جبرئيل: هذا أبو بكر الصديق قال رسول الله ﷺ: أنعرفه يا جبرئيل؟ قال: نعم انه في السماء لأشهر منه

في الأرض؛ وان الملائكة لتسميه حلیم قريش وانه وزيرك في حياتك وخليفتك بعد مماتك.
ومنها: ما أخرجه الخطيب بالاسناد إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ تباشرت
الملائكة يوم ولد أبو بكر الصديق واطلع الله الى جنة عدن فقال وعزتي وجلالي لا أدخلها
إلا من أحب هذا المولود.

ومنها: ما أخرجه ابن عدي بالاسناد إلى أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
عرج بي السماء فما مررت بسماء إلا وجدت مكتوباً فيها محمد رسول الله أبو
بكر الصديق الحديث (١).

ومنها: ما أخرجه ابو الفرج ابن الجوزي بالاسناد الى أبي هريرة قال: حدثني رسول الله
ﷺ بان الجنة والنار تفاخرتا فقالت النار للجنة أنا أعظم منك قدراً، لأن في الفراعنة
والجبابرة والملوك وبنائهم، فأوحى الله الى الجنة أن قولي: بل لي الفضل إذ زيني الله لأبي
بكر.

ومنها: ما أخرجه الخطيب بالاسناد الى أبي هريرة قال: خرج النبي ﷺ متكئاً على
علي بن أبي طالب فاستقبله أبو بكر وعمر فقال يا علي أتحب هذين الشيخين؟ قال: نعم؛
قال: احبيهما تدخل الجنة!!

ومنها: ما أخرجه الخطيب أيضاً في تاريخ بغداد وابن شاهين في سننه من طريقين الى
أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يقول: ان في السماء الدنيا ثمانين الف ملك يستغفرون
لمن أحب أبا بكر وعمر، وفي السماء الثانية ثمانين الف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر
وعمر.

ومنها: ما أخرجه الخطيب بالاسناد الى أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
ان الله تعالى في السماء سبعين الف ملك يلعنون من شتم أبا بكر وعمر.

(١) وأخرجه الخطيب في ترجمة محمد بن عبد الله المهري ص ٤٤٥ من المجلد الخامس من تاريخ بغداد.

وهذه الأحاديث كلها باطلة اجماعاً وقولاً واحداً صرح بذلك كل من اخرجها ممن ذكرناهم.

والسيوطي نظمها باسانيدها ومتونها في سلك الأحاديث الموضوعة من لآليه المصنوعة غير أنهم لم يجعلوا الآفة فيها من أبي هريرة نفسه وإنما جعلوها ممن نقلها عنه عملاً برأيهم في كل من رأى النبي ﷺ وروى عنه من المسلمين.

وكذلك فعلوا في سائر ما صنعتها يدأ أبي هريرة مما ضاق به ذرعهم نحو قوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هذا جبرئيل يخبرني عن الله ما أحب أبا بكر وعمر الا مؤمن تقي ولا ابغضهما إلا منافق شقي^(١).

وقوله: قال رسول الله ﷺ خلقتني الله من نوره وخلق أبا بكر من نوري وخلق عمر من نور أبي بكر وخلق أممي من نور عمر وعمر سراج أهل الجنة^(٢).

وقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبو بكر وعمر خير الأولين والآخرين^(٣).

وقوله: ان النبي ﷺ كان يقول: أصحابي كالنجوم من اقتدى بشيء

(١) ان هذا الحديث معدود في الأباطيل باجماع اهل العلم وقد ذكره الذهبي في ترجمة ابراهيم بن مالك الأنصاري من ميزان الاعتدال فابطله وحسرت صفقة من اراد ان يعارض الحق بالباطل.

(٢) وهذا كسابقه باطل بالاجماع، وقد ذكره الذهبي في ترجمة احمد السمرقندي من الميزان. فراجعته تعلم انه باطل مخالف لكتاب الله وحسر هناك المبطلون الذين يريدون معارضة الحق الواضح بالباطل الفاضح.

(٣) وهذا كسابقه في البطلان. وقد ذكره الذهبي في ترجمة جيرون بن واقد الافريقي من الميزان فارسل بطلانه ارسال المسلمات.

منها أهتدى (١).

وقوله: قال رسول الله ﷺ: انزل في الانجيل نعتي ونعت أصحابي أبي بكر وعمر
وعثمان وعلى كرزع أخرج شطأه الآية (٢).
إلى آخر ما كان يسترسل به من هذه المختلفات، وله في صحيح البخاري ومسلم
احاديث افرغها على هذا القالب. وحاكها على هذا المنوال فراجعها في الفصل ١١ من
هذا الاملاء.

٨ - أيادي بني امية عليه

تتمثل لك نعمهم عليه إذا امعنت النظر في حاله، حاله قبل دولتهم حيث كان ذليلاً
مهيناً ينظر الى القمل يدب على ثمرته (٣) وحاله على عهدهم حيث اخذوا بضبعيه واطلقوا
عنه ربقة الخمول فكسوه الخنز (٤) والساج وجعلوه

-
- (١) نقله الذهبي في ترجمة جعفر بن عبد الواحد القاضي من ميزانه ونص ثمة على انه من بلايا.
- (٢) تجد هذا الحديث في ترجمة محمد بن موسى بن عطاء الهمياطي من ميزان الذهبي وتجد ثمة بطلانه لكن
الجمهور يحلون البلاء في اباطيل ابي هريرة على الرواة عنه.
- (٣) هذا مأخوذ من قول ابي هريرة: فترعت ثمرة على ظهري فبسطتها بيني وبينه ﷺ حتى كأني انظر الى
القمل يدب عليها الحديث اخرجه ابو نعيم في احوال ابي هريرة: ٣٨١/١ من حليته.
- اخرج ابن سعد في ترجمة ابي هريرة من طبقاته عن وهب بن كيسان وعن قتادة والمغيرة ان ابا هريرة كان
يلس الخنز.

يزر اززاره بالديياج (١) والبسوه الكتان المشيق (٢) وبنوا القصر في العقيق (٣) وطوقوه ببرهم، وناطوا نعمهم قلائد في عنقه واذاعوا ذكره، ونوهوا باسمه، وولوه على المدينة الطيبة مدينة النبي (٤) وانكحوه ايام ولايته عليها بسرة بنت غزوان بن جابر بن وهب المازنية اخت الأمير عتبة بن غزوان (٥) وما كان ليحلم بذلك، ولا ليسنح في امانيه، وقد كان يخدمها بطعام بطنه ويكدح في خدمتها حافياً:

(١) هو الطليلسان الأخضر، وقيل الأسود، وقيل المقور ينسج كذلك، وفي الاساس لبسوا السيجان وهي الطيالة المدورة الواسعة، وقد جاء في ترجمة ابي هريرة من طبقات ابن سعد عن سعيد قال: رأيت على ابي هريرة ساجاً مزوراً بديياج.

(٢) اخرج البخاري: ١٧٥/٤ من صحيحه في اواخر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة عن محمد بن سيرين قال: كنا عند ابي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان.

(٣) فيه مات كما هو منصوص عليه في كل من اصابة ابن حجر ومعارف ابن قتيبة وطبقات ابن سعد اثناء ترجمتهم اياه.

(٤) فيما اخرج الامام احمد في: ٤٣٠/٢ من مسنده عن محمد بن زياد واخرجه ابن قتيبة في ترجمة ابي هريرة من معارفه عن ابي رافع. واورده الامام ابو جعفر الاسكافي كما في: ص ٣٥٩ من المجلد الاول من شرح النهج الحميدي طبع مصر.

(٥) هو حليف بني عبد شمس الذي ولاه عمر رضي الله عنه في الفتوح فاخبط البصرة وكان اميرها، وفتح فتوحا وهو من مشاهير الصحابة والابطال مات على عهد عمر، وإنما تزوج ابو هريرة اخته بعد موته بزمان، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني بسرة هذه في القسم الاول من الاصابة وذكر قصة ابي هريرة معها فقال: وكانت قد استأجرته في العهد النبوي ثم تزوجها بعد ذلك لما كان مروان يستخلفه في امرة المدينة على عهد معاوية.

قال مضارب بن جزء^(١): كنت اسير في الليل فاذا رجل يكبر فلحقته فاذا هو أبو هريرة، فقلت: ماهذا؟ قال: اشكر الله على ان كنت اجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني؛ فكنت إذا ركبوا سقت بهم، وإذا نزلوا خدمتهم والآن تزوجتها فأنا الآن اركب، فاذا نزلت خدمتي «قال» وكانت اذا اتت على مكان سهل نزلت فقالت: لا اريم حتى تجعل لي عسيده، فها انا اذا اتيت على نحو من مكائها قلت لها: لا اريم حتى تجعل لي عسيده^(٢).

وكان كثيراً ما يقول - وهو أمير المدينة - : نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت اجيراً لبسرة بن غزوان بطعام بطني، وعقبة رجلي، فكنت اخدم اذا نزلوا، واحدوا اذا ركبوا فزوجنيها الله، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبا هريرة اماماً^(٣).
وقال مرة: اكرت نفسي من ابنة غزوان على الطعام بطني وعقبة رجلي قال: فكانت تكلفني ان اركب قائماً؛ واورد حافياً، فلما كان بعد ذلك زوجنيها الله فكلفتها ان تركب قائمة وان تورد حافية^(٤)!!!

وصلى بالناس يوماً فلما سلم رفع صوته فقال: الحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبا هريرة اماماً، بعد ان كان اجيراً لابنة غزوان على شيع بطنه وحمولة رجله^(٥).

(١) فيما اخرجه أبو العباس السراج في تاريخه بسند صحيح ونقله العسقلاني في ترجمة أبي هريرة من اصابته.

(٢) اخرجه ابن خزيمة، ونقله ابن حجر في ترجمة أبي هريرة من الاصابة.

(٣) أخرجه ابن سعد في أوائل ترجمة أبي هريرة: ص ٥٣ من القسم الثاني من الجزء الرابع من الطبقات.

(٤) أخرج ابن سعد هذا الحديث في أوائل الصفحة الآتية الذكر.

(٥) أخرجه أبو نعيم الاصفهاني في ترجمة أبي هريرة آخر ص ٣٧٩/١ من حليته.

وقام مرة على منبر رسول الله ﷺ وهو أمير المدينة فقال: الحمد لله الذي اطعمني الخمير، وألبسني الحرير؛ وزوجني بنت غزوان بعد ما كنت اجيراً لها بطعام بطني، فأرحلني فأرحلتها كما أرحلتي الحديث. (١).

٩ - تطوره في شكر أياديهم

استعبد بنو أمية أبا هريرة برهم، فملكوا قيادته. واحتلوا سمعه وبصره وفؤاده، فاذا هو لسان دعايتهم في سياستهم؛ يتطور فيها على ما تقتضيه أهواؤهم. فتارة يفتت الأحاديث في فضائلهم، كما سمعته في الفصل الخامس والفصل السابع (٢) من هذا الاملاء.

وتارة يلفق احاديث في فضائل الخليفين نزولاً على رغائب معاوية وفتته الباغية. اذ كانت لهم مقاصد سياسية ضد الوصي وآل النبي لا تتسق لهم - فيما كانوا يظنون - إلا بالاشادة بتفضيل الخليفين، فاقأت في ذلك احاديث اوردنا بعضها في الفصل السابع من املائنا هذا.

وحسبك مما لم نوردته ثمّة حديثه في تأمير أبي بكر على الحج سنة براءة - وهي سنة تسع للهجرة - وحديثه في أن عمر كان محدثاً تكلمه الملائكة. وقد اقتضت سياسة الأمويين في نكاية الهاشميين تثبيت هذين الحديثين واذاعتهما بكل مالمعاوية وأعوانه. ومقوية سلطانه من وسيلة أو حلية، فبلغوا

(١) أخرجه أبو نعيم في أحوال أبي هريرة: ٣٨٤/١ من الحلية.

(٢) الفصل الخامس يتعلق باحواله على عهد عثمان، والسابع يتعلق باحواله على عهد معاوية.

في ذلك ماشاء حولهم ولحولهم حتى أخرجتهما الصحاح؛ وستسمعهما في الفصل ١١ حيث نوردهما ونبسط القول فيهما على ما يوجه العلم، وتقتضيه قواعده ان شاء الله تعالى.

وتارة يقتضب أحاديث ضد أمير المؤمنين جرياً على مقتضى تلك السياسة كقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لم تحبس الشمس أو ترد لأحد إلا ليوشع ابن نون ليالي سار الى بيت المقدس أهـ (١).

وقوله: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه: (وأندر عشيرتك الأقربين) فقال: يا معشر قريش الحديث، بتره ابو هريرة فلم يعج على نصه الصريح تحريفاً للكلم عن مواضعه جريا على مقتضيات السياسة الأموية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقوله: إن رسول الله ﷺ قال: لا يقتسم ورثتي ماتركت. الحديث وقوله: قال رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب: قل لا إله إلا الله الحديث وآخره فأنزل الله تعالى: (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) (٢) الى كثير من المختلقات التي أريد بها نكاية الوصي وأهل بيت النبي.

قال الامام أبو جعفر الاسكافي (٣): إن معاوية حمل قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في على تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا له ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير إلى آخر كلامه.

(١) أخرجه الخطيب في ترجمة أسود بن عامر: ٣٥/٧ من تاريخ بغداد، وفي ترجمة سعيد بن عثمان الخنات: ٩٩/٩ عن أبي هريرة.

(٢) سنن القول في هذه الاحاديث الثلاثة، حيث نوردها في الفصل ١١ من هذا الاملاء فراجع.

(٣) كما في: ٣٥٨/١ من شرح نهج البلاغة الحميدي.

وقال (١): لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلته مراراً!! وقال يا أهل العراق اتزعمون اني كذب على الله ورسوله واحرق نفسي بالنار؟ والله لقد سمعت رسول الله يقول: ان لكل نبي حرماً وان المدينة حرمي فمن احدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين «قال» واشهد بالله ان علياً احدث فيها!! فلما بلغ معاوية قوله أحازه واكرمه وولاه امارة المدينة أهـ (٢).

وتارة يرتجل أحاديث يدافع بها عن منافق بني أمية الذين لعنهم رسول الله ﷺ في كثير من مواقفه ليسجل عليهم بذلك خزيًا يأمن به على الدين من نفاقهم وعلى الأمة من عيئهم: (وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى) .

لكن أبا هريرة تزلف الى مروان ومعاوية وأوليائهما فأنشأ يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر فأبما مؤمن أذيته أو سببته أو جلدته فاجعل ذلك كفارة له وقربة تقربه بما اليك يوم القيامة. وقد عمل مروان وبنوه في تعداد أسانيدهم وتكثير طرقه اعمالاً جبارة لم يألوا فيها جهداً، ولم يدخروا وسعاً؛ حتى أخرجهم أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد.

(١) كما في: ٣٥٩ من المجلد المذكور من شرح النهج.

(٢) وروى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن قاسم عن عمر بن عبد الغفار ان أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس اليه فجاهه شاب من الكوفة - لعله الأصبع بن نباتة - فجلس اليه فقال: يا أبا هريرة أنشدك بالله أسمعتم رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه؟ فقال: اللهم نعم قال: فأشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه ثم قام عنه وانصرف.

ولمروان وبنيه في رفع مستوى أبي هريرة وتفضيله على من سواه في الحفظ والضبط والالتقان والورع أعمال كان لها أثرها الى يومنا هذا.

فمنها: أن مروان كان يزعم انه اجلس كاتبه في مكان لا يراه فيه أحد؛ ثم دعا أبا هريرة فجعل يسأله عن أشياء وأكثر في سؤاله وأبو هريرة يحدثه في الجواب عن رسول الله وكتب مروان - واسمه زعيزعة (١) - يكتب من حيث لا يشعر به أحد أبداً فكتب أحاديث حجة ثم أمهله مروان حولا كاملا فسأله تلك المسائل كلها، فأجابه أبو هريرة تلك الأجوبة بالفاظها لم ينقص ولم يزد وأذاع مروان وكتبه هذه الأكذوبة بين طغام أهل الشام فسارت كل مسير حتى أخرجها الحاكم في أحوال أبي هريرة من مستدركه (٢).

ومنها: أن مروان لما أراد أن يجلب على بني هاشم بخيله ورجله ليمنعهم من دفن الإمام أبي محمد الحسن المجتبي - عند جده رسول الله ﷺ أوعز إلى أبي هريرة - من تدجيله - أن يعارضه ويغلظ له القول في ذلك علانية؛ تمويهاً على العامة وسواد الناس بأن له منزلة الصديقين لا تأخذه في الله ورسوله سطوة ولا تمنعه عن الانتصار لهما قوة.

وحين قام أبو هريرة بهذه المعارضة، أظهر مروان الغضب منه، مكان بينهما صحب رياء، وغيظ تصنع؛ اشتد أبو هريرة فيهما احتجاجا على مروان بمزلة من رسول الله ﷺ التي لم تكن لخاصة أصحابه وذويه وبوعيه عنه ﷺ وحفظه الذي فاق به السابقين الأولين كعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير

(١) وكتبته ابو زعيره.

(٢): ٥١٠/٣.

(٣) في حديث أخرجه ابن سعد من طريق الوليد بن رباح، ونقله ابن حجر في ترجمة ابي هريرة من اصابتة، وسنورده بالفاظه في فضائله من هذا الاملاء معلقين عليه مالا يسعنا اغفاله.

وأمثالهم. واسترسل في خصائصه التي توجب له أسمى منازل المقرين؛ فانتهدت الخصومة بينهما بخوع مروان لمتزلة أبي هريرة في الإسلام، ومكانته في العالم بالسنن، برأى الناس بخوعه لفضل أبي هريرة ترويحاً لسلعته التي كان مروان ومعاوية وبنوهما يحاربون بها الحسن والحسين وأباهما وبنيهما. وكانت من أنجع الدعايات في تلك السياسات: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) .

١٠ - كمية حديثه

أجمع أهل الحديث - كما في ترجمته من (الإصابة)^(١) وغيرها - على أنه أكثر الصحابة حديثاً، وقد ضبط الجهابذة من الحفظة الاثبات حديثه؛ فكان خمسة آلاف وثلاثمائة وسبعين مسنداً. وله في البخاري فقط اربعمئة وستة واربعين حديثاً^(٢). وقد نظرنا في مجموع ما روى من الحديث عن الخلفاء الأربعة فوجدناه

(١) راجع السطر الأخير: ٢٤٠/٤ من الإصابة المطبوع في هامشها كتاب الاستيعاب.

(٢) راجع من إرشاد الساري شرح أول حديث لأبي هريرة أخرجه البخاري في صحيحه وهو باب امور الايمان من كتاب الايمان: ٢١٢/١ من الأشاد للشارح القسطلاني تجد النص ثمة على أن أبا هريرة روى عن النبي ﷺ: ٥٣٧٤ حديثاً وان له في صحيح البخاري فقط اربعمئة وستة واربعين حديثاً وضبط ابن حزم ايضاً مجموع ما حدث به أبو هريرة فكان كما سمعت: ٥٣٧٤ مسنداً فراجع: ١٣٨/٤ من فصل ابن حزم أثناء كلامه في وجوه المفاضلة.

بالنسبة إلى حديث أبي هريرة وحده أقل من السبعة والعشرين في المائة؛ لأن جميع ما روى عن أبي بكر إنما هو مائة واثنان وأربعون حديثاً^(١) وكل ما اسند إلى عمر إنما هو خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثاً^(٢) وكل ما لعثمان مائة وستة وأربعين حديثاً^(٣) وكلما روه عن علي خمسمائة وستة وثمانين مسنداً^(٤) فهذه الف وأربعمائة واحد عشر حديثاً، فإذا نسبتها إلى الحديث أبي هريرة وحده - وقد عرفت أنه: ٥٣٧٤ - تجد الأمر كما قلناه.

فلي نظر ناظر بعقله في أبي هريرة، وتأخره في إسلامه، وخموله في حسيه وأميته، وما إلى ذلك مما يوجب اقلاله. ثم لينظر إلى الخلفاء الأربعة وسبقهم واختصاصهم، وحضورهم تشريع الأحكام، وحسن بلائهم في اثنتين وخمسين سنة، ثلاث وعشرين كانت بخدمة رسول الله ﷺ وتسعة وعشرين من بعده ساسوا فيها الأمة وسادوا الامم، وفتح الله لهم ملك كسرى وقيصر؛ فمدنوا المدن؛ ومصروا الأمصار، ونشروا دعوة الإسلام وصدعوا بأحكامه،

(١) ضبطها الجهابذة، فكانت بهذا العدد، ومن صرح بعدها جلال الدين السيوطي في أحوال أبي بكر من كتابه (تاريخ الخلفاء) وقد أوردها ثمة باجمعها في فصل افرد لها. و ضبطها أيضاً العلامة النووي في التهذيب وابن حرم الظاهري في: ١٣٧/٤ من الفصل في الملل والنحل فنص على انها بهذا العدد، والذهبي صرح (في ترجمة ابراهيم بن سعيد الجوهري من ميزان الاعتدال): بأنه لا يصح لأبي بكر عشرون حديثاً.

(٢) قال السيوطي في أوائل ترجمة عمر من تاريخ الخلفاء: وروى له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثين حديثاً، و ضبطها ابن حزم بهذا العدد في: ١٣٨/٤ من فصله وقال: إنما يصح منها نحو خمسين.

(٣) نص على ذلك جلال الدين السيوطي في أوائل أحوال عثمان من تاريخ الخلفاء.

(٤) كما نص عليه السيوطي في أوائل ترجمة علي من تاريخ الخلفاء وصرح به ابن حزم في: ١٣٧/٤ من فصله.

وأذاعوا السنن، ينحدر عنهم السيل، ولا يرقى اليهم الطير؛ فكيف يمكن والحال هذه أن يكون المأثور عن أبي هريرة وحده أضعاف المأثور عنهم جميعاً افتونا يا اولي الالباب؟! .
وليس ابو هريرة كعائشة وان اكثرث أيضاً؛ فقد تزوجها رسول الله ﷺ قبل إسلام أبي هريرة بعشر سنين ^(١) فكانت في مهبط الوحي والتزويل ومختلف جبرائيل وميكائيل أربعة عشر عاماً، وماتت قبل موت أبي هريرة ببسبر ^(٢) .

وشتان بين الصحبتين وبين الفطنتين، اما امر الصحبتين فمعلوم، واما الفطنتان فقد كان فهم عائشة يبارى سمعها. وقلبها يسبق اذها؛ فلا أرشح منها فؤاداً، ولا أسرع تناولاً، ما نزل بها شئ إلا انشدت فيه شعراً، وعن عروة ما رأيت أحداً أعلم بفقها ولا بطب ولا بشعر من عائشة. وعن مسروق رأيت مشيخة من أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض. على انها اضطرب إلى نشر حديثها إذ بثت دعائها في الأمصار، وقادت إلى البصرة ذلك العسكر الجرار. ومع هذا فان جميع ما روى عنها انما هو عشرة

(١) اخرج ابن البر في احوال عائشة من الاستيعاب عن ابن شهاب ان رسول الله ﷺ تزوج عائشة في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين وعرس بها في المدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجرته إلى المدينة أهـ فيكون زواجها قبل إسلام أبي هريرة بعشر سنين، إذ لا ريب في ان اسلامه انما كان سنة سبع.

(٢) توقيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة حلت من شهر رمضان سنة سبع وخمسين أو ثمان وخمسين قبيل وفاة أبي هريرة ببسبر، وهو الذي صلى عليها بامر الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان والياً على المدينة من قبل عمه معاوية اراد كرام أبي هريرة فامرہ بالصلاة عليها ودفنت بالبقيع.

مسانيد ومائتا مسند والفا مسند (١) فحديثها أقل من نصف حديث أبي هريرة. ولو ضمت حديثها وحديث أم سلمة مع بقائها الى ما بعد وقعة الطف، وجمعت ذلك كله إلى حديث البقية من أمهات المؤمنين؛ وحديث سيدى شباب أهل الجنة وسيدة نساء العالمين وحديث الأربعة من خلفاء المسلمين ما كان كله إلا دون حديث أبي هريرة وحده! وهذا أمر مهول الفت إليه ارباب العقول.

* * *

على انه كان مع ذلك يزعم ان النبي ﷺ أفضى إليه بأحاديث لن يميظ حجابها لأحد ولا يناها منه متسقط (٢) فهي دخلة ضميره ودفينة صدره وابو هريرة حصين الصدر: بعيد غور الضمير! كما تعلمون: ولذا قال: حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثنته، وأما الآخر فلو بثنته قطع هذا البلعوم (٣).
وقال: لو أنباتكم بكل ما أعلم الرمانى الناس بالخزف، وقالوا: أبو هريرة مجنون.
وقال: لو حدثتكم بكل ما في جوفي لرميتوني بالعر.
وقال: يقولون اكثرت يا أبا هريرة والذي نفسي بيده لو حدثتكم بكل

(١) فيما ضبطه ابن حزم الظاهري في: ١٣٨/٤ من فصله وغير واحد من الحفظة وأهل الضبط، وأما قول القائل:

حفظت اربعين الف حديث
فليس على حقيقه وإنما هو كناية عن كثرة حفظها.
(٢) يقال: تسقطه عن سره، أي احتال له اباح به.
(٣) أخرجه البخاري في باب حفظ العلم من كتاب العلم: ٢٤/١ من صحيحه.

شئ سمعته من رسول الله ﷺ لرميتموني بالقشع - يعني المزابل - ثم ما ناظرتموني (١).
وقال: حفظت من رسول الله ﷺ أحاديث ما حدثتكم بها ولو حدثتكم بحديث
منها لرميتموني بالأحجار (٢).

قال: حفظت من رسول الله ﷺ خمسة جرب فأخرجت منها جرايين ولو أخرجت الثالث
لرميتموني بالحجارة (٣).

قلت: إن أبا هريرة لم يكن من رسول الله ﷺ ولي عهده، ولا خليفته من بعده،
ليؤثره بأسراره، ويفضي إليه من العلوم ما لم يفيض بها إلى أحد من خاصته.
وما الفائدة بافضاء تلك الأسرار إليه؟! وهو رجل ضعيف ذو مهانة تمنعه عن أن ينسب
في شئ منها بينت شفة. فاذا نبس رجم بالحجارة ورمى بالبعر والمزابل. واذا حدث بشئ
من تلك العلوم قطعوا منه البلعوم.

وهلا أفضى بها إلى الخلفاء من بعده؛ الغزاة الفاتحين الذين عنت لهم وجوه الأمم،
وخضعت لأقوالهم رقاب العرب والعجم، وساقوا الناس الى ما أرادوا بعضاً واحدة، فانهم
أولى بما يدعيه أبو هريرة إذ لو كانت عندهم تلك الاسرار لانتشرت انتشار الشمس في
الاقطار، وحاشا رسول الله ﷺ أن يفعل عبثاً

(١) هذه الاحاديث الثلاثة ذوات الخذف والبعر والقشع أخرجها بالاسناد اليه ابن سعد في ترجمته: ٥٧
من القسم الثاني من الجزء الرابع من الطبقات.

(٢) أخرجه الحاكم في ترجمة أبي هريرة من المستدرک، فراجع: ٥٠٩ من جزئه الثالث وقد صححه،
وكذلك فعل الذهبي في تلخيصه وما أعز نفس أبي هريرة عليه إذ يقول: لرميتموني بالأحجار بالخذف بالبعر
بالمزابل. وكذلك حين يحدث عن نفسه فيقول: يجيء الجائي فيضع رجله على عنقي. وحين يحدث عن بطنه
وقمله وسائر شؤونه.

(٣) أخرجه أبو نعيم في أحوال أبي هريرة: ٣٨١ من حليته.

فيودعها حيث تضع سدى لا ينتفع بها أحد أبداً، ومن هو أبو هريرة؟!.. ليختص بهذه الحبوة دون السابقين الأولين (والسابقون السابقون أولئك المقربون).

على أن أبا هريرة كان كثيراً ما يقول: إن أبا هريرة لا يكتف ولا يكتب^(١) فكيف يجتمع هذا القول منه مع قوله: حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين: فاما أحدهما فبثثته، وأما الآخر قطع هذا البلعوم. إلى آخر أقواله في هذا المعنى الصريحة بأنه كان يكتف؟!.

ولنسأل أولى البحث عن الاسرار الالهية التي أفضاها ﷺ الى أبي هريرة فكان يكتفها خوفاً على حياته، أو اشفاقاً على كرامته، فهل كانت من نسخ الأسرار التي عهد بها رسول الله ﷺ الى وليه ووصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أموراً تتعلق بالخلافة وتختص بالخلفاء من بعده؟! أم كانت من نسخ آخر؟. فان كانت من النسخ الأول فلماذا كان منصرفاً عنها كل الانصراف مخالفاً لمقتضاها كل الخلاف؟؟ وكان رأيه فيما هنالك رأى الجمهور، مسترسلاً معهم في كل الأمور، وإن كانت النسخ الثاني فلا خوف عليه وان حدث بالطامات أو جاء بالمخزيات!.

ألم يحدث بنوم النبي عن صلاة الصبح؟ وعروض الشيطان له ﷺ وهو في الصلاة ليقطعها عليه؟!.

ألم يرواه سهى فصلى الرباعية ثنائية! فليل له: انسيت أم قصرت الصلاة فقال: لم أنس ولم نقصر؟.

ألم يخبر أنه كان يؤدي ويسب ويلعن ويجلد على الغضب من لا يستحق ذلك؟.

(١) اخرج ابن سعد: ١١٩ من القسم الثاني من الجزء الثاني من طبقاته عند ذكر أبي هريرة في باب أهل

العلم والفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ.

ألم يصم الأنبياء بما لا يجوزه عليهم شرع ولا عقل؟ حتى روى عن رسول الله ﷺ انه قال: نحن احق بالشك من ابراهيم، وروى عن لوط ما يستلزم ضعف ثقته بالله تعالى. ألم يتصور على آدم؛ ونوح؛ و ابراهيم؛ وموسى؛ وعيسى بما يجب تزيههم عنه؟. ألم ينسب الى كلهم الله ونبيه موسى ﷺ: انه لطم ملك الموت فقفا عينه وانه اشتد يركض مرة وهو عريان فمر على بني اسرائيل فنظروا إلى سواته؟ ألم يحدث عن سليمان بن داود انه نقض حكم أبيه؟ وانه أبى أن يعلق امره على مشيئة الله تعالى ففشل في أمره.

ألم يحدث عن الله عز وجل بما لا يجوز عليه شرعاً ولا عقلاً؟ كقوله؟ لا تمتلئ جهنم حتى يضع الله رجله فيها؟ وكقوله في حديث أهل المحشر: فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعود بالله منك ثم يأتيهم في الصورة التي يعرفون: فيقولون: أنت ربنا؟ وكقوله: خلق آدم على صورة الرحمن! وقوله: خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً في سبعة اذرع عرضاً؟ الى كثير مما ستسمعه في الفصل الآتي من هذه الفظائع التي تقطع البلعوم فما باله يحدث بها مطمئناً كل الاطمئنان؟. بل ممتناً بها على الأمة كل الامتنان وقد حدث بالخرافات، فلم يرحم بحجر، ولم يرم بقشع ولا بعر كما يعلمه من ألم بأحواله، ولكن منينا بقوم لا ينصفون، فانا لله وانا اليه راجعون.

* * *

ومما نلفت اليه أولى النظر من كل بحاثه: ان أبا هريرة كان يقول ^(١):

(١) فيما حدث به وهب بن منبه عن اخيه همام عن ابي هريرة، واخرجه البخاري في باب كتابه العلم من كتاب العلم: ٢٢/١ من صحيحه.

ما من أصحاب النبي ﷺ احد اكثر حديثاً عنه مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو (بن العاص) فانه كان يكتب ولا اكتب أهـ.

يعترف ان عبد الله هذا كان اكثر منه حديثاً عن رسول الله ﷺ كما ترى؛ وقد بحثنا عن حديث عبد الله بن عمرو فوجدناه سبعمائة مسند لا يزيد على هذا العدد شيئاً^(١).

فهو دون السبع من حديث أبي هريرة كما لا يخفى.

وقد أرتج على العلماء الاعلام باب الاعتذار عن أبي هريرة في هذا التهافت، لكن ابن حجر القسطلاني والشيخ زكريا الانصاري قد اعتذرا عند انتهائهما الى هذا الحديث في شرحيهما^(٢) بأن عبد الله بن عمرو بن العاص سكن مصر؛ وكان الواردون اليها قليلاً فقلت روايته، بخلاف أبي هريرة، فانه استوطن المدينة وهي مقصد المسلمين من كل جهة؛ فكثرت روايته.

وأنت تعلم ان كلام أبي هريرة بظاهره، بل بصريحه يحبط هذا الاعتذار الاتراه يقول: ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو، فان معناه - كما في ارشاد الساري وفي تحفة الباري كليهما - ما أحد من أصحاب النبي حديثه أكثر من حديثي الا أحاديث حصلت من عبد الله فانها أكثر من حديثي. واذا كان رجل يعترف بأن الاحاديث التي حصلت من عبد الله أكثر من حديثه فأبي وجه لما اعتذر به الشارحان؟.

على أن مقام عبد الله في مصر كان ادعى لكثرة روايته اذ كان له ثمة

(١) وقد ضبطه القسطلاني في شرح هذا الحديث من كتابه - ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري: ٣٧٣ من جزئه الاول - فكان بهذا العدد.

وهما ارشاد الساري للقسطلاني وتحفة الباري لزكريا الانصاري وقد طبعوا معا في اثني عشر جزءاً. ووضع بالمهامش متن صحيح مسلم وشرحه للنووي. والعدر المذكور تجده في: ٣٧٣ من الجزء الأول.

المكانة العالمية السامية. حيث لم يكن هناك سواه ممن تعرفهم الناس من الصحابة إلا انزرت يسير؛ أو عابر سبيل لذلك تبوأ مقام المرجع الوحيد في شرائع الإسلام وعلوم الكتاب والسنة، وشتان بين مقامه في مصر، ومقام أبي هريرة في المدينة، إذ كان لعبد الله في نفوس أهل مصر منزلة العالم المرشد الصدوق وعز ابن الحاكم الفاتح عنوة، أما أبو هريرة في المدينة، فقد كان كواحد من الوف الصحابة الذين كانوا على عهده، وكانت وفود المدينة انما تأتي مشاهير الصحابة وأبو هريرة لم يكن منهم، على انه كان متهما عندهم وكثيراً ما كانوا ينقمون عليه اكثره على رسول الله ﷺ فيقولون: ان أبا هريرة يكثر الحديث، ويقولون: ما للمهاجرين والانصار لا يتحدثون مثل أحاديثه (١) فمقامه في المدينة والحال هذه كان أدعي لقلته روايته، فمن الغريب أن يكون حديثه اكثر من حديث عبد الله، وخصوصاً بعد اعترافه له. وبعد العلم بأن عبد الله عمّر بعد أبي هريرة زمناً ليس بالقصير (٢).

والحق ان أبا هريرة إنما اعترف لعبد الله في اوائل امره بعد رسول الله ﷺ حين لم يكن مفراطاً هذا الافراط الفاحش؛ فانه انما تفاقم افراطه، وطغى فيه على عهد معاوية، حيث لا أبو بكر ولا عمر ولا علي ولا غيرهم من شيوخ الصحابة الذين كان يخشاهم أبو هريرة كما اشرنا اليه وسنوضحه في محله من هذا الاملاء ان شاء الله تعالى.

(١) كان ابو هريرة يتذمر منهم ويشكوهم الى الله فيما اخرج به البخاري عنه في آخر المزارعة من الجزء الثاني من صحيحه.

(٢) لأن أبا هريرة توفي - كما في آخر ترجمة من الاصابة - سنة سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين، وقيل سنة تسع وخمسين أما عبد الله بن عمرو بن العاص فقد مات - كما في ترجمة من الاصابة - سنة خمس وستين، وقيل سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع وستين، وقيل - كما في ترجمة من كتاب القيسراني في رجال الصحيحين - مات سنة اثنين وتسعين، والله تعالى أعلم.

١١ - كيفية حديثه

الأذواق الفنية لا تسيغ كثيراً من أساليب أبي هريرة في حديثه والمقاييس العلمية عقلية لا تقرها. وحسبك عنواناً لهذه الحقيقة اربعون حديثاً صحت عنه، اتلوها الآن عليك لتمعن فيها وفيما علقناه عليها متحرراً متجرداً ولك بعد ذلك رأيك:

١ - خلق الله آدم على صورته

أخرج الشيخان البخاري ومسلم^(١) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً. وزاد أحمد^(٢) من طريق سعد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً: في سبعة أذرع عرضاً، قال: فلما خلقه قال: اذهب فسلم على اولئك النفس من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحيه ذريتك. قال: فذهب فقال: السلام عليكم. فقالوا السلام عليك ورحمة الله، قال: فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن أهـ.

(١) راجع من البخاري الحديث الأول من كتاب الاستئذان في ص ٥٧ من جزئه الرابع. ومن صحيح مسلم باب يدخل الجنة اقوام افدهم مثل افدة الطير من كتاب الجنة وصفة نعيمها: ٤٨١ من جزئه الثاني. واخرجه الامام احمد من حديث أبي هريرة في ٣١٥/٢ من مسنده من حديث طويل يشتمل على امور كثيرة.

(٢) كما آخر: ٩٠/٧ من ارشاد الساري في باب خلق آدم وذريته من كتاب بدء الخلق.

وهذا مما لا يجوز على رسول الله ﷺ ولا على غيره من الأنبياء ولا على أوصيائهم عليهم السلام. ولعل أبا هريرة إنما أخذه عن اليهود (١) بواسطة صديقه كعب الأحبار أو غيره، فان مضمون هذا الحديث إنما هو عين الفقرة السابعة والعشرين من الاصحاح الأول من أصحاحات التكوين من كتاب اليهود - العهد القديم - واليك نصها بعين لفظه قال: فخلق الله الانسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وانثى خلقهم أ هـ.

تقدس الله عن الصورة والكيفية والشبيه. وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وربما تناولوا الحديث فارجعوا ضمير صورته إلى آدم نفسه لا إلى الله تبارك وتعالى فيكون المعنى ان الله عز وجل وعلا خلقه في الجنة على صورته التي كان عليها بعد هبوطه منها إذ نشأه تاماً مستويّاً طوله ستون ذراعاً وعرضه سبعة اذرع لم يتغير من حال الى حال. ولم يتطور أطواراً مختلفه كذريته فلم يكن نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً كسيت لحمًا ثم جنيناً ثم رضيعاً ثم فطيماً ثم مراهقاً ثم رجلاً حتى تم طوله وعرضه. بل خلقه دفعة واحدة على صورته التي رآه عليها بنوه في الأرض.

هذا غاية ما يمكن أن يقوله أهل التنزيه في تأويل هذا الحديث لولا وروده عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: خلق آدم صورة الرحمن (٢) ومجيؤه من

(١) وكان في كثير من حديثه عيالا على اليهود، الا تراه يرسل قوله: ان سيحان وجيحان والفرات ونيل مصر كلها من الجنة، أخرج هذا عنه الخطيب في ترجمة محمد بن الحسين المطبخي في ص ٢٣٥ من المجلد الثاني من تاريخ بغداد وهذا مأخوذ عن العهد القديم.

(٢) هذا الحديث بهذا اللفظ مستفيض عن أبي هريرة وقد جعله القسطلاني قرينة على ان الماء من (صورته) في قول ابي هريرة: خلق الله آدم على صورته انما هي لله تعالى لا لآدم فراجع: ٤٩١/١٠ من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري.

طريق الجمهور بسند آخر مرفوعاً أيضاً بلفظ: ان موسى ﷺ ضرب الحجر لبني اسرائيل فتفجر وقال: اشربوا يا حمير فاوحى الله تعالى اليه عمدت الى خلق خلقتهم على صورتي فشبتهم بالحمير الحديث. (١).

وهذا ما اخرج الجمهور ولم يبق لمدافعهم عن أبي هريرة بالتأويل الذي قلناه محلاً، ولذا أسلموا باعادة الضمير في صورته الى الله تعالى متأولين تاوولا آخر. وحاصله ان المراد من قوله: خلق الله آدم على صورته؛ وقوله؛ خلق آدم على صورة الرحمن، وقوله في الحديث الأخير: خلقتهم على صورتي: أنه تعالى خلق آدم وبنيه على صفة الله. فان الله عز وجل حيٌ سميع بصير متكلم عالم مرید كاره وكذلك آدم وبنوه. وأنت تعلم انهم وقعوا فيما فروا منه لأن صفة الله عز وجل تزهت عن التشبيه باجماع أهل التزيه. ولا سيما على قولنا بأن صفاته عين ذاته، وهو الحق بحكم العقل والنقل كما هو مقرر في محله من اصولنا.

على أن أبا هريرة قد تطور في هذا الحديث كما هي عادته فتارة رواه كما سمعت، وتارة رواه بلفظ: إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته (٢)، ومرة رواه بلفظ: إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ولا يقل: قبح الله وجهك ووجه من اشبه وجهك فان الله خلق آدم على صورته أ هـ (٣).

(١) اورده ابن قتيبة في ص ٢٨٠ من كتابه تأويل مختلف الحديث وجعله دليلاً على ان ضمير صورته في قوله: خلق الله آدم على صورته راجع الى الله لا إلى آدم.

(٢) اخرجه بهذه اللفاظ عن ابي هريرة بطرق اليه كثيرة غير واحد من حفظة الآثار، فراجع: ٣٩٧/٢ من صحيح مسلم في باب النهي عن ضرب الوجه تجده بعين لفظه.

(٣) اخرجه البخاري في الأدب المفرد ورواه احمد بالطرق الصحيحة عن ابي هريرة: ٤٣٤/٢ من مسنده.

ولا يخفي انه قطع بهذا على اوليائه خط الرجعة الى كل من التأويل فانك تعلم انه لا يصح ارجاع الضمير في صورته الى آدم في كل من الروايتين بل لا بد من ارجاعه الى الله عز وجل ليستقيم الكلام، ويصح تعليل النهي عن ضرب الوجه وتقييحه^(١) وتعلم ايضاً ان خلق آدم حياً سمياً بصيراً متكلماً عالماً مريداً كارها لا يوجب اختصاص الوجه بالصون دون باقي الجوارح، فحمل تينك الروايتين على واحد من ذينك التأويلين مما لا وجه له بل لا يكون للروايتين معنى إلا اذا اريد بهما صون وجه الانسان، لكونه يشبه وجه الله. تعالى الله وتقدس ذاته وصفاته وأسمائه.

ولذلك تحير المحققون من أهل التنزيه من الجمهور، وتوقفوا في معاني هذه الأحاديث كلها، واحالوا العلم بالمراد منها الى الله تعالى الذي أحاط بكل شئ علماً، كما صرح به شارحو الصحيحين عند انتهائهم الى هذا الحديث من شروحه فراجع^(٢).

تنبيهان

(أحدهما): انه إذا كان طول آدم ستين ذراعاً يجب مع تناسب اعضائه

(١) ليت ابا هريرة علل النهي عن ضرب الوجه بلطفه وجماله وجمعه للاعضاء النفيسة من السمع والبصر والأنف والشم والشفقتين والأسنان والحاجبين والجبهة وغيرها فان اكثر الادراك انما يكون بما فقد يعطلها الضرب أو ينقصها وقد يشوه الوجه وتشويه الوجه لكونه بارزاً لا يمكن ستره لكن ابا هريرة انما يؤثر التحريف من حيث يدري اولياؤه أو لا يدرون فاننا لله وانا اليه راجعون.

(٢) قال الامام النووي: وان من العلماء من يمسك عن تأويل هذه الأحاديث كلها ويقول: نؤمن بانها حق وان ظاهرها غير مراد ولها معان تليق بما قال: وهذا مذهب جمهور السلف وهو احوط وأسلم الى آخر كلامه. فراجع في شرح صحيح مسلم وهو مطبوع في هامش شرحي البخاري وما نقلناه عنه هنا موجود في ص ١٨ من الجزء ١٢ من الشرح في باب النهي عن ضرب الوجه، ونقل القسطلاني نحوه في: ٤٩١/١٠ من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري. ثم قال: وهذا اسلم قلت: هذا بناء منهم على صحة هذه الاحاديث وهيئات ذلك - وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون - .

أن يكون عرضه سبعة عشر ذراعاً وسبع الذراع، وإذا كان عرضه سبعة أذرع يجب أن يكون طوله أربعة وعشرين ذراعاً ونصف الذراع لأن عرض الإنسان مع استواء خلقه بقدر سبعي طوله فما بال أبي هريرة يقول طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً؟ فهل كان آدم غير متناسب في خلقته مشوهاً في تركيبه؟ كلا! بل قال الله تعالى وهو اصدق القائلين (لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم).

(ثانيهما): ان تحية السلام انما شرعت في دين الاسلام، وقد قال رسول الله ﷺ (١) ما حسدكم اليهود على شئ كما حسدوكم على السلام، فلولا اختصاصه بهذه الأمة ما اختصاصهم بالحسد عليه فما بال أبي هريرة يقول في هذا الحديث: فلما خلق الله آدم قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يميونك فانها تحيتك وتحية ذريتك؟ وما رأى أولى النظر في هذا الخبر؟! وماذا يقولون في قول أبي هريرة: فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن؟!.

٢ - رؤية الله يوم القيامة بالعين الباصرة في صور مختلفة

أخرج الشيخان (٢) بالاسناد الى أبي هريرة قال: قال أناس: يا رسول الله

(١) فيما أخرجه ابن ماجه في صحيحه وصحيحه ابن خزيمة بالاسناد إلى عائشة مرفوعاً ونقله القسطلاني في: ٤٩٢/١٠ من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري أثناء شرح حديث أبي هريرة هذا.

(٢) أما البخاري فأخرجه في آخر: ٩٢/٤ من صحيحه في باب الصراط جسر جهنم من كتاب الرقاق، وأخرجه أيضاً في: ١٠٠/١ من صحيحه في باب فضل السجود من كتاب الاذان - وأما مسلم فأخرجه - في ص ٨٦ من الجزء الاول من صحيحه في باب اثبات رؤية المؤمنين ربحم الآخرة وأخرجه أحمد في ص ٢٧٥ من الجزء الثاني من مسنده.

هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا: لا يا رسول الله؛ قال، فانكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه؛ فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت. وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون! فيقول انا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك! هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فاذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون!! فيقول انا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه! ويضرب جسر جهنم (قال): قال رسول الله ﷺ: فأكون أول من يجيز (١) ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم؛ وبه كلاب مثل شوك السعدان أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمتها إلا الله فتحطف الناس باعمالهم منهم الموبق بعمله؛ ومنهم المخردل ثم ينجو حتى اذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله الا الله أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفوهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود فيخرجوهم قد امتحشوا فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل؛ ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، فيقول: يا ربي قشبي ويحها وأحرقني ذكاؤها فاصرف وجهي عن النار فلا يزال يدعو الله، فيقول: لعلك إن اعطيتك أن تسألني غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك: ياربي قربني الجنة، فيقول: أليس قد زعمت ان لا تسألني غيره؟ ويلك يابن آدم ما أغدرك، فلا

(١) يجيز لغة في يجوز يقال: جاز وأجاز بمعنى واحد، كذا قال في النهاية الأثرية.

يزال يدعو فيقول: لعلي ان أعطيتك ذلك تسألني غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره فيعطي الله من عهود ومواثيق ان لا يسأله غيره فيقربه الى باب الجنة فاذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله ان يسكت ثم يقول: ربي ادخلي الجنة فيقول له: أدريس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا بن آدم ما اغدرك فيقول: ياربي لا تجعلني اشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك (الله)؟! فاذا ضحك منه اذن له بالدخول فيها فإذا دخل قيل تمن من كذا فيتمنى. ثم يقال له: تمن من كذا فيتمنى حتى تنقطع به الأمان فيقول له هذا لك ومثله معه. الحديث.

وقد أخرجه مسلم بسند آخر ^(١) ومما جاء فيه عنده: ان الله عز وجل يأتي يوم القيامة هذه الأمة وفيها البر والفاجر وهو في ادنى صورة من التي رأوه فيها فيقول لهم: انا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك! فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم فيكشف عن ساق! فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاه نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من يسجد اتقاء ورتاء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم فيرون الله وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال: انا ربكم! فيقولون: أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم الحديث، وهو طويل وقد اختصره البخاري في تفسير سورة نون من صحيحه ^(٢) ولفظه ثمة: سمعت النبي ﷺ يقول: يكشف ربنا عن ساق! فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من يسجد في الدنيا رتاء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقةً واحدةً أ هـ.

وهذا حديث مهول الفت اليه ارباب العقول فهل يجوز عندهم ان تكون

(١) في ص ٨٨ والتي بعدها من الجزء الأول من صحيحه في باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة من أواخر كتاب الإيمان.

(٢) ص ١٣٨ من جزئه الثاني.

لله صور مختلفة ينكرون بعضها ويعرفون البعض الآخر؟ وهل يرون ان الله ساقاً تكون آية وعلامة عليه؟ وبأي شئ كانت ساقه علامة دون غيرها من الاعضاء؟ وهل تجوز عليه الحركة والانتقال فيأتيهم اولا وثانياً وهل يجوز عليه الضحك؟ واي وزن لهذا الكلام؟ وهل يشبه كلام رسول الله ﷺ؟ لا والذي بعثه بالحق (رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) .

كلمة في الرؤية

أما رؤية الله عز وجل بالعين الباصرة فقد أجمع الجمهور على امكانها في الدنيا والآخرة، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة؛ وان المؤمنين والمؤمنات سيرونه يوم القيامة بأبصارهم، وان الكافرين والكافرات لا يرونه أبداً، واكثر هؤلاء على أن الرؤية لاتقع في الدنيا، وربما قال بعضهم بوقوعها أيضاً، ثم ان الجسمة من هؤلاء زعموا أنهم سيرونه يوم القيامة باتصال الأشعة من أبصارهم بجسمه ماثلاً أمامهم فينظرون اليه كما ينظر بعضهم إلى بعض لا يمارون فيه كما لا يمارون في الشمس والقمر ليس دونهما سبحانه على ما يقتضيه حديث أبي هريرة وقد خالف هؤلاء حكم العقل والنقل؛ وخرقوا اجماع الامة بأسرها، وخرجوا عليها. ومرقوا من الدين، وخالفوا ما علم منه بحكم الضرورة الاسلامية. فلا كلام لنا معهم.

وأما غيرهم من الجمهور وهم المتزهون من الأشعرية فقد قالوا بأن الرؤية قوة سيجعلها الله تعالى يوم القيامة بابصار المؤمنين والمؤمنات خاصة لا تكون باتصال الأشعة، ولا بمقابلة المرئي ولا بتخيزه ولا بتكيفه، ولا، ولافهي على غير الرؤية المعهودة للناس، بل هي رؤية خاصة تقع من أبصار المؤمنين والمؤمنات على الله عز وجل لا كيف فيها ولا جهة من الجهات الست.

وهذا محال لا يعقل، ولا يمكن أن يتصور متصور إلا اذا اختص الله المؤمنين في السدار الآخرة يبصر آخر لا تكون فيه خواص الأبصار المعهودة في الحياة الدنيا على وجه تكون فيه الرؤية البصرية كالرؤية القلبية وهذا خروج عن محل النزاع في ظاهر الحال، ولعل النزاع بيننا وبينهم في الواقع ونفس الأمر لفظي.

٣ - لا تمتلئ النار حتى يضع الله تعالى رجله فيها

وأخرج الشيخان من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أو ثرت بالمتكبرين والمتحجرين!. وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطتهم قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي. وقال للنار إنما أنت عذاب اعذب بك من أشياء من عبادي. ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله قط قط فهناك تمتلئ ويزوي بعضها الى بعض الحديث (١).

إن أبا هريرة كلما أزداد مثاله زاده الله رعالة (٢) رأى ان جهنم أوسع من أن تمتلئ بالعصاة وان الله عز وجل أحرر بامتلائها إذ قال (فالحق والحق أقول لاملأن جهنم) فوقف أبو هريرة أمام هذين الأمرين وقفه الحائر يفكر في الجمع بينهما حتى انتهى به الفكر الى حل المشكلة بادخال رجل الله في جهنم لأن رجل الله تعالى - على رأي أبي هريرة - لا بد أن تكون أفخم وأعظم من جهنم

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة ق: ١٢٧/٣ من صحيحه وأخرجه مسلم في: ٤٨٢/٢ من صحيحه في باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء أخرجه من خمسة طرق عن أبي هريرة، وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة آخر: ٣١٤/٢ من مسنده.

(٢) مثل يضرب لمن كان كلما أزداد رزقاً زاده الله حقاً.

مههما كانت جهنم متسعة الاكناف، ومههما كانت متباعدة الأطراف، وأبو هريرة كيس ثقف لقف، فلا غرو ان جمع بين المتناقضات؛ لكن فاته تدبر قوله تعالى اذ (قال فالحقّ ^(١) والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) ولو تدبر الآية لاعتقل لسانه وانصرف يتعثر بنمرته، فالها نص في أن امتلاءها لا يكون الا منه، أي من جنسه وهم الشياطين وممن تبعه من الناس كافة.

وعلى كل: فان هذا الحديث محال ممتنع بحكم العقل والشرع، وهل يؤمن مسلم يتره الله تعالى بأن لله رجلا؟. وهل يصدق عاقل بأنه يضعها في جهنم لتمتلي بها؟! وما الحكمة بذلك؟! وأي وزن لهذا الكلام البارد؟! وبأي لسان تتحاج النار والجنة؟! وبأي حواسهما ادركتا ما ادركناه وعرفتا من دخلهما وأي فضل للمتجبرين والمتكبرين لتفخرهم النار وهم يومئذ في اسفل سافلين؟ وكيف تظن الجنة ان الفائزين بها من سقطه الناس وهم من الذين انعم الله عليهم بين نبي وصديق وشهيد وصالح ما أظن الجنة والنار قد بلغ بمهما الجهل والحمق والخرف الى هذه الغاية؟.

٤ - نزول ربه كل ليلة إلى سماء الدنيا تعالى الله

— أخرج الشيخان من طريق ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغرّو أبي سلمة ابن عبد الرحمان عن أبي هريرة مرفوعاً قال: يتزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين تبقى الثلث الاخير يقول: من يدعوني فأستجيب له الحديث ^(٢).

تعالى الله عن التزول والصعود والمجئ والذهاب والحركة والانتقال

(١) فالحق مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: فالحق قسمي أو يميني لأملأن جهنم والحق أقول أعتراض بين المقسم به والمقسم عليه معناه: لا أقول إلا الحق.

(٢) أخرجه البخاري في باب الدعاء نصف الليل: ٦٨/٤ من صحيحه في كتاب الدعوات، وأخرجه أيضاً في آخر: ١٣٦/١ من صحيحه في باب الدعاء والصلاة من آخر الليل في كتاب الكسوف، وأخرجه مسلم في: ٢٨٣/١ من صحيحه في باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل وأخرجه احمد بن حنبل من حديث ابي هريرة في: ٢٥٨/٢ من مسنده.

وسائر العوارض والحوادث، وقد كان هذا الحديث والثلاثة التي قبله مصدراً للتجسيم في الاسلام، كما ظهر في عصر التعقيد الفكري. وكان من الحنابلة بسببها انواع من البدع والاضاليل، ولا سيما ابن تيمية الذي قام على منبر الجامع الاموي في دمشق يوم الجمعة خطيباً، فقال اثناء اضاليه: ان الله يتزل الى سماء الدنيا كثر ولي هذا ونزل درجة من درج المنبر يريهم نزول الله تعالى نزولاً حقيقاً بكل ما للتزول من لوازم كالحركة والانتقال من العالي الى السافل، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وانكر عليه ما قال؛ فقامت العامة الى هذا الفقيه وضربوه بالايدي والنعال ضرباً كثيراً فسقطت عمامته واحتملوه الى قاضي الحنابلة يومئذ في دمشق واسمه عز الدين ابن مسلم فأمر بسجنه، وعزره بعد ذلك، الى آخر ما كان في هذه الواقعة (١).

٥ - نقض سليمان حكم أبيه داود

أخرج الشيخان (٢) بالاسناد الى أبي هريرة مرفوعاً قال: كانت امرأتان

(١) التي حضرها الرحالة ابن بطوطة بنفسه ورآها بعينه وسجلها في: ٥٧/١ من رحلته عند ذكره قضية دمشق فراجع.

(٢) اما البخاري فقد أخرجه في اول: ١٦٦/٢ من صحيحه في باب قوله تعالى: (**ووهينا لداود سليمان نعم العبد انه اواب**) من كتاب بدء الخلق واما مسلم فأخرجه في: ٥٧/٢ من صحيحه في باب بيان اختلاف المجتهدين من كتاب الأفضية، وأخرجه احمد بن حنبل من حديث أبي هريرة في: ٣٢٢/٢ من مسنده.

معهما ابناهما جاء فذهب باين احدهما فقالت صاحبتهما: انما ذهب بابنك وقالت الاخرى: انما ذهب بابنك، فتحا كمتا الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليه السلام فأخبرناه فقال اتتوني بالسكين اشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى؛ قال أبو هريرة والله ان سمعت بالسكين الا يومئذ وما كنا نقول الا المدية أهـ في هذا الحديث نظر من وجوه:

(أحدها): ان داود عليه السلام خليفة الله في ارضه، ونبيه المرسل الى عباده وقد أمره الله ان يحكم بين الناس بالحق فقال عز من قائل: (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق) وقد أتى عليه في الذكر الحكيم والفرقان العظيم فقال عز من قائل: (واذكر عبدنا داود ذا الاید انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) الى ان قال عز سلطانه: (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) وقال عز وعلا: (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً) فداود ممن فضله الله بزوره فهو معصوم من الخطأ ولا سيما في القضاء والحكم بما أنزل الله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وولده سليمان وارث علمه وحكمه؛ وهو نبي معصوم أيضاً فكيف ينقض حكم ابيه وهو أعرف الناس بعصمته؟ ولو ان حاكماً في هذه الايام من قضاة الشرع جامعاً لشرائط الحكومة الشرعية حكم بين اثنين ترافعا اليه لوجب على سائر حكام الشرع اعتبار حكمه بدون توقف الا مع العلم بخطئه والخطأ هنا مأمون لوجوب عصمة الأنبياء، فلا يجوز على سليمان وهو من أنبياء الله ان ينقض حكم ابيه الذي ارتضاه الله ورسولا لعباده وحاكما بينهم لان نقضه رد على الله تعالى وسوء ادب مع ابيه بل عقوق له.

(ثانيها): ان هذا الحديث صريح بتناقض الحكيمين الصادرين من هذين

النبيين وذلك مما يوجب القطع بخطأ أحدهما لو كان الحديث صحيحاً والخطأ ممتنع على الأنبياء ولا سيما في مقام الحكم بما أنزل الله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) .

(ثالثها): ظاهر هذا الحديث ان داود عليه السلام حكم بالولد للكبرى بدون بينة ولا مستند غير أنها كبرى وهذا لا يصدر إلا من جاهل بالموازين الشرعية بعيد عن قوانين المحاكمات تعالى الله وتزهت انبياءه عن ذلك.

(رابعها): ان هذا الحديث صريح في ان سليمان انما حكم به للصغرى بمجرد اشفاقها عليه من الشق بالسكين وهذا بمجرد لا يكون ميزاناً لحكمه، ولا سيما بعد اقرارها به للكبرى؛ وبعد حكم أبيه بذلك.

(خامسها): لا ينقضي والله عجي من يسعه تصديق أبي هريرة في قوله: والله ان سمعت بالسكين الا يومئذ وما كنا نقول الا المدينة، وى أن السكين اكثر دوراناً في كلام العرب من المدينة بكثير! وما اظن أحداً منهم يجهل معنى السكين بخلاف المدينة؛ فان اكثر العامة لا يعرفونها وى كأن أبا هريرة لم يقرأ ولم يسمع قوله تعالى في سورة يوسف وهي مكية: (وآت كل واحدة منهن سكيناً)^(١).

وكأنه لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: من جعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكين^(٢).

(١) سورة يوسف كلها نزلت في مكة إلا اربع آيات منها نزلت في المدينة ثلاث من اولها والرابعة: (لقد كان يوسف وأخواته آيات للساثلين) وابو هريرة إنما اسلم بعد نزولها بأكثر من سبع سنين وكانت محفوظة يرتلها المسلمون آناء الليل واطراف النهار، وقد سمعهم يقرؤونها في صلواتهم وخلواتهم وفي كثير من اوقاتهم.

(٢) بلى قد رواه وأخرجه عنه الامام احمد في: ٢/٢٣٠ من مسنده من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن العلاء عن ابيه عن ابي هريرة مرفوعاً.

تنبيه

ظن أبو هريرة أن داود وسليمان (إذ يحكمان في الحرث) كانا متناقضين في الحكم فهان عليه تزوير تلك القصة الخيالية ولم يدر أنهما إنما كانا على الصواب وإن حكم كل منهما وعلمه إنما كان من لدن ربّ الأرباب.

ومجمل قضيتهما أن غنماً أصابت في الليل حرثاً وكان كرمًا قد بدت عناقيده (١) فأكلته فترافع صاحب الحرث وأصحاب الغنم إلى داود عليه السلام فكان بمقتضى شرعه الموحى إليه من الله تعالى أن يحكم بالغنم لصاحب الحرث لأن قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث، فلما أراد أن يحكم بذلك نسخه الله تعالى على لسان سليمان وكان شريكه في النبوة فأفهمه الله أن الحكم أصبح في مثل تلك الواقعة أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأصوافها ويدفع الحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود كهيئته قبل عيث الغنم فيه ثم يترادان.

جعل الله في هذا الحكم انتفاع صاحب الحرث بالغنم بازاء ما فاته من الانتفاع بحرثه من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على أصحاب الغنم أن يعملوا في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان؛ فلما أفهم الله عز وجل سليمان ذلك رفعه إلى أبيه فعزم أبوه عليه ليحكم بما أنزل الله عليه فحكم به.

هذا ملخص ما كان يومئذ بينهما لا تناقض فيه ولا اختلاف شأن كل حكيم عن الله تعالى نسخ ثانيهما الأول.

وأنا أتلو عليك من محكمات الفرقان ما يلمسك هذه الحقيقة قال تبارك وتعالى: (**وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت (٢) فيه غنم القوم وكنا**

(١) فيما روى عن الامامين الباقرين الصادق أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.

(٢) النفش هو الانتشار في الليل.

لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان^(١) وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن والطير وكنا فاعلين) فانظر الى قوله عز اسمه وكلا آتينا حكماً وعلماً تجده نصاً
في اهما جميعاً على الصواب، وان حكم كل منهما وعلمه انما هو من لدن رب الارباب.
لكن من رأي أبي هريرة ان أنبياء الله يجوز عليهم الحكم. مجرد الاجتهاد لذلك جوز
عليهم الخطأ فيما يحكمون به كسائر المجتهدين.

(ما قدروا الله حق قدره) إذ جوزوا الاجتهاد والعمل بالظن على مهابط وحي الله،
ومختلف ملائكته، وجوزوا الخطأ عليهم حتى في القضاء الشرعي والحكم عن الله عز
وجل: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) .

ولو ثابت اليهم أحلامهم لعلموا أن العمل بالاجتهاد واستفراغ الوسع محال على
الأنبياء لانه لا يوصل غالباً إلا الى الظن، والأنبياء لا يعولون عليه لنمكتهم من العلم
بسبب الوحي، وانما يجوز ذلك لمجتدي الأمة لأنه أقصى ما يتمكنون منه.

ولو جاز الاجتهاد على الأنبياء لجاز لغيرهم من المجتهدين أن يعارضوهم فيما يصدعون
به من أحكام الله وحينئذ لاتبقى للنبوّة منزلتها؛ ولا للنبيين الشأن لا يلحقه لاحق ولا
يطمع من غيرهم فيه طائع، وهل يجراً مؤمن من المجتهدين أن يعارض النبي وينقض حكمه
صلى الله عليه وآله كلاً! انه الكفر بالاجماع.

على أن القرآن العظيم والذكر الحكيم صريح بأن النبي ﷺ إنما يعمل بالوحي: (
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) وهكذا سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله
عليهم أجمعين.

(١) أي فهمنا هذه الحكومة سليمان فكانت ناسخة للحكومة التي كان الله من ذي قبل فهمها داود

٦ - طواف سليمان بمائة امرأة في ليلة

أخرج الشيخان بالاسناد الى أبي هريرة مرفوعاً قال: سليمان ابن داود لأطوفنّ الليلة بمائة امرأة! تلد كل غلاماً! يقاتل في سبيل الله! فقال له الملك: قل إن شاء الله فلم يقل!! فأطاف بهن! فلم تلد إلا امرأة نصف انسان! (قال أبو هريرة): قال النبي ﷺ لو قال ان شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته.

(قلت): وفي هذا أيضاً نظر من وجوه:

(أحدها): ان القوة البشرية لتضعف عن الطواف بهن في ليلة واحدة مهما كان الانسان قوياً، فما ذكره أبو هريرة من طواف سليمان ﷺ بهن مخالف لنواميس الطبيعة لايمكن عادة وقوعه أبداً.

(ثانيها): انه لا يجوز على نبي الله تعالى سليمان ﷺ أن يترك التعليق على المشيئة، ولا سيما بعد تنبيه الملك إياه إلى ذلك. وما يمنعه من قول ان شاء الله؟ وهو من الدعاة إلى الله والأدلاء عليه، وانما يتركها الغافلون عن الله عز وجل، الجاهلون بأن الأمور كلها بيده فما شاء منها كان وما لم يشأ لم يكن، وحاشا أنبياء الله عن غفلة الجاهلين إنهم ﷺ لفوق ما يظن المخرفون.

(ثالثها): أن أبي هريرة قد اضطرب في عدة نساء سليمان، فتارة روى انهن مائة امرأة كما سمعت^(١)، وتارة روى انهن تسعون^(٢)، وتارة روى انهن

(١) وقد أخرجه البخاري في باب قول الرجل: لأطواف الليلة على نسائي في آخر: ١٧٦/٣ من صحيحه في الورقة الأخيرة من كتاب النكاح، وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة: ٢٢٩/٢، ٢٧٠ من مسنده.

(٢) كما أخرجه البخاري عنه في: ١٠٧/٤ من صحيحه في باب الاستثناء في الايمان من كتاب الايمان والندور.

سبعون^(١)، وتارة روى اهن ستون^(٢) وهذه الروايات كلها في صحيحي البخاري ومسلم ومسند أحمد فما أدري مايقوله فيها المعتذرون عن هذا الرجل؟ أيقولون ان هذه الحادثة تكررت من سليمان مع زوجاته؟ وكن مرة مائة ومرة كن تسعين ومرة سبعين وأخرى ستين: وفي كل مرة ينبهه الملك فلا يقول: ما اظنهم يقولون بهذا ولو قالوا: قد اتسع الخرق على الراقع؛ لكان اولى بهم وفي المثل السائر: ليس لكذوب حافظة.

٧ - لطم موسى عين ملك الموت

أخرج الشيخان صحيحهما بالاسناد إلى أبي هريرة قال: جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام فقال له: أحب ربك. قال فلطم موسى عين ملك الموت فقفاها: قال: فرجع الملك الى الله تعالى فقال: أنك ارسلتي الى عبد لك لا يريد الموت فقفا عيني. قال فرد الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدي فقل: الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور: فما توارت بيدك من شعرة فانك تعيش بما سنة الحديث.^(٣)

-
- (١) كما أخرجه البخاري بالاسناد اليه في: ١٦٥/٢ من صحيحه في باب قوله تعالى: (**ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب**) من كتاب بدء الخلق.
- (٢) كما أخرجه مسلم بالاسناد اليه في باب الاستثناء من كتاب الايمان -: ٢٣/٢ من صحيحه، وأخرج مسلم أيضاً في ذلك الباب نفسه حديثاً من طريق آخر عن ابي هريرة اهن سبعون واخرج فيه من طريق ثالث اهن تسعون فراجع.
- (٣) اوردناه بلفظ مسلم وقد اخرج - عن ابي هريرة بطرق كثيرة - في باب فضائل موسى من كتاب الفضائل من صحيحه: ٣٠٩/٢، وأخرجه البخاري في باب وفاة موسى من كتاب بدء الخلق بعد حديث الخضر بأقل من صفحتين من صحيحه فراجع: ١٦٣/٢ واخرجه أيضاً في باب من احب السدفن في الأرض المقدسة من ابواب الجنائز من صحيحه فراجع: ١٥٨/١.

وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة في مسنده ^(١) وفيه: أن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً: قال: فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه الحديث، وأخرجه ابن جرير الطبري في الجزء الأول من تاريخه ^(٢) عن أبي هريرة ولفظه عنه: أن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه وفي آخره ان ملك الموت جاء إلى الناس خفياً بعد موت موسى ^(٣).

وأنت ترى ما فيه مما لا يجوز على الله تعالى، ولا على انبيائه. ولا على ملائكته، ألبق بالحق تبارك وتعالى ان يصطفي من عباده من يبطش على الغضب بطش الجبارين؟؟، ويوقع بأسه حتى في ملائكة الله المقربين ويعمل عمل المتمردين؟. ويكره الموت كراهة الجاهلين؟. وكيف يجوز ذلك على موسى؟ وقد اختاره الله لرسالته، وائتمنه على وحيه، وآثره بمناجانه، وجعله من سادة رسله، وكيف يكره الموت هذا الكره مع شرف مقامه؟ ورغبته في القرب من الله تعالى والفوز بلقائه؟ وما ذنب ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَام؟ وإنما هو رسول الله اليه. وبما استحق الضرب والمثلة فيه بقلع عينه؟ وما جاء إلا عن الله وما قال له: سوى أحب ربك أيجوز على أولي العزم من الرسل اهانة الكرويين من الملائكة؟ وضرهم حين يبلغونهم رسالات الله وأوامره عز وجل!؟. تعالى الله وتعال أنبيأؤه وملائكته عن ذلك علواً كبيراً.

ونحن لم برئنا من أصحاب الرس، وفرعون موسى، وأبي جهل، وأمثالهم ولعناتهم بكرة وأصيلاً؟. أليس ذلك لأنهم آذوا رسل الله حين جاؤوهم بأوامره

(١): ٣١٥/٢.

(٢) وذلك حيث ذكر وفاة موسى في كتابه تاريخ الامم والملوك.

(٣) لو ان ملك الموت كان يأتي عياناً قبل وفاة موسى لطفحت به الاخبار واشتهر اشتها الشمس في رابعة النهار فما بال المحدثين والمؤرخين واهل الاخبار من جميع الامم اغفلوا هذا الخبر لو كان له اثر، وما بال القصاصين والمخرفين ما حام خيالهم حوله، فهل تركوا الامتياز به لأبي هريرة؟

فكيف نجوز مثل فعلهم على انبياء الله وصفوته من عباده؟ حاشا لله ان هذا لبهتان عظيم.
ثم إن من المعلوم أن قوة البشر بأسرهم، بل قوة جميع الحيوانات منذ خلقها الله تعالى
إلى يوم القيامة لا تثبت امام قوة ملك الموت فكيف - والحال هذه - تمكن موسى عليه السلام
من الوقعة فيه؟ وهلا دفعه الملك عن نفسه؟ مع قدرته على ازهاق روحه، وكونه مأموراً
عن الله تعالى بذلك.

ومتى كان للملك عين يجوز أن تففقاً؟!.

ولا تنس تضييع حق الملك وذهاب عينه. ولطمته هدرأ، وإذ لم يؤمر الملك من الله بأن
يقتص من موسى صاحب التوراة التي كتب الله فيها (ان النفس بالنفس والعين بالعين
والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص) ^(١) ولم يعاتب الله موسى
على فعله هذا بل اكرمه إذ خيره بسببه بين الموت والحياة سنين كثيرة بقدر ما تواريه يده
من شعر الثور.

وما ادري والله ما الحكمة في ذكره شعر الثور بالخصوص؟!.

أما وعزة الحق، وشرف الصدق وعلوهما على الباطل والافك لقد حَمَل هذا الرجل
اوليائه ما لا طاقة لهم به. وكلفهم باحاديثه هذه بما لا تحتمله عقولهم ابداً ولا سيما قوله
في هذا الحديث: إن ملك الموت قبل وفاة موسى كان يأتي الناس عياناً وانما جاءهم خفياً
بعد موت موسى نعوذ بالله من سبات العقل وخطل القول والفعل، ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم.

(١) إشاره الى الآية ٤٥ من سورة المائدة، وقد وجدنا في الفقرة ٢٣ من الاصحاح ٢١ من اصحاحات
الخروج، من التوراة الموجودة في أيدي اليهود والنصارى في هذه الايام ما هذا لفظه: ان حصلت اذية تعطى
نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلاً برجل وكياً بكى وجرحاً بجرح ورضاً برض.

٨ - فرار الحجر بتياب موسى وعدو موسى خلفه ونظر بني اسرائيل اليه مكشوفاً
أخرج الشيخان في صحيحهما بالاسناد إلى أبي هريرة قال: كان بنو اسرائيل يغتسلون
عراة ينظر بعضهم الى سواة بعض، وكان موسى ﷺ يغتسل وحده فقالوا: والله ما يمنع
موسى ان يغتسل معنا إلا أنه آدر (أي ذو فتق) قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على
حجر ففر الحجر بثوبه! فجمع موسى بأثره يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى نظر بنو
اسرائيل الى سواة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس فقام الحجر بعد حتى نظر إليه
فأخذ موسى ثوبه فطفق بالحجر ضرباً؟ فوالله ان بالحجر ندباً^(١) ستة أو سبعة الحديث^(٢).
وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن هذه الواقعة هي التي أشار الله اليها بقوله عز من
قائل: (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند
الله وحيهاً) أ هـ.

وأنت ترى ما في هذا الحديث من المحال الممتنع عقلاً فانه لا يجوز تشهير كليم الله ﷺ
بإبداء سواته على رؤوس الأشهاد من قومه لأن ذلك ينقصه ويسقط من مقامه، ولا سيما
إذا رأوه يشتد عارياً ينادي الحجر وهو لا يسمع ولا يبصر: ثوبي حجر ثوبي حجر ثم يقف
عليه وهو عاري أمام الناس فيضربه

(١) الندب بوزن جمل اثر الجراح اذا لم يرتفع عن الجلد.

(٢) اوردناه بلفظ مسلم إذ أخرجه عن أبي هريرة بطرق كثيرة فراجع باب فضائل موسى: ٣٠٨/٢ من
صحيحه واخرجه البخاري في الباب الذي هو بعد حديث الخضر من صحيحه: ١٦٢/٢ وفي: ٤٢/١ في باب
من اغتسل عريانا من كتاب الغسل، واخرجه احمد من حديث أبي هريرة من طرق كثيرة فراجع: ٣١٥/٢ من
مسنده.

والناس تنظر اليه مكشوف العورة كالمجنون!

وهذه الحركة لو صحت فانما هي من فعل الله تعالى فكيف يغضب منها كلليم الله فيعاقب الحجر عليها؟! وما هو إلا مقسور على الحركة وأي أثر لعقوبة الحجر؟؟.

ثم ان هربه بثياب موسى عليه السلام لا يبيح له ابداء عورته، وهتك نفسه بذلك وقد كان في امكانه أن يبقى في مكان حتى يؤتى بثيابه أو بساتر غيرها كما يفعله كل ذي لب اذا ابتلى بمثل هذه القصة.

على أن هرب الحجر من المعجزات وحوارق العادات التي لا تكون الا في مقام التحدي كمقام انتقال الشجرة من مكة المعظمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اقترح عليه المشركون ذلك فنقلها الله عز وجل من مكانها تصديقاً لدعوته وتثبيتاً لنبوته صلى الله عليه وآله وسلم ومن المعلوم أن مقام موسى عليه السلام وهو يغتسل لم يكن مقام تحد وتعجيز فلا تقع فيه المعجزات وحوارق العادات ولا سيما اذا ترتب عليها فضيحة نبي الله بابداء سوءاته للملأ من قومه على وجه يستخف به كل من رآه وكل من سمع بخبره هذا واما براءته من الادرة فليست من الامور التي يباح في سبيلها هتكه وتشهيره ولاهي من المهمات التي تصدر بسببها الآيات اذ يمكن العلم ببراءته منها بسبب اطلاع نسائه عليه؛ واخبارهن بحقيقة حاله.

ولو فرض ابتلاؤه بالادرة فأبي بأس عليه بذلك؟. وقد اصيب شعيب عليه السلام ببصره وايوب عليه السلام بجسمه وانبياء الله كافة تمرضوا وماتوا، ولا يجب انتفاء مثل هذه العوارض عن انبياء الله ورسله، ولا سيما اذا كانت مستورة عن الناس كالادرة، نعم لا يجوز عليهم ما يوجب نقصاً في مداركهم أو في مروءتهم أو يوجب نفرة الناس عنهم واستخفافهم بهم والادرة ليست في شئ من ذلك.

على ان القول بأن بني اسرائيل كانوا يظنون ان في موسى ادرة لم ينقل الا عن أبي هريرة.

أما الواقعة التي أشار الله اليها بقوله عز من قائل: (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله قالوا) فالمروي عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس أنها قضية إتهامهم إياه بقتل هارون. وهو الذي اختاره الجبائي وقيل هي قضية المومسة التي اغراها قارون بقذف موسى عليه السلام بنفسها فبرأه الله تعالى اذ انطقها بالحق؛ وقيل آذوه من حيث نسبوه الى السحر والكذب والجنون بعدما رأوا الايات.

واني لأعجب من الشيخين يخرجان هذا الحديث والذي قبله في فضائل موسى وما أدري أي فضيلة بضرب ملائكة الله المقربين وفقء عيونهم عند أرادهم تنفيذ أوامر الله عز وجل؟ وأي منقبة بابداء العورة للناظرين وأي وزن لهذه السخافات؟ ان كليم الله ونجيته ونبيه لأكبر من هذا، وحسبه ماصدع به الذكر الحكيم والفرقان العظيم؛ من خصائصه الحسنی عليه السلام.

٩ - فزع الناس يوم القيامة الى آدم فنوح فابراهيم فموسى فعيسى رجاء شفاعتهم فاذا

هم في أمرهم مبلسون

اخرج الشيخان بالاسناد الى أبي هريرة حديثاً (من أحاديثه الطويلة) مرفوعاً جاء فيه ما هذا نصه: يجمع الله الناس الأولين منهم والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد يسمعون الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يهتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟. فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر خلقتك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه؟ ألا ترى الى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله! ولن يغضب بعده مثله! وانه ثماني عن الشجرة

فعصيته نفسي نفسي نفسي!!! اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح (قال) فيأتون نوحاً
 ﷺ فيقولون: يا نوح انك أنت أول الرسل الى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً
 اشفع لنا إلى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه؟ فيقول: ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب
 قبله مثله ولن يغضب بعده مثله! وانه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي! نفسي نفسي
 نفسي!!! اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم (قال): فيأتون ابراهيم ﷺ فيقولون:
 يا ابراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الارض اشفع لنا الى ربك؛ ألا ترى الى ما نحن فيه؟
 فيقول لهم: ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله: ولن يغضب بعده مثله!
 واني قد كنت كذبت ثلاث كذبات! نفسي نفسي نفسي،، اذهبوا الى غيري اذهبوا الى
 موسى ﷺ (قال) فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته
 وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك أترى الى ما نحن فيه؟ فيقول ان ربي قد غضب
 اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، واني قد قتلت نفساً لم أوامر
 بقتلها؛ نفسي نفسي نفسي،، اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى ﷺ (قال): فيأتون
 عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته التي القاها الى مريم وروح منه وكلمت
 الناس في المهد صبياً اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه؟ (قال): فيقول عيسى
 ﷺ ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله! ولن يغضب بعده مثله، - ولم
 يذكر ذنباً - نفسي نفسي نفسي،، اذهبوا الى محمد، قال فيأتون محمداً ﷺ فيقولون:
 يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر اشفع
 لنا الى ربك، ألا ترى الى ما نحن فيه؟ قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: فانطلق فأتى
 تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه
 شيئاً لم يفتححه على أحد قبلي ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع
 رأسي فأقول: امي يارب امي يارب فيقال

يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب الحديث. (١).

وفيه من التسور على مقام أولي العزم من أنبياء الله وأصفيائه ما تبرأ منه السنن وتنتزه عن خطئه فان للسنن المقدمة (سنن نبينا ﷺ) في تعظيم الأنبياء غاية تملأ الصدور هيبه واجلالا وتعنو لها الجباه بخوعاً وقد ملأت مسامع الدهر بحمدهم ونظمت حاشيتي السبرو والبحر بحمدهم؛ فكل ما عرفته الأمم لهم من جلاله تخشع امامها العيون ومهابة تتطا من لديها المفارق وعظمة تتصاغر عندها الهمم ويخفض لها جناح الضعة فانما هو من آثاره ﷺ ولولا فرقانه العظيم، وقرآنه الحكيم، وسنته المعصومة ما عرفهم ممن تأخر عنهم احد اذ ليس (غير الكتاب والسنة) في ايدي الناس برهان قاطع ولا حجة بالغة، بل لا خبر مسند ولا رواية تليق بالعقول، فرسول الله ﷺ حفظ بسنته وكتاب ربه عز وجل خصائص الأنبياء وسننهم؛ وخلد بحمدهم وحمدهم، ومثل اخلاصهم لله بالعبادة... واخلاصهم للعباد بالنصح والارشاد والافادة، كما حفظ بهما تاريخ الأمم الماضية، والقرون الخالية، وتم بهما مكارم الأخلاق، ومحامد الصفات والآداب، وشرع بهما عن الله تعالى تلك الأنظمة الحكيمة، والقوانين القويمة، شرائع تضمن للبشر كافة سعادة الدنيا والآخرة وجمع فيهما العلم والحكمة والسياسة وشرف المعاش والمعاد، وحفظ بهما لغة الضاد الى يوم التناد.

(١) أوردناه بلفظ البخاري في: ١٠٠/٣ من صحيحه في باب ذرية من حملنا مع نوح من تفسير سورة بني اسرائيل، وأخرجه مسلم في: ٩٧/١ من صحيحه في أواخر باب اثبات الشفاعة وهو في أواخر كتاب الإيمان، وأخرجه احمد من حديث أبي هريرة بطرق اليه كثيرة في الجزء الثاني من مسنده.

فحديث أبي هريرة هذا - بهرائه وهذره (١) - اجنبي عن كلام رسول الله ﷺ مابين اسننه كل المباينة. ومعاذ الله ان ينسب إلى انبياء الله ما اشتمل عليه هذا الحديث الغث التفه (٢) وحاشا آدم من المعصية بارتكاب المحرم الذي يوجب غضب الله، وانما كان منهياً عن الشجرة فهي تزيه وارشاد، وتقديس نوح من الدعاء إلا على اعداء الله تقريباً اليه عز سلطانه؟ وتزه ابراهيم عن الكذب وعن كل قول أو فعل يغضب الله عز وجل أو يخالف الحكمة ومعاذ الله أن يقتل موسى نفساً يغضب الله لقتلها وإنما يقتل من لا حرمة له عند الله تعالى ولا وزن له عند أولي الالباب؛ وتعالى الله أن يعاملهم إلا بالحسنى كما قال عز من قائل: (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) وأنبياء الله اجل من ان يتوهموا برهم تبارك وتعالى انه قد غضب عليهم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ويمتنع على رسول الله ان يذكرهم إلا بماهم أهله.

ثم كيف يتسنى لأهل الحشر ان يشتموا ويأثموا؟ وهم بحيث: (تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ، (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) .

وأي لهم بالوصول الى الأنبياء في ذلك الموقف والانبيا يومئذ على الأعراف، وهل يصل أهل الارض الى السماء؟ وما الذي منعهم من التوسل تَوْاً برسول الله؟ فانه صاحب المقام المحمود والجاه العظيم والشفاعة المقبولة لا يجهله يومئذ احد من الناس؛ ولم لم يرجعهم اليه آدم ولا نوح ولا ابراهيم ولا موسى؟ وهلا اراحوا اولئك المساكين بدلالتهم من أول الامر على ولى الامر في ذلك الحشر؟! أكانوا يجهلون مقامه المحمود في اليوم الموعود

(١) الهراء المنطق الفاسد لا نظام له، والهذر هو الاكثر من الخطأ والباطل.

(٢) الذي لا طعم له.

أم كانوا يؤثرون عناء اولئك المؤمنين المستغيثين.

ولنا ان نسأل أبا هريرة عن هؤلاء المساكين أمن أمة محمد هم؟ أم من أمة غيره؟ فان كانوا من أمة فما الذي صرفهم عنه الى غيره؟ وان كانوا من امة غيره فمن الطبيعي له ان لا يحبط مساعيهم، ولا يخيب آمالهم فكيف اختص أتمته بالشفاعة دونهم؟ مع ما فطر عليه من الرحمة الواسعة ومع ما آتاه الله يومئذ من الشفاعة والوسيلة معاذ الله ان يخيبهم وهو أمل الراجب الراجي وامن الخائف اللاجئ يجب لسان العافي بلسان نداءه ويروي صدى اللهيف قبل رجوع صداه ﷺ :

١٠ - شك الانبياء والتنديد بلوط وتفضيل يوسف على رسول الله ﷺ بصبره

أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً قال: نحن احق بالشك من ابراهيم إذ قال: ربي ارني كيف تحي الموتى؛ قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي، ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي أهـ. - وهذا الحديث ^(١) ممتنع من وجوه: -

(أحدها): انه اثبت الشك لخليل الله ابراهيم عليه السلام؛ وقد قال الله عز من قائل: (ولقد أتينا ابراهيم رشدة من قبل) وقال جل سلطانه: (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والارض وليكون من الموقنين) والايقان اسمى مراتب العلم والموقن بالشئ لا يمكن ان يكون شاكا فيه ، والعقل بمجرده

(١) اخرجه البخاري في: ١٥٨/٢ من صحيحه في باب ونبيهم عن ضعيف ابراهيم إذ دخلوا عليه من كتاب بدء الخلق، وخرجه مسلم في: ٧١/١ من صحيحه في باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الادلة من كتاب الايمان. وخرجه الامام احمد من حديث ابي هريرة في الجزء الثاني من مسنده.

يجيل وقوع الشك من الانبياء ﷺ كافة، وهذا من الامور المسلمة.

اما قوله تعالى: (**وإذ قال ابراهيم ربي ارنى كيف تحي الموتى**) فظاهر في ان ابراهيم ﷺ انما سأل ربه عن كيفية الاحياء لا عن الاحياء نفسه؛ وهذا لا يتأتى الا اذا كان نفس الاحياء محققاً معلوماً لدى ابراهيم.

وبعبارة اوضح الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شئ موجود معلوم الوجود لدى السائل والمسؤول نحو: كيف زيد، يعني اصحيح هو مثلاً أم مريض؟ وكيف فعل زيد أي احسنأ فعل مثلاً أم قبيحاً؟ وكيف وقعت القضية أو كيف تقع يعني اعلى ما نريد مثلاً أم على خلاف ما نريد؟ وعلى هذا فقولته: ارنى كيف تحي الموتى، انما هو طلب لأن يريه كيفية ما قد علمه وتقرر لديه من احياء الموتى.

لكن لما كان مثل هذا الطلب قد يكون ناشئاً عن الشك في القدرة على الاحياء، وربما يتوهم من يبلغه هذا الطلب ممن لا يعرف مقام ابراهيم انه ﷺ قد شك في القدرة اراد الله تعالى بسبب ذلك ان يرفع هذا التوهم ببيان منشأ طلبه فقال له: أو لم تؤمن؟ قال: بلى، أي: أنا مؤمن بالقدرة ولكني انما طلبت ذلك ليطمئن قلبي بسبب رؤية الكيفية التي نجى بها الموتى بعد تفرق اجزائها في مضامين القبور وأوجار الطيور وبطون السباع، ومطarach المهالك من البر والبحر، وكأن قلبه ﷺ قد ولع برؤية الكيفية فقال: ليطمئن قلبي؛ أي لتبرد غلة شوقه برؤيتها.

هذا هو المراد من الآية الكريمة، ومن نسب الشك اليه صلوات الله وسلامه عليه فقد ضل ضلالاً مبيناً.

(ثانيها) ان الظاهر من قوله: نحن أولي بالشك من ابراهيم تبوت الشك لرسول الله ﷺ ولسائر الأنبياء، وانهم جميعاً أولى به من ابراهيم.

ولو فرض عدم ارادة الأنبياء جميعاً فارادة رسول الله ﷺ مما لا بد

منها، والحديث نص صريح في أنه أولى بالشك (سبحانك هذا بهتان عظيم) قد انعقد
الاجماع على بطلانه، وتصافق العقل والنقل على امتناعه.

وما ندرى والله لم كان ﷺ أولى بالشك من ابراهيم مع ما آتاه الله مما لم يؤت
ابراهيم وغيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين.

ووصيّه أمير المؤمنين عليّؑ انما كان الباب من مدينة علمه وانما هو منه بمنزلة هارون من
موسى إلا أنه ليس بنبي، وقد قال عليّؑ لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً^(١) فما الظن
بسيد المرسلين، وخاتم النبيين ﷺ وعليهم أجمعين.

(ثالثها): ان قوله: ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد تنديد بلوط ورد
عليه؛ وهمة له بما لا يليق بمنزلة من الله عز وجل وحاشاه أن يكون قليل الثقة بالله وانما
أراد أن يستفز عشيرته وذويه ويستظهر بفصيلته التي تؤويه نصحاً منه لله عز وجل في أمر
عباده بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحاشا رسول الله ﷺ ان يندد بلوط أو يفند قوله
ومعاذ الله أن يظن به إلا ما هو أهله ولكنه ﷺ انذر بكثرة الكذابة عليه.

(رابعها): ان قوله: ولو لبثت في السجن طول مالبت يوسف لأجبت الداعي ظاهر في
تفضيل يوسف على رسول الله ﷺ وهذا خلاف ما جمعت عليه الأمة وتواترت به
الصحاح الصريحة وثبت بحكم الضرورة بين المسلمين.

فان قلت: انما كان هذا من رسول الله ﷺ تواضعاً ليوسف واعجاباً بحزمه وصبره
وحكمته في اثبات براءته حتى حصحص الحق قبل خروجه من السجن.

(١) هذه الكلمة مستفيضة عنه عليّؑ وقد اشار اليها البوصيري في همزيته اذ يقول:

ووزير ابن عمه في المعالي ومن الاهل تسعد الوزراء
لم يزد كشاف الغطاء يقينا بل هو الشمس ما عليه غطاء

(قلنا) لا يجوز مثل هذا الكلام على رسول الله ﷺ ولو كان على سبيل التواضع؛ لاشتماله على خير غير مطابق للواقع، لأنه لو ابتلي بما ابتلى به يوسف لكان اصبر من يوسف وأولى منه بالحزم والحكمة؛ وبكل ما يتحصص به الحق، وهيهات أن يجيب الداعي بمجرد أن يدعوه الى الخروج ففتوته الحكمة التي آثرها يوسف إذ قال لرسول الملك حين أخلى سبيله: ارجع إلى ربك - أي صاحبك - فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن أن ربي بكيدهن عليم، قال - يعني الملك - : ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه، قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز: الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين.

فما خرج من السجن حتى تجلت براءته كالشمس الضاحية ليس دونها سحب. ولئن اخذ يوسف بالحزم فلم يسرع بالخروج من السجن حتى تم له ما أراد، فان رسول الله ﷺ قد مثل الصبر والاناة والحلم والحزم والعزم والحكمة والعصمة في كل أفعاله وأقواله وهو الذي لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في شماله على ان يترك الأمر ما تركه.

وكان الأولى أن يقول أبو هريرة في هذا المقام: ولو لبث رسول الله صلى الله عليه وآله في السجن اضعاف اضعاف ما لبث فيه يوسف ماتوسل إلى خروجه منه بما توسل اليه يوسف إذ قال للذي ظن انه ناج من صاحبي السجن - اذكرني عند ربك - أي صفني عند الملك بصفاتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويتداركني من هذه الورطة (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أي ان الشيطان أنسى الرجل ان يذكر يوسف لربه - أعني الملك - (فلبث في السجن بضع سنين) وكان نسيان الرجل ولبث يوسف في السجن يضع سنين انما كانا تنبيهاً له إلى انه قد فعل غير الاولى إذ كان الاولى به أن لا يتوسل الى رحمة الله بغير الله عز وجل كما هو المأثور عن رسول الله ﷺ وقد مني ﷺ بما هو أعظم محنة من سجن يوسف

وابتلى بما هو اكثر ضرراً واكبر خطراً من كل ما قاساه آل يعقوب عليه السلام فما وهن ولا استكان ولا استعان إلا بالله وقد حوصر وجميع عشيرته في الشعب سنين؛ فكانوا في منتهى الضائقة واوذي في نفسه وعشيرته والمؤمنين به بما لم يؤذ به نبي قبله واجلبوا عليه بما لديهم من حول وطول، فاتل ان شئت: (واذ يمكر بك الذين كفروا ليقتلوك أو يثبتوك أو يخرجوك) وقرأ: (ان لا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذهما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) وأمعن في قوله عز اسمه: (ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة) وتدبر قوله عز سلطانه: (إذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاتابكم غمماً بغم) وانعم النظر في قوله عن الأحزاب: (إذ جاؤوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنا لك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) واوغل في البحث عن وقعة هوازن وحسبك منها: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضائق عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) الى كثير من مواقف الكريمة التي خاض فيها الأهوال فكان فيها أرسى من الجبال يتلقى شدائدتها برحب صدره وثبات جناحه فتترل منه في بال واسع وخلق وادع لم يتوسل في الخروج من عسر إلى يسر إلا بالله وحده ولم يتذرع إلى شئ ما من شوؤنه إلا بالصبر والتوكل على الله تعالى فأين من عزائمه في صبره وحلمه وحكمه عزائم يوسف ويعقوب؟ واسحاق وابراهيم وسائر النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

١١ - جراد الذهب المتساقط على أيوب وهو يغتسل ومعاينة الله إياه على ما حشاه في

ثوبه

أخرج الشيخان بطرق متعددة^(١) عن أبي هريرة مرفوعاً قال: بينا أيوب يغتسل عرياناً فخر عليه^(٢) جراد من ذهب فجعل أيوب يحتشي في ثوبه فناده ربه ألم أكن أغنيك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك.

(قلت): لا يركن إلى هذا الحديث إلا أعشى البصيرة، مظلم الحس، فان خلق الجراد من ذهب آية من الآيات؛ وخوارق العادات وسنة الله عز وجل في خلقه ان لا يخلق مثلها إلا عند الضرورة كما لو توقف ثبوت النبوة عليها فتأتي حينئذ برهاناً على النبوة دليلاً على الرسالة وما كان الله ليخلقها عبثاً وجزافاً فتخر على أيوب عليه السلام وهو منفرد بنفسه يغتسل عرياناً كما يزعم أبو هريرة.

ولو خرت عليه فجعل يحتشي في ثوبه لكان ذلك في محله لأنها نعمة من الله خارقة لم يحتسبها فيقتضي شكرها بتعظيم شأنها وتلقيها بكل قبول ولا يحسن منه الاعراض عنها والاستخفاف بها وقد اختصه الله فيها لأن فيه من كفران النعمة ما يجب تنزيه الانبياء عنه. والانبيا إذا جمعوا المال فأنما يجمعونه لينفقوه في سبيل الله وابتغاء مرضاته وليسستعينوا به على مشاريعهم الاصلاحية والله عز وجل خبير بهم عليهم بنواياهم فلا يعاتبهم على جمعه ابداً.

(١) راجع من البخاري: ٤٢/١ من صحيحه قبل كتاب الحيض بأقل من صفتين و: ١٦٠/٢ قبل حديث الخضر مع موسى بأقل من صفتين.
(٢) هكذا في صحيح البخاري والأصح إذ خر عليه.

١٢ - التنديد بموسى اذ قرصته نملة فاحرق قريتها!!!

أخرج الشيخان بالاسناد إلى أبي هريرة مرفوعاً قال: قرصت نملة نبياً من الانبياء - هو موسى بن عمران فيما نص عليه الترمذي (١) فأمر بقرية النمل فأحرق الله اليه ان قرصتك نملة احرقت أمة من الامم تسبح الله!؟ (٢).

إن أبا هريرة مولع بالانبياء ﷺ هائم بكل مصيبة غريبة تقضى بما الابصار وتصتت منها المسامع وان انبياء الله لا عظم صبراً وأوسع صدراً، وأعلى قدراً، مما يحدث عنهم المخرفون.

وهذا وصي رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ يقول في خطبة له (٣): والله لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلت وان دنياكم لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى.

وعلي ﷺ ما كان نبياً وانما هو وصي وصديق وهذه حاله تمثل عصمة الأنبياء عما ينسبه الجاهلون اليهم، وما كان الله ليصطفي لرسالاته ويختص بمناجاته من لا ينتزه عن ذلك؛ تعالى الله وتعالى رسله عما يقوله المخرفون علواً كبيراً.

(١) كما نص عليه القسطلاني في شرح هذا الحديث من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري:

٢٨٨/٦.

(٢) أخرجه البخاري في آخر: ١١٤/٢ في أواخر كتاب الجهاد والسير من صحيحه وأخرجه مسلم في باب النهي عن قتل النمل: ٢٦٧/٢ من صحيحه في كتاب قتل الحيات وغيرها وأخرجه أبو داود في الادب وابن ماجه والنسائي في الصيد، واخرجه أحمد من حديث أبي هريرة في مسنده.

(٣) خطبها في تمويل الظلم وتبرئه منه وبيان صغر الدنيا في نظره والخطبة في نهج البلاغة أولها والله لسئن

ابيت على حسبك السعدان مسهدا.

وما أدري والله ماذا يقول مصححوها هذا الحديث فيما فعله هذا النبي من تعذيب النمل بالنار؟ مع قول رسول الله ﷺ: لا يعذب بالنار إلا الله وقد أجمعوا على أنه لا يجوز الاحراق بالنار للحيوان مطلقاً إلا إذا حرق انسان انساناً فمات بالاحراق فلوليه الاقتصاص باحراق الجاني وسواء في منع الاحراق بالنار النمل وغيره من سائر الحيوانات للحديث المشهور (لا يعذب بالنار إلا الله) (١).

وأخرج أبو داود باسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم عن ابن عباس ان النبي ﷺ نهى عن قتل النملة والنحلة والمهدد والصرده.

١٣ - سهو النبي عن ركعتين

أخرج الشيخان فيما جاء في السهو في صحيحيهما عن أبي هريرة قال صلى النبي إحدى صلاتي العشي وأكثر ظني العصر (٢) ركعتين ثم سلم ثم قام الى خشبة في مقدم المسجد فوضع يده عليها (٣) وفيهم أبو بكر وعمر فهابا ان يكلماه وخرج سرعان الناس فقالوا: اقصرت الصلاة؟ ورجل يدعوه النبي ذو اليدين (٤) فقال: انسيت أم قصرت؟ فقال: لم أنس ولم تقصر: قال: بلى

(١) نقله النووي في شرح هذا الحديث: ٦/١١ من شرح صحيح مسلم المطبوع في هامش شرح البخاري.

(٢) ما اورع ابا هريرة واحوطه في حديثه، الا تراه كيف لم يجزم انما العصر ولم يعول على ظنه!!
(٣) ورع ابي هريرة في حديثه يتمثل للناظرين بذكر هذه الخشبة ووضع النبي يده عليها إذ لا دخل لهما في موضوع هذا الكلام ولا في حكمة وانما دعاه الى ذكرها الاحتياط بنقل الوقائع بجميع حذافيرها؟.
(٤) كذا في صحيح البخاري ولعل الصواب ذا اليدين.

نسيته! فصلى ركعتين! ثم سلم ثم كبر! افسجد الحديث. (١). وفيه كيفية سجود السهو؛ وأنت ترى ما فيه من الوجوه الحاكمة بامتناعه.

أحدها: ان مثل هذا السهو الفاحش لا يكون ممن فرغ للصلاة شيئاً من قلبه، أو أقبل عليها بشئ من لبه، وإنما يكون من الساهين عن صلاتهم، اللاهين عن مناجاتهم، وحاشا انبياء الله من احوال الغافلين، وتقدسوا عن اقوال الجاهلين، فان انبياء الله عز وجل ولاسيما سيدهم وخاتمهم أفضل مما يظنون على أنه لم يبلغنا مثل هذا السهو عن أحد ولا أظن وقوعه الا ممن يمثل حال القائل:

أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها أثبتن صليت الضحى أم ثمانيا؟
وأما وسيد النبيين. وتقلبه في الساجدين، ان مثل السهو لو صدر مني لاستولى على الحياة واخذني الخجل واستخف المؤمنون بي وعبادتي ومثل هذا لايجوز على انبياء الله ابداً.
الثاني ان الحديث قد اشتمل على ان النبي ﷺ قال لم أنس ولم تقصر فكيف يمكن أن يكون قد نسى بعد هذا؟ ولو فرضنا عدم وجوب عصمته عن مثل هذا السهو، فان عصمته عن المكابرة والتسرع بالاقوال المخالفة للواقع مما لا بد منه عند جميع المسلمين.
الثالث: ان أبا هريرة قد اضطرب في هذا الحديث، وتعارضت أقواله

(١) نقلناه بلفظ البخاري في باب من يكبر في سجدي السهو، واخرجه ايضاً في كل من البابين المذكورين قبله بلا فصل فراجع ابواب ما جاء في السهو: ١٤٥/١ من صحيحه وأخرجه ايضاً مواضع أخر كثيرة يعرفها المتبعون، اما مسلم فقد أخرجه في باب السهو في الصلاة والسجود له بطرق عديده فراجع: ٢١٥/١ من صحيحه، وأخرجه احمد في آخر: ٢٣٤/٢ من مسنده وفي مواضع أخر كثيرة.

فتارة يقول: صلى بنا احدى صلاتي العشى اما الظهر واما العصر - على سبيل الشك -
واخرى يقول: صلى بنا صلاة العصر - على سبيل القطع بأنها العصر - وثالثة يقول: بينا
أنا أصلي مع رسول الله صلاة الظهر - على سبيل القطع بأنها الظهر - وهذه الروايات
كلها ثابتة في صحيح البخاري ومسلم كليهما؛ وقد ارتبك فيها شارحو الصحيحين
ارتباكاً دعاهم الى التعسف والتكلف كما تكلفوا وتعسفوا في الرد على الزهري إذ حزم
بان ذا اليمين الشماليين واحد لا اثنان، وقد أو ضحنا ذلك في كتابنا (تحفة المحدثين).

الرابع: ان ما اشتمل هذا الحديث عليه من قيام النبي ﷺ عن مصلاه ووضع يده
على الخشبة وخروج سرعان الناس من المسجد وقولهم أقصرت الصلاة؟ وقول ذي
اليمين أنقصت؟ وقول النبي ﷺ لم أنس ولم تقصر. فقال له: قد نسيت؛
وقول النبي لأصحابه: أحق ما يقول قالوا: بلى نعم وغير ذلك مما نقله أبو هريرة (١) لما
يبحو صورة الصلاة بتاتاً، والمعلوم من الشريعة المقدسة يقيناً بطلان الصلاة بكل ما ح
لصورتها فلا يمكن بعد هذا بناؤه ﷺ على الركعتين الأولىين لأنه يناقض الحكم
المقطوع بثبوته عنه ﷺ فتأمل.

الخامس: أن ذا اليمين المذكور في الحديث انما هو ذو الشماليين (٢) ابن عبد عمرو
حليف بني زهرة، وقد استشهد في بدر، نص على ذلك امام بني زهرة وأعرف الناس
بجلفائهم محمد بن مسلم الزهري كما في الاستيعاب والاصابة وشروح الصحيحين كافة
وهذا هو الذي صرح به الثوري في أصح الروايتين عنه وأبو حنيفة حين تركوا العمل بهذا
الحديث، وافتوا بخلاف مفاده - كما في

(١) فان من جملة ما نقله في رواية اخرى انه ﷺ دخل الحجره ثم خرج ورجع الناس.

(٢) اسمه عمير، ويقال: عمرو كذا في الاصابة.

أواخر باب السهو والسجود له من شرح النووي لصحيح مسلم (١) - وحسبك حديث النسائي - مما يدل على ان ذا اليمين وذا الشمالين واحد - واليك لفظه: قال (٢) فقال له ذو الشمالين ابن عبد عمرو: انقصت الصلاة أم نسيت؟ فقال النبي ﷺ: ما يقول ذو اليمين فصرح بان ذا الشمالين هو ذو اليمين، ومثله بل اصرح منه ما أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة (٣) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وأبي بكر بن سليمان ابن أبي خيثمة كليهما عن أبي هريرة، قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر أو العصر فسلم في ركعتين، فقال له ذو الشمالين بن عبد عمرو (قال): وكان حليفاً لبني زهرة أخففت الصلاة أم نسيت؟. فقال النبي ﷺ ما يقول ذو اليمين؟ قالوا صدق، الحديث.

وأخرج أبو موسى من طريق جعفر المستغفرى كما ترجمة عبد عمرو بن نضلة من الاصابة بالاسناد إلى محمد بن كثير عن الاوزاعي عن الزهري عن كل من سعيد بن المسيب وأبي سلمة وعبيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة قال: سلم رسول الله ﷺ في الركعتين فقام عبد عمرو (٤) ابن نضلة رجل من خزاعة حليف لبني زهرة فقال: أقصرت الصلاة أم نسيت؟. الحديث؛ وفيه قول النبي ﷺ: اصدق ذو الشمالين؟.

فهذه الاحاديث كلها صريحة في أن اليمين المذكور في حديث أبي هريرة إنما هو ذو الشمالين ابن عبد عمرو وحليف بني زهرة، ولا ريب في ان ذا الشمالين المذكور قتل يوم بدر قبل يسلم أبو هريرة بأكثر من خمس سنين، وان

(١) في: ٢٣٥/٤ من الشرح وهو مطبوع في هامش ارشاد القسطلاني وتحفة زكريا الانصاري.

(٢) كما في ص ٢٦٧/٣ من ارشاد القسطلاني.

(٣) كما في ص ٢٨٤/٢ من المسند.

(٤) كذا في الأصابة وقد عرفت انه قال: ان اسم ذي الشمالين عبد عمرو.

قاتله اسامة الجشمي، نص على ذلك ابن عبد البر وسائر أهل الأخبار فكيف يمكن أن يجتمع مع أبي هريرة في الصلاة خلف رسول الله ﷺ يا أولي الأبواب؟؟. وقد اعتذر بعضهم بأن الصحابي قد يروي ما لا يحضره بأن يسمعه من النبي ﷺ أو من صحابي آخر؛ وعلى هذا لا يكون موت ذي اليمين قبل اسلام أبي هريرة مانعاً من رواية أبي هريرة لهذا الحديث.

لكن هذا الاعتذار غلط محض، لأن دعوى الحضور من ابي هريرة محفوظة ثابتة برواية الثقات الحفظة الاثبات، وحسبك في اثباتها ما أخرجه البخاري فيما جاء في السهو من صحيحه (١) عن آدم بن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: صلى بنا النبي ﷺ الظهر أو العصر وساق حديث ذي اليمين.

وأخرج مسلم في باب السهو في الصلاة والسجود له من صحيحه (٢) عن محمد بن سيرين قال: سمعت أبا هريرة يقول: صلى بنا رسول الله ﷺ احدى صلاتي العشاء إما الظهر وإما العصر وساق الحديث.

وقد ارتبك الامام الطحاوي في هذه الاحاديث لبنائه على صحتها مع جزمه بما جزم به الامام الزهري من أن ذا اليمين انما هو ذو الشمالين حليف بني زهرة المستشهد في بدر قبل إسلام أبي هريرة باكثر من خمس سنين، فلا يمكن اجتماعهما في الصلاة ابداً، لذلك اضطر الى التأويل فحمل - كما في: ٢٦٦/٣ من ارشاد الساري في شرح البخاري للقسطلاني - قول أبي هريرة

(١) راجع الباب الثالث من أبواب ما جاء في السهو وهو باب اذا سلم في ركعتين او في ثلاث فسجد سجدين مثل سجود الصلاة او اطول: ١٤٥ من جزئه الأول
(٢): ص ٢١٥ من جزئه الأول.

في هذه الاحاديث: صلى بنا على المجاز وأن المراد صلى بالمسلمين.

والجواب أنه قد ثبت عن أبي هريرة النص الصريح بحضوره على وجه لا يقبل التأويل ابداً. وحسبك ما أخرجه مسلم في باب السهو في الصلاة والسجود له من صحيحه (١) عن أبي هريرة قال: بينا انا أصلى مع رسول الله ﷺ صلاة الظهر سلم في الركعتين وساق الحديث، فهل يتأتى التجوز فيه؟. كلا! بل منينا بقوم لا يتأملون؟؟ فانا لله وإنما اليه راجعون.

١٤ - كان النبي يؤذي ويجلد ويسب ويلعن من لا يستحق !!

أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً: أَللّهُمَّ انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهداً لم تخلفنيه فأبما مؤمن آذيته او سببته أو لعنته، أو جلدته، فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بما اليك، الحديث (٢).

وفيه ان رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء لا يجوز عليهم أن يؤذوا أو يجلدوا أو يسبوا أو يلعنوا من لا يستحق؛ سواء أكان ذلك في حال الرضا أم في حال الغضب، بل لا يمكن ان يغضبوا بغير حق، وتعالى الله عن ارسال رسل يستفزههم الغضب إلى جلد من لا يستحق أو لعنه أو سبه أو آذيته، وتترهت انبياء الله عن كل قول أو فعل ينافي عصمتهم وتقدسوا عن كل ما لا يليق بالحكماء.

(١): ٢١٦/١.

(٢) أخرجه مسلم في: ٣٩٢/٢ من صحيحه في باب من لعنه النبي وليس هو اهلا لذلك من كتاب السير والصلة والآداب وطريقة ثمة الى أبي هريرة ثمانية، وأخرجه البخاري أيضا في: ٧١/٤ من صحيحه في باب قول النبي من آذيته فاجعل ذلك له قربة اليك من كتاب الدعوات، وأخرجه أحمد في: ٢٤٣/٢ من مسنده.

وقد علم البر والفاجر والمؤمن والكافر ان ايذاء من لا يستحق من المؤمنين أو جلدتهم أو سبهم أو لعنهم على الغضب ظلم قبيح وفسق صريح، يربأ عنه عدول المؤمنين، فكيف يجوز على سيد النبيين؛ وخاتم المرسلين؟ وقد قال ﷺ (١): سباب المسلم فسوق، وعن أبي هريرة (٢) قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين، قال: إني لم أبعث اماناً وانما بعثت رحمة، هذه حاله مع المشركين فكيف به مع من لا يستحق من المؤمنين؟. وقد قال ﷺ (٣): لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة، وعن عبد الله بن عمرو (٤) لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحشاً؛ وكان يقول: ان خياركم أحاسنكم اخلاقاً وعن أنس (٥) قال: لم يكن رسول الله فاحشاً ولا لعاناً ولا سباباً، وقال أبو ذر (٦) لأخيه حين بلغه مبعث النبي ﷺ إركب الى هذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الاخلاق، وعن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شئ اسمعه من رسول الله اريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: اتكتب كل شئ تسمعه ورسول الله يتكلم في الرضا والغضب فامسكت عن الكتاب؛ وذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً باصبعه إلى فيه وقال اكتب

(١) من حديث أخرجه البخاري: ٣٩/٤ من صحيحه في باب ما ينهي عنه من السباب واللعن من كتاب الآداب.

- (٢) فيما أخرجه مسلم في: ٣٩٣/٢ من صحيحه في باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.
(٣) فيما أخرجه مسلم في الصفحة المذكورة اعني: ٣٩٣/٢.
(٤) فيما أخرجه البخاري في: ٣٨/٤ من صحيحه في باب حسن الخلق.
(٥) فيما أخرجه البخاري في: ٣٩/٤ من صحيحه في باب ما ينهي عنه من السباب واللعن.
(٦) كما في: ٣٨/٤ من صحيح البخاري.

فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق أ هـ. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله اكتب كل ما أسمع منك؟ قال: نعم، قلت في الرضا والغضب؟ قال: نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً أهـ (١).

وسئلت عائشة عن خلق النبي ﷺ فقالت: هل قرأت القرآن قال: نعم قالت: خلقه القرآن قلت: يا لها كلمة تدل على بلاغتها ومعرفتها بكنهه اخلاقه ﷺ ولا غرو فقد رأيته ﷺ والقرآن نصب عينيه يهتدي بهديه، ويستضيء بنور علمه، متعبداً بأوامره وزواجره، متأدياً بأدابه، مطبوعاً على حكمته، يتبع أثره؛ ويقتفي سوره، فاقراً خلقه - ان شئت - في قوله تعالى (٢) (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وأثماً مبیناً والذين یجتنبون كبائر الأثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم یغفرون (٣) والكاظمین الغیظ والعافین عن الناس والله یحب المحسنین (٤) وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (٥) خذ العفو وأمر بالمعروف واعررض عن الجاهلین (٦) ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بینك وبينه عداوة كأنه ولي حمیم (٧) وقولوا للناس حسناً (٨) واجتنبوا قول الزور (٩) ولا تعتدوا ان الله لا یحب

(١) أخرج هذين الحديثين كليهما ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله فراجع من مختصره باب الرخصة في كتاب العلم: ص ٣٦.

(٢) هي الآية ٥٨ من سورة الاحزاب.

(٣) هي الآية ٣٨ من سورة الشورى.

(٤) هي الآية ١٣٥ من سورة آل عمران.

(٥) هي الآية ٦٤ من سورة الفرقان.

(٦) هي الآية ١٩٩ من سورة لاعراف.

(٧) هي الآية ٣٤ من فصلت.

(٨) هي الآية ٨٣ من البقرة.

(٩) هي الآية ٣٠ من الحج.

المعتدين ^(١) ومالنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ^(٢) ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور ^(٣) وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ^(٤) فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمتم فتوكل على الله) .

هذا خلق رسول الله ﷺ وهذه حاله مع المؤمنين وغيرهم وهو القائل ^(٥) الرجل من ملك نفسه عند الغضب، وقال ﷺ ^(٦) من يجرم الرفق يجرم الخير وقال ﷺ ^(٨) الرفق لا يكون في شئ إلا زانه؛ ولا يترع من شئ إلا شاناه وقال ﷺ ^(٩): ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه، وقال ﷺ ^(١٠): المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، وحسبك قوله تعالى وهو أصدق القائلين: (**وإنك لعلی خلق عظیم**) فكيف يجوز عليه - بعد هذا - ان يلعن أو يسب أو يجلد أو يؤذي على

(١) هي الآية ٣٧ من المائدة.

(٢) هي الآية ١٢ من ابراهيم.

(٣) هي الآية ١٨٦ من آل عمران.

(٤) هي الآية ٢١٥ من الشعراء.

(٥) هي الآية ١٥٩ من آل عمران.

(٦) فيما أخرجه مسلم في: ٣٩٦/٢ من صحيحه.

(٧) فيما أخرجه مسلم في: ٣٩٠/٢ من صحيحه.

(٨) فيما أخرجه مسلم في الصفحة المذكورة.

(٩) فيما أخرجه مسلم في الصفحة الآتفة الذكر اعني: ٣٩٠/٢ من صحيحه.

(١٠) فيما أخرجه البخاري في: ٦/١ من صحيحه.

مجرد الغضب نعوذ بالله وبه نستجير؟! ما قدروا الله حق قدرة فصير جميل والله المستعان على ما تصفون.

انما وضع هذا الحديث على عهد معاوية تزلفاً اليه، وتقرباً إلى آل أبي العاص، وسائر بني أمية وتداركا لما ثبت عن النبي ﷺ: من لعن جماعة من منافقيهم وفراعنتهم إذ كانوا يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا فسجل عليهم رسول الله ﷺ بلعنه إياهم في كثير من مواقفه المشهودة حزياً مؤبداً؛ ليعلم الناس أنهم ليسوا من الله ورسوله في شيء، فيأمن على الدين من نفاقهم، وعلى الأمة من عيشتهم، وما كان ذلك منه إلا نصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين من بعده ولعامتهم.

وقد كان ﷺ رأى في منامه كأن بني الحكم ابن أبي العاص يتزورون على منبره كما تزور القردة فيردون الناس على اعقابهم القهقري؛ فما رؤي بعدها مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي^(١) وقد انزل الله تعالى في ذلك عليه قرأنا يتلوه المسلمون آناء الليل وأطراف النهار: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً وكفراً)^(٢) والشجرة الملعونة هي الاسرة الاموية احبره الله تعالى بتغليبهم على مقامه وقتلهم ذريته، وعيشتهم في أمته فلم ير بعدها ضاحكا حتى لحق بالرفيق الأعلى، وهذا من اعلام النبوة وآيات الاسلام والصحاح فيه متواترة ولاسيما من طريق العترة الطاهرة.

أعلن رسول الله ﷺ أمر هؤلاء المتغلبين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى

(١) أخرجه الحاكم في: ٤/٤٨٠ من مستدركه في كتاب الفتن والملاحم وصححه على شرط الشيخين واعترف الذهبي بصحته في تلخيص المستدرك على تعنته.
(٢) هي الآية ٦ من الاسراء.

من حي عن بيته وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

وحسبك من اعلانه أن الحكم بن أبي العاص استأذن عليه مرة فعرف صلى الله عليه وسلم صوته وكلامه فقال ^(١): إئذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم ^(٢) وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق.

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣): إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً؛ ودين الله دغلاً.

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى ^(٤): إذا بلغ بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نخلاً؛ وكتاب الله دغلاً.

وكان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فدعا فادخل عليه مروان بن الحكم، فقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون.

(١) فيما أخرجه الحاكم وصححه في: ٤/٨١٤ من مستدركه في كتاب الفتن والملاحم.

(٢) هذا المؤمن المسكين لم يبق له في عرف أبي هريرة حظ من القرب لله ولا نصيب من الرحمة حيث استثناه النبي صلى الله عليه وسلم من هذه اللعنة فاولياء أبي هريرة يؤثرون عدم استثنائه كما يتمنون ان يلعنهم رسول الله ويلعن آباءهم ليكون ذلك كفارة لهم وقربة.

(٣) أخرجه الحاكم بالاسناد إلى كل من أبي ذر وأمير المؤمنين علي وأبي سعيد الخدري وصححه في: ٤/٨٠٤ من المستدرک وصححه الذهبي في تلخيصه أيضاً.

(٤) أخرجه الحاكم في: ٤/٧٩٤ من صحيحه المستدرک باسناده إلى أبي ذر من طريقين.

(٥) فيما أخرجه الحاكم وصححه في: ٤/٧٩٤ من مستدركه.

وعن عائشة من حديث (١) قالت فيه: ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه - قالت - : فمروان قصص من لعنة الله.

وعن الشعبي عن عبد الله بن الزبير قال (٢): أن رسول الله ﷺ لعن الحكم وولده. والصحاح في هذا ونحوه متواترة، وحسبك منها ما أخرجه الحاكم في كتاب الفتن والملاحم من صحيحه المستدرک، إذ أخرج منها ما فيه بلاغ لأولي الألباب، وختم الباب بقوله (٣): ليعلم طالب العلم أن هذا باب لم اذكر فيه ثلث ما روى وان أول الفتن في هذه الأمة فتنهم - قال - : ولم يسعني فيما بيني وبين الله ان أُحلي الكتاب من ذكرهم أ هـ .

(قلت): وهذا القدر كاف لاثبات ما قلناه من أنهم انما اختلقوا هذا الحديث وامثاله تداركا لتلك اللعنة؛ ومما يوجب الأسف ان العامة آثرت أولئك اللعناء المنافقين على نبيها ﷺ من حيث لاتشعر إذ صححوا هذه الخرافة صوتاً للملعونين؛ ولم يأبهوا بما يلزم ذلك من اللوازم التي لا تليق برسول الله ﷺ .

وما كان للأمة أن تحتفظ بكرامة من لعنهم نبيهاً لنفاقهم، ونفاهم لفسادهم فتضيع على أنفسها المصلحة التي توخاها ﷺ لها في لعنهم واقصائهم،

(١) أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين في: ٤٨١/٤ من مستدرکه.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه في آخر: ٤٨١/٤ من المستدرک.

(٣) في أول: ٤٨٠/٤ من مستدرکه ولا يخفى ما في كلامه من الدلالة على تخوفه من العامة وجمهور المسلمين أن ينكروا عليه إخراج هذه الصحاح فاعتذر اليهم بأنه لم يسعه أن يخلي كتابه منها وجعل شهيداً فيما بينه وبينهم على ذلك وهنا عرفت معنى قول القائل:

ما المسلمون بامّة لمحمد كلاً ولكن امّة لعاده

وهم الذين دحرجوا الدباب ليلة العقبة لينفروا برسول الله فيطرحوه؛ وكان إذ ذاك قافلاً من غزوة تبوك في حديث ثابت مستفيض^(١) وهو طويل، وقد جاء آخره فلعنهم رسول الله ﷺ يومئذ.

والعجب من المسلم ينتصر لهم وقد جرعوا النبي ﷺ كل غصة وقعدوا له في كل مرصد؛ ووثبوا عليه وعلى أهل بيته من بعده كل وثبة^(٢) وما لعنهم

(١) وقد أخرجه الامام أحمد من حديث أبي الطفيل عامر بن وائلة في أواخر الجزء الخامس من مسنده.

(٢) ذكر الزبير بن بكار قضية كانت في الشام بين إمام الأمة وسيد شباب أهل الجنة أبي محمد الحسن السبط وخصومه وهم معاوية وأخوه عتبة وابن العاص وابن عقبة وابن شعبة، وقد احتدم فيها الجدل فكان من جملة ما قاله الحسن يومئذ: وانتم تعلمون ان رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها واسترسل في ذكرها موطناً موطناً ثم تكلم مع ابن العاص، فكان مما قاله يومئذ له: أنك لتعلم وكل هؤلاء يعلمون أنك هجوت رسول الله ﷺ بسعين بيتاً من الشعر فقال ﷺ: اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي اللهم العنه بكل حرف الف لعنة فعليك إذن من الله ما لا يحصى من اللعن، والقضية طويلة فراجعها في: ص ١٠١ إلى ١٠٤ من المجلد الثاني من شرح النهج الحميدي. واوردها الطبرسي في احتجاجه والمجلسي في بحاره، وغير واحد من الخاصة والعامة، وأخرج مسلم في آخر باب من لعنه النبي وليس أهلاً لذلك - : ٣٩٢/٢ من صحيحه - بالاسناد الى ابن عباس أن النبي ﷺ أمره أن يدعو له معاوية قال فجتت فقلت هو يأكل، ثم قال لي: إذهب فادع لي معاوية، قال فجتت فقلت هو يأكل، فقال ﷺ لا اشبع الله بطنه (قلت): وجاء في بعض طرقنا إلى ابن عباس في هذا الحديث ان رسول الله ﷺ لعن معاوية يومئذ، وبذلك على لعنه يومئذ ان مسلماً اورد هذا الحديث في باب من لعنه النبي في صحيحه كما سمعت لكنهم يحرفون الكلم عن مواضعه احتفاظاً منهم بكرامة هؤلاء المنافقين.

إلا ليطردهم الله من رحمته، ويجتنبهم المؤمنون من أمتة جزاء وفاقاً، لاليقربهم الى الله زلفي كما يخرفون.

١٥ - عروض الشيطان لرسول الله وهو في الصلاة

أخرجه الشيخان بالاسناد إلى أبي هريرة قال: صلى رسول الله صلاة فقال ﷺ: ان الشيطان عرض لي فشد علي يقطع علي فامكنني الله منه فدعته - أي فخنقته - ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا فتنظروا اليه فذكرت قول سليمان عليه السلام: ربي هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي الحديث. (١).

وفيه ان انبياء الله وخيرته من خلفه صلوات الله وسلامه عليهم يجب أن يكونوا في نجوه (٢) من هذا وفي منتزح عنه (٣) فانه ينافي عصمتهم، ويضع من قدرهم؛ ومعاذ الله يشد الشيطان عليهم، أو يعرض لهم، أو تسول له نفسه الطمع فيهم، وقد قال الله عز وجل له: «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين».

وعلم المسلمون على اختلافهم في المذاهب والمشارب ان الشيطان قد عقر (٤) بمولد رسول الله ﷺ ودهش بمبعثه، وبرق بمجرته وخرق (٥).

(١) أخرجه البخاري في: ١٤٣/١ من صحيحه في باب ما يجوز من العمل في الصلاة، وأخرجه مسلم في: ٢٠٤/١ من صحيحه في باب جواز لعن الشيطان في الصلاة، وأخرجه احمد في: ٢٩٨/٢ من حديث ابي هريرة من مسنده.

(٢) النجوة في الاصل ما ارتفع من الارض جمعه نجاه، تقول: انك من الأمر بنجوة إذا كنت بعيداً منه بريئاً سالماً.

(٣) مأخوذ من انتزح بمعنى ابتعد.

(٤) بفتح العين وكسر القاف أي فاجأه الروح فدهش فلم يقدر ان يتقدم أو يتأخر.

(٥) أي همت شاخصاً ببصره.

بظهوره، ونصرته، وانماث كالمالح في الماء يهديه وقوانينه ونظمه، وطار شعاعاً من صلاته،
وذهب بما اودعه الله فيها من الحكم والاسرار فاذا هي تنهي عن الفحشاء والمنكر.
وكان ﷺ إذا قام الى الصلاة تخلى بنفسه المطمئنة. وتجرد بروحه الروحاني عن كل
شئ سوى الله وحده يتمحض اقبالا على الله، وعبودية خالصة لوحديته عز سلطانه فإذا
أحرم لها بالتكبير تعوذ بالله قبل الشروع في القراءة عملاً بقوله تعالى: «فاذا قرأت القرآن
فاستعد بالله من الشيطان الرجيم» .
من البديهي أنه اذا استعاذ بالله يعوذه، والشيطان لا يجهل هذه الحقيقة إن جهلها
المخرفون.

وقد روى ابو هريرة ^(١) ان الشيطان إذا سمع الأذان للصلاة من أي مسلم كان أدبر
هارباً وولى فرقا، وله ضراط هلع وجزع، فكيف يجراً على رسول الله ﷺ فيتسور على
مقامه الرفيع؛ وهو في ذلك الحرم المنيع، بين يدي الله، عائداً بعزته، لائذاً بعصمته، منقطعاً
اليه عن كل شئ؛ هيهات هيهات: (أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه وهم به مشركون) .
فان قلت: ما تقولون في الآية ٣٧ من حم السجدة وهي قوله عز من قائل: (واما
يتزغناك من الشيطان نزغ فاستعد بالله أنه هو السميع العليم) .
قلنا: ان الله جلت آلاؤه أدب حبيبه محمداً بأداب اختصه بما فضله على العالمين حتى
لم يبق نبي مرسل، ولا ملك مقرب؛ ولا شيطان مريد؛ ولا خلق فيما بين ذلك شهيد؛ الا
بجع لآدابه، وخشع لأخلاقه، فما من أمر في الذكر

(١) فيما أخرجه البخاري في أول كتاب الاذان: ٧٨/١ من صحيحه، واخرجه مسلم في باب فضل
الاذان وهرب الشيطان منه: ١٥٣/١ من صحيحه.

الحكيم الا ائتمر به، وما من زجر في القرآن العظيم الا انزجر به، وما من حكمة الا اخذها، كان القرآن نصب عينيه، يقتفي أثره؛ ويتبع سوره، وهذه الآية مما جاء في سياق آدابه واخلاقه، فانظر الى ما قبلها من الآيات البنات تجد الحكمة، وفصل الخطاب، فان ما قبلها بلا فصل: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) .

هذه هي الغاية في الأخلاق طبع الله عليها عبده، وخاتم رسوله، فكان ﷺ يمثلها في هديه منذ قال في مبدأ أمره (ودم جبهته يسيل على وجهه ولحيته) أَللّهُمَّ اهدِ قَوْمِي فَاكْفُرْ لَمْ يَعْلَمُوا إِلَى أَنْ نَادَى مِنْادِيهِ يَوْمَ الْفَتْحِ وَكَانَ فِي مَنتهَى عَمْرِهِ مِنْ دَخَلِ دَارِ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ .

أرهِفَ اللَّهُ عَزَائِمَهُ: وشحذ هممه للأخذ بهذه التعاليم وحمله على هذه الاخلاق بكل اسلوب يأخذ اليها بالأعناق، ألا تراه جل وعلا كيف لم يكتف ببعثه عليها حتى شوقه اليها، وبلغ الغاية في تحطيطه عليها؛ فقال وهو أصدق القائلين: (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) ثم لم يقف على هذا الحد في ارهاف عزيمته حتى حذرهم مما طبع البشر عليه من فورة تكون في النفس، ونزغة - أي نخسه - تكون في القلب عند هجوم الاذى، الممض من العدو الملح؛ وسمى تلك النخسة البشرية نزغاً من الشيطان على سبيل المجاز تنفيراً منها وتزيهاً عنها فقال: (وإما يترغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله) أي وإما ينخسك من الغضب الذي طبع عليه البشر نخس يشبه نزغ الشيطان في تضيق الصدر وتوهين عرى الصبر (فاستعد بالله) ونظير هذه الآية قوله عز من قائل - في سورة الأعراف -: (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ، وإما يترغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله أنه سميع عليم) فان الله عز وجل اراد صيانة حبيبه عن مقابلة الجاهلين الذين قامت عليهم

الحجة فجحدها وتمادوا بالكفر عناداً لله تعالى ورسوله ﷺ فأمره بالاعراض عنهم، ولمزيد عنايته في تهذيبه وتفضيله على البشر حذره بما طبع البشر عليه من التأثير القلبي، والتزفر النفسي عند هجوم الجاهلين بسفهمهم وبذاءتهم؛ وسمى ذلك التأثير الطبيعي نزغاً من الشيطان على سبيل التجوز تزيها لنبيه عنه، وتنفيراً له منه إذا كان ﷺ لا ينفر من شيء نفوره من الشيطان ومما يشبه عمله فقال عز من قائل: (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) يوهن صبرك عن احتمال سفه الجاهلين ويدعوك الى إظهار الغضب منهم (فاستعد بالله).

فاين هذا المعنى عما جاء في حديث أبي هريرة من شدّ الشيطان على رسول الله ﷺ ليقطع عليه صلواته؟ الأمر الذي لا يجوز بحكم العقل والنقل.

(فان قلت): ما تقول في الآية ٥٢ من سورة الحج: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ، وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) الآية.

(قلنا): ان من المعلوم بحكم الضرورة من دين الاسلام ان رسول الله ﷺ وسائر الرسل والأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم أن يتمنوا ما لا يرضي الله به وحاشاهم ان يتمنوا من الأمور كلها إلا ما كان لله فيه رضا ولعباده صلاح.

وقد كان ﷺ يتمنى لأهل الأرض كافة ولكل واحد منهم أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ولاسيما الأقرب اليه منهم فالأقرب والشيطان كان يلقي في هذه الأمنية (١) بغروره وحيله ما يشوهها في نظر من كان كأبي لهب وأبي جهل ممن استحوذ عليهم بفتنته فصددهم عما تمناه الرسول لهم من خير الدنيا والآخرة حتى أغراهم بقتاله واستتصاليه.

(١) الامنية ما يتمنى والجمع أمان وأماني.

وكان (ﷺ) يتمنى لمن دخل في الاسلام كافة ولكل واحد منهم أن يخلصوا الله تعالى ولكتابه ولرسول ولسائر عبادته اخلاصاً تستوي فيه ظواهرهم وبواطنهم وعلانياتهم وسرائرهم لكن الشيطان كان يلقي في هذه الأمنية المبرورة من تسويله وتضليله ما يقتضي تشويس كثير من الناس ويوجب نفاقهم.

وكان (ﷺ) يتمنى لكل فرد من أمته ان ينهج منهاجه القويم، وصراطه المستقيم، لا يجيد قيد شعرة فما دونها عن سنته المقدسة وكانت قصاري أمانيه أن تتفق الأمة على هديه وتكون باجمعها نصب أمره ونهيه فلا يختلف منها اثنان لكن الشيطان ألقى في هذه الأمنية المشكورة من وسوسته في صدور كثير من الناس ما خدعهم عن السنن فتفرقت بهم السبل وكانوا طرائق قدا. هكذا كان الغرور الرجيم يرصد ما يتمناه الرسول من خير عام أوخاص فيلقي فيه من التشويه في نظر المغترين بزخارفه ما يصرفهم عنه.

والمخذعون بأباطيل الشيطان وأضاليله كثيرون، قد أعدتهم خيله ورجله، ونصب لهم حباته وأشراكه، ووقف لهم على ساق يريهم الحق بغروره باطلاً، والباطل بزخارفه حقاً، لا يألو جهداً في تشويه ما يتمناه الرسول لهم، ولا يدخر وسعاً في صدهم عنه بكل حيلة.

وهذا ما أقض مضجع رسول الله ﷺ اشفاقاً على الناس من هذا الوسواس الخناس، وفرقاً من أضاليله وأباطيله أن تظهر على الحق المبين فكان (ﷺ) بسبب ذلك مستوجباً للتعزية من الله عز وجل فعزاه وخفض عليه بهذه الآية: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ (١) إِلَّا إِذَا تَمَنَّى) مثل ما تمنيت من الخير خاصاً أو عاماً (لقى الشيطان في أمنيته) ما القاه في

(١) من، الاولى لابتداء الغاية، ومن، الثانية زائدة لتأكيد النفي وهذه الآية دالة بظواهرها على التغاير بين الرسول والنبى، والتحقيق في هذا موكول الى مظانه.

أمنيتك من التشويه بالتمويه على كثير من الناس فصددهم عنها بغروره وفتنته فان الرسل والأنبياء كانوا باجمعهم يتمنون لأهل الأرض عامة أن يكونوا على هدى من ربهم، كانوا بأسرهم يتمنون لمن آمنوا بهم أن يخلصوا لله اخلاصاً حقيقياً لا تشوبه شائبة؛ وكانت قصارى امانهم أن تتفق امهم على هديهم فلا يختلف في ذلك منهم اثنان، لكن الشيطان كان يلقي في هذه الأمانى الشريفة من وسوسته ما يخدعهم عنها فلم تتحقق أمانهم إلا قليلا حتى افرقت امة موسى احدى وسبعين فرقة، وافرقت امة عيسى اثنين وسبعين فرقة، وهكذا امم الأنبياء كافة لم تتحقق فيهم أمانى رسلهم بسبب ما يلقيه الشيطان فيها من التشوية بالتمويه، فلا يكبرن عليك (يا محمد) ما منيت به في أمانيك المقدسة حيث لم تتحقق في كثير من الأوقات بسبب ما يلقيه الشيطان فيها من التشويه الموجب لصرف كثير من الناس عنها ولك أسوة حسنة في هذا بجميع من كان قبلك من الرسل والأنبياء فانك وإياهم هذا الأمر شرع سواء، سنة من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا ولا تجد لسننتنا نجويل.

وحيث كان صلى الله عليه وآله وسلم مشفقاً من أباطيل الشيطان أن تظهر على الحق أمنه عز وجل من هذه الناحية إذ قال: (فينسخ الله) أي فيزيل الله (ما يلقي الشيطان) في أمانيك وأمانى الرسل والأنبياء من تشويها بتمويهه الذي لا يثبت امام الحق الساطع والبرهان القاطع أبداً ثم بشره بظهور الحق الذي جاء به عن ربه. وجاءت به الرسل والأنبياء من قبله وبقائه محكما فقال قوله الحق ووعد الصديق (ثم يحكم الله آياته) اين يتقنها كما قال مقام آخر (ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون).

و أولوا الالباب يعلمون أن ليس المراد من النسخ والإحكام هنا معناهما المصطح عليه في عرف المفسرين، وإنما المراد من النسخ والإحكام في هذه الآية معناهما اللغوي، فالنسخ بمعنى الازالة والإحكام بمعنى الإتقان

وهذه الآية في نسخها وإحكامها ليست إلا كقوله تعالى: (فأما الزبد فيذهب جفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض يضرب الله الامثال) .

ثم لمزيد عنايته عز وعلا بنبيه الفتة الى ما يوجب له مزيد الطمأنينة بفوز الأنبياء وخزي الشيطان فقال (والله عليم حكيم) وسع كل شئ علماً وحكمة يعلم اخلاص الرسل والأنبياء في أمانهم فيعمدهم بروح القدس من عنده ويوثقهم بموا صدق من كرامته ويعلم عداوة الشيطان لله ولرسوله ولعباده بما يلقيه من التشويه في أمان الرسل والأنبياء فيخزيه ببحث سريرته و لؤم علانيته على ما تقتضيه الحكمة من كرامة من يستحق الكرامة وخزي من يستحق الخزي فان الحكمة وضع الأمور مواضعها.

وقد شاءت حكمته تعالى ان يميز الخبيث من الطيب من عبادة فابتلاهم بالغرور الرجيم يلقي التشويه في أمان الرسل والأنبياء: (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) أي اختياراً وتمحيصاً: (للذين في قلوبهم مرض) من النفاق: (والقاسية قلوبهم) لا تلين لذكر الله وما نزل من الحق إذ ران عليها ما سول الشيطان لهم من الكفر فحجبها عن نور الايمان والهدى: (وان الظالمين) من المنافقين والكفار: (لفي شقاق بعيد) أي في عداوة لله ولرسوله لا أجل لها قد اعمت عن الحق ابصارهم واصمت اسماعهم ورائت على قلوبهم، ونعقوا بسببها مع كل ناعق من الشيطان: (وليعلم الذين اوتوا العلم) بوحداية الله وحكمته وبعثة الرسل والانبياء: (انه الحق من ربك ليؤمنوا به) غير آبهين بالشيطان ولا بشئ من تهويله وتضليله.

وبا الجملة: فان الله سبحانه شاءت حكمته ان يميز الخبيث من الطيب فامتحن الناس بما قلناه فازداد الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم مرضاً وقسوة وازداد المؤمنين إيماناً ويقيناً، فقوله عز وجل: (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) إلى أن قال: (وليعلم الذين اوتوا العلم) جاري مجرى قوله تعالى: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله

الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ^(١) وقوله تعالى: (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما اتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) ^(٢) وقوله عز اسمه: (وليمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين) ^(٣).

: (ولا عزو فان الله عز وجل ان يمتحن عباده من صنوف المحن وانواع الفتن له الحجة في الثواب والعقاب كما هو مبرهن عليه في محله من كتب الاصحاب فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) ^(٤): (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) ^(٥).

ولنرجع إلى اصل الآية: (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى القسى الشيطان في أمنيته) ، فانه لايراد بها ان الشيطان يلقي في نفس الرسول او النبي شيئاً (والعياذ بالله) ليشكل الامر فنحتاج الى تخريج الآية على خلاف ظاهرها وإنما المراد ما نصت الآية عليه من ان الشيطان يلقي في الامنية نفسها أي يلقي فيما يتمناه الرسول او النبي - من الخير والسعادة - شيئاً من التشويه في نظر رعاى الشيطان والناعقين معه ليصدهم بسبب ذلك عما تمناه الرسول لهم ويجول بين الامنية وتحققها في الخارج فتكون الآية الحكيمة على حد قول القائل: وكل ما يتمنى المرء يدركه.

هذا هو المراد من الآية قطعاً وهو المتبادر منها الى الأذهان وان لم يذكره - فيما اعلمه - احد من المفسرين أو غيرهم، والعجب من غفلتهم عنه على وضوحه وكونه هو اللائق بالذكر الحكيم والنبي العظيم، وسائر الرسل والانبياء

(١) في اول سورة العنكبوت.

الآية ١٧٩ من سورة آل عمران.

الآية ١٤١ من سورة آل عمران.

الآية ١٤٩ من سورة الانعام.

الآية ٤٢ من سورة الانفال.

ﻻ ﻳﺠﻮﺯ ﺣﻤﻞ ﺍﻻﻳﺔ ﻣﺎﺳﻮﺍﻩ ﺃﺑﺪﺍً ^(١) .

ﺃﻣﺎ ﺣﺪﻳﺚ ﺍﻟﻐﺮﺍﻧﻘﺔ ﻓﺎﻧﻪ ﻣﻦ ﻣﺨﺘﻠﻔﺎﺕ ﺯﻧﺎﺩﻗﺔ ﻛﻤﺎ ﺃﻭ ﺯﺣﻨﺎﻩ ﻋﻠﻰ ﺳﺒﻴﻞ ﺍﻟﺘﻔﺼﻴﻞ ﻓﻲ ﺭﺳﺎﻟﺔ ﺍﻓﺮﺩﻧﺎﻫﺎ ﻟﻫﺬﺍ ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ﻭﻟﻜﻞ ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﺣﻮﻟﻪ ﻣﺘﻨﺎً ﻭﺳﻨﺪاً ﺍﺳﻤﻴﻨﺎﻫﺎ ﺧﺮﺍﻓﺔ ﺯﻧﺎﺩﻗﺔ ﺃﻭ ﺳﺨﺎﻓﺔ ﺍﻟﻐﺮﺍﻧﻘﺔ ^(٢) ﻭﺍﻟﻠﻪ ﺍﻟﻤﺴﺌﻮﻝ ﺍﻥ ﻳﻮﻓﻘﻨﺎ ﻟﻨﺸﺮﻫﺎ ﻓﺎﻫﻤﺎ ﻓﻲ ﺑﺎﻫﻤﺎ ﻣﻤﺎ ﻻ ﻧﻈﻴﺮﻟﻪ، ﻭﺍﻟﺤﻤﺪ ﻟﻠﻪ ﻋﻠﻰ ﻫﺪﺍﻳﺘﻪ ﻭﻋﻈﻴﻢ ﻋﻨﺎﻳﺘﻪ .

ﻭﻟﻨﺮﺟﻊ ﺇﻟﻰ ﻣﺎﻛﻨﺎ ﻓﻴﻪ ﻣﻦ ﺣﺪﻳﺚ ﺃﺑﻲ ﻫﺮﻳﺮﺓ ﺇﺫ ﻗﺎﻝ: ﺻﻠﻰ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻼﺓ ﻓﻘﺎﻝ: ﺍﻥ ﺍﻟﺸﻴﻄﺎﻥ ﻋﺮﺿ ﻟﻲ ﻓﺸﺪَّ ﻋﻠﻰ ﻳﻘﻄﻊ ﺍﻟﺼﻼﺓ ﻋﻠﻲ ﻓﺄﻣﻜﻨﻨﻲ ﺍﻟﻠﻪ ﻣﻨﻪ ﻓﺪﻋﺘﻪ ﻭﻟﻘﺪ ﻫﻤﻤﺖ ﺃﻥ ﺃﻭﺛﻘﻪ ﺍﻟﻰ ﺳﺎﺭﻳﺔ ﺣﺘﻰ ﺗﺼﺒﺤﻮﺍ ﻓﺘﻨﻈﺮﻭﺍ ﺍﻟﻴﻪ ﻓﺬﻛﺮﺕ ﻗﻮﻝ ﺳﻠﻴﻤﺎﻥ: (ﺭﺏ ﻟﻲ ﻣﻠﻜاً ﻻﻳﻨﺒﻐﻲ ﻣﻦ ﺑﻌﺪﻱ ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ .

ﻓﻠﻴﺴﻤﺢ ﻟﻲ ﺍﻟﺸﻴﺨﺎﻥ ﻭﻏﻴﺮﻫﻤﺎ ﻣﻦ ﻳﻌﺘﺒﺮﻭﻥ ﺣﺪﻳﺚ ﺃﺑﻲ ﻫﺮﻳﺮﺓ ﻟﺄﺳﺄﻟﻬﻢ ﻫﻞ ﻟﻠﺸﻴﻄﺎﻥ ﺟﺴﻢ ﻳﺸﺪ ﻭﺋﺎﻗﻪ ﻭﻳﺮﻳﻂ ﺑﺎﻟﺴﺎﺭﻳﺔ ﺣﺘﻰ ﻳﺼﺒﺢ ﻭﺗﺮﺍﻩ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﺑﺎﻋﻴﻨﻬﺎ ﺃﺳﻴﺮاً ﻣﻜﺒﻼ؟ ﻣﺎ ﺃﻅﻦ ﺍﻥ ﺍﺣﺪاً ﻳﻘﻮﻝ ﺑﺄﻥ ﺍﻟﺸﻴﻄﺎﻥ ﺫﻭ ﺟﺴﻢ ﻛﺘﻴﻒ ﻳﻘﻊ ﻋﻠﻴﻪ ﺫﻟﻚ .

ﻭﻟﻌﻞ ﺍﻟﺬﻱ ﺟﺮأ ﺃﺑﺎ ﻫﺮﻳﺮﺓ ﻋﻠﻰ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ﻗﺼﻮﺭ ﻣﺪﺍﺭﻛﻪ ﻋﻦ ﻣﻌﺎﻧﻲ ﺍﻟﺬﻛﺮ ﺍﻟﺤﻜﻴﻢ ﻭﺍﻟﻔﺮﻗﺎﻥ ﺍﻟﻌﻈﻴﻢ، ﻓﻈﻦ ﺃﻳﺎﺗﻪ ﺗﺘﺒﺖ ﻭﻗﻮﻉ ﻣﺜﻞ ﺫﻟﻚ ﺇﺫ ﻗﺎﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﺰ ﻭﺟﻞ ﻓﻴﻤﺎ ﺍﻗﺘﺼﺖ ﻣﻦ ﺧﺒﺮ ﺳﻠﻴﻤﺎﻥ: (ﻓﺴﺨﺮﻧﺎ ﻟﻪ ﺍﻟﺮﻳﺢ ﺗﺠﺮﻱ ﺑﺄﻣﺮﻩ ﺭﺧﺎﺀ ﺣﻴﺚ ﺃﺼﺎﺏ ﻭﺍﻟﺸﻴﺎﻃﻴﻦ ﻛﻞ ﺑﻨﺎﺀ ﻭﻏﻮﺍﺼ، ﻭﺁﺧﺮﻳﻦ ﻣﻘﺮﻧﻴﻦ ﺑﺎﻻﺼﻔﺎﺩ .

(١) ﻧﺸﺮﻧﺎ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺘﻔﺴﻴﺮ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﺠﻞ ﺍﻟﺤﺎﺩﻱ ﻭﺍﻟﺘﺎﻟﺘﻴﻦ ﻣﻦ ﻣﺠﻠﺔ ﺍﻟﻌﺮﻓﺎﻥ: ١١٣ ﻭﻣﺎ ﺑﻌﺪﻫﺎ .

(٢) ﻛﻨﺎ ﺍﻭﻻ ﺗﺼﺪﻳﻨﺎ ﻓﻲ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻤﻘﺎﻡ ﻟﺤﺪﻳﺚ ﺍﻟﻐﺮﺍﻧﻴﻖ ﻓﻠﻢ ﻧﺒﻖ ﻣﻤﺎ ﻳﺘﻌﻠﻖ ﺑﻪ ﺷﻴﺌاً ﺇﻻ ﻓﺼﻠﻨﺎﻩ ﺗﻔﺼﻴﻼ ﺣﺘﻰ ﺍﻓﻀﺖ ﺑﻨﺎ ﺍﻟﺘﻔﺎﺼﻴﻞ ﺍﻟﻰ ﺍﻟﺨﺮﻭﺝ ﻋﻦ ﻣﻮﺿﻮﻉ ﺍﻟﻜﺘﺎﺏ ﻟﺬﻟﻚ ﺃﻧﺮﺕ ﺍﻥ ﺍﺳﻠﺦ ﻣﻨﻪ ﻣﺎﻳﺘﻌﻠﻖ ﺑﺴﺨﺎﻓﺔ ﺍﻟﻐﺮﺍﻧﻘﺔ ﻓﺄﺧﺮﺟﺘﻪ ﻛﺘﺎﺑﺎ ﻏﺰﻳﺮ ﺍﻟﻤﺎﺩﺓ ﺟﻢ ﺍﻟﻔﻮﺍﺋﺪ ﺩﺍﺋﻲ ﺍﻟﻘﻄﻮﻑ .

فظن الرجل أنهم كانوا كسائر المقرنين بالاصفاد من البشر ولم يدر أنهم كانوا مقرنين في عالمهم الشيطان با صفاً تتفق مع طبائعهم الشيطانية تمنعهم عما يحاولونه من العيث من حيث لا يراهم من الآدميين أحد أبداً.

ذكر أبو هريرة في هذا الحديث: ان النبي ﷺ إنما أطلق سراح الشيطان كراهة أن يكون له ملك سليمان، ولولا ذلك لأوثقة إلى سارية حتى يصبحوا فينظروا إليه.

وقد اشتبه أبو هريرة فان الله عز سلطانه وهب لسليمان ملكاً سخر له الريح غدوها ورواحها شهر، وأسأل له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمره يذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات فوهب له بهذا ملكاً لم يهبه لرسول الله في ظاهر الحال فلو أوثق ﷺ شيطان أبي هريرة لا يكون بمجرد ذلك مساوياً في الملك لسليمان إذ تبقى الميزة للملك سليمان بتسخير الريح وإسالة عين القطر وعمل الجن والشياطين من كل بناء وغواص، فالتعليل الذي ذكره أبو هريرة عليل وحديثه من الأباطيل وحاشا رسول الله ان يحير الحواس، ويدهش مشاعر الناس وهو ﷺ الذي نص على اختصاص العقل با لخطاب وحاكم اليه الخطأ والصواب فجعل صحة الدليل آية الحق وأمرنا أن لا نسير إلا على ضوئه: (أفمن يمشي مكباً عى وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم .)

١٦ - نوم النبي عن صلاة الصبح!!

أخرج الشيخان بالاسناد إلى أبي هريرة واللفظ لمسلم (١) قال: عرسنا مع نبي الله فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس، فقال النبي ﷺ ليأخذ كل رجل

(١) في باب قضاء الصلاة الفاتية: ٢٥٤/١.

منكم برأس راحلته فان هذا منزل حضره الشيطان، قال أبو هريرة: ففعلنا ثم دعا بالماء فتوضأ ثم سجد سجدتين ثم اقيمت فصلى صلاة الغداة.

وهذا حديث يبرأ منه هدى رسول الله ﷺ فان الله عز وجل يقول: (يا أيها المزمّل قم الليل الا قليلا نصفه أو نقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) الى أن قال وهو اصدق القائلين: (ان ربك يعلم أنك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه) ويقول مخاطباً له في مقام آخر: (اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً^(١) ومن الليل فتهدج به نافلة لك عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً) أي ومن الليل فصل بالقرآن زيادة لك على الفرائض الخمس التي اوجبتها الآية الاولى، وبينت أوقاتها وذلك ان الفرائض الخمس واجبة على جميع المكلفين، اما صلاة الليل فانما كانت فريضة عليه ﷺ خاصة لم تكتب على غيره، وقال مخاطباً له في مقام ثالث: (وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين لا يطلع يقوم وتقلبك في الساجدين) أي يراك إذ تقوم لعبادته في الليل حين لا يطلع عليك أحد ويرى تصرفك في المصلين بالقيام والقعود والركوع والسجود والذكر والقراءة والدعاء والابتهاال اذا صليت في جماعة، وقال مخاطباً له في مقام رابع: (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبح وادبار السجود) .

وكان ﷺ يصلي الليل كله ويعلق صدره بجبل حتى لا يغلبه النوم^(٢).

(١) أن الله سبحانه جعل هذه الآية من دلوك الشمس الذي هو الزوال إلى غسق الليل وقتاً للصلوات الاربع الظهر والعصر والمغرب والعشاء فالظهر والعصر اشتركا في الوقت من الزوال إلى المغرب، إلا ان الظهر قبل العصر، والمغرب والعشاء اشتركا في الوقت من المغرب الى الغسق، الا ان المغرب قبل العشاء، وأفرد الله صلاة الفجر بالذكر في قوله: وقرآن الفجر، ففي الآية بيان وجوب الصلوات الخمس وبيان اوقاتها على ما هو المعروف من مذهبا الامامي.

(٢) كذا في تفسير آية طة من مجمع البيان نقلا عن قتادة.

فيظل قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً حتى اسمغدت - أي تورمت قدماه (١) - فقال له جبرائيل عن الله عز وجل: ابق على نفسك فان لها عليك حقاً وأوحى اليه: طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكره لمن يخشى، والشقاء هو الاستمرار فيما يشق على النفس نقيض السعادة، والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتستمر فيما يشق عليك فتهلك نفسك بالعبادة وتحملها المشقة الفادحة. وانما انزلنا عليك القرآن تذكرة لمن يخشى، فرفقاً بنفسك.

وقد عقد البخاري في صحيحه باباً لتهجده في الليل وباباً لطول سجوده في صلاة الليل. وباباً لطول قيامه فيها وباباً لقيامه حتى تورمت ساقاه وتفطرت قدماه.

هذا دأبه في قيام الليل؛ فما ظنك به اقامة في الفرائض الخمس وهي أحد الأركان التي بني الاسلام عليها أيجوز أن ينام عنها؟ معاذ الله وحاشا لله وهو الذي أهاب بأهل الأرض يتلو عليهم عن ربهم جل وعلا: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) ونادى في الناس: (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) إلى أن قال في وصفهم: (والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وصاح في بني آدم: (فأقيموا الصلاة أن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) وأذن فاسمع العالم: (قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) .

والقرآن الحكيم مشحون بمثل هذه الآيات البينات التي كان رسول الله ﷺ يحوِّط الناس بحكمتها وموعظتها الحسنة، وكم وخز الساهين عن عبارة ربهم بقوله: (ويصل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون) وفضح المنافقين بما أوحى الله اليه من صفاتهم بقوله تعالى: (ولا ياتون الصلاة

(١) نجد الرواية في تورم قدميه في تفسير آية طه من الكشاف وعقد البخاري باباً لقيام النبي حتى تفطرت قدماه وتورم ساقاه: في ١٣٥/١ من صحيحه.

إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون) وندد برجل نام عن صلاة الليل حتى أصبح فقال ﷺ (١): بال الشيطان في أذنه.

يألها كناية عن سوء حال من يستمر في عاداته على النوم عن صلاة الليل وما أبلغها من رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين.

كلمة تقض مضاجع المؤمنين وتقلقهم فلا ينامون بعدها عن نافلة الليل لو انصفوا أنفسهم وقد علم البر و الفاجر وشهد المسلم والكافر بأن محمداً ﷺ كان أول المبادرين إلى العمل بتعاليمه وأعظم المتعبدين بها المستقيمين المستمرين عليها وأنه كان يهذب أمته بأفعاله، ويحملهم بها على البخوع لتعاليمه أكثر مما يهذبهم بأقواله وما كان وهو سيد الحكماء ليندد بمن نام عن صلاة الليل هذا التثديد ثم ينام هو بمنظر من أصحابه عن صلاة الصبح سبحانه هذه هذا بهتان عظيم.

وقد ورى أبو هريرة نفسه (٢) ان رسول الله ﷺ قال: يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم إذا هو نام ثلاث عقد فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلاناً.

وهذا الحديث فيه من الكناية البليغة ما في الحديث السابق وهما يمثلان نصح النبي ﷺ لأمته في تحذيرها من الشيطان وتنشيطها إلى عبادة الرحمن ولئن صدق فيه ابو هريرة في هذا الحديث فقد كذب في نوم النبي صلاة الصبح

(١) فيما أخرجه البخاري في باب اذا نام ولم يصل بال الشيطان في اذنه من كتاب الصلاة: ١٣٦/١ من صحيحه.

(٢) فيما أخرجه البخاري في باب عقد الشيطان على قافية الرأس اذا لم يصل بالليل: ١٣٦/١ من صحيحه، والعجب من البخاري يثبت في صحيحه هذا الحديث عن أبي هريرة ويثبت عنه ايضاً نوم النبي عن الفريضة فاعتبروا يا اولي الألباب، وأخرجه أحمد عن أبي هريرة في: ١٥٣/٢ من مسنده.

وروى أبو هريرة أيضاً عن رسول الله ﷺ قال (١): ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً لقد هممت ان أمر المؤذن فيقيم ثم أمر رجلاً يؤم الناس ثم أخذ شعلاً من نار فاحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد أ هـ.

اتراه ﷺ يحض الناس على الصلاة هذا الحض، ويهتم بصلاة الفجر هذا الاهتمام، ويهدد بالتحريق على من لا يخرج إليها ثم ينام عنها، حاشا لله ومعاذ الله أن يكون كذلك.

ورحم الله عبد الله بن رواحة الصحابي الشهيد إذ يقول (٢):

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات ان ما قال واقع
بيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالعبدين المضاجع
نرجع إلى الحديث وما بقي من قرائن بطلانه وهي أمور:

(أحدها): أنهم ذكروا في خصائص النبي ﷺ أنه كان لا ينام قلبه إذا نامت عيناه، وصحاحهم صريحة بذلك (٣).

وهذا من أعلام النبوة؛ وآيات الإسلام، فلا يمكن والحال هذه ان تفوته صلاة الصبح بنومه عنها، إذ لو نامت عيناه فقلبه في مأمن من الغفلة. ولا سيما عن ربه، لا تأخذه عن واجباته سنة ولا نوم، وقد صلى مرة صلاة الليل فنام قبل ان يوتر فقالت له إحدى زوجاته يارسول الله تنام قبل ان توتر؟

(١) فيما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في: ١/ ٧٣ من صحيحه في باب فضل صلاة العشاء من كتاب الصلاة.

(٢) فيما أخرجه البخاري في حديث أبي هريرة: ١/ ١٣٨ من صحيحه.

(٣) وقد افرد البخاري في صحيحه لهذه الخبيصة باباً على حده فراجع: ١٧٩/٢.

فقال لها ^(١) تنام عيني ولا ينام قلبي، أراد ﷺ أنه في مأمن من فوات الوتر بسبب ولوعه فيها، ويقضة قلبه تجاهها فهو هاجع في عينه، يقظان في قلبه؛ منتبه الى وتره؛ واذا كانت هذه حاله في نومه قبل صلاة الوتر فما ظنك به اذا نام قبل صلاة الصبح.

(ثانيها) ان ابا هريرة صرح كما في صحيح مسلم ^(٢) بأن هذه الواقعة قد اتفقت لرسول الله ﷺ وهو قافل من غزوة خيبر فكيف يدعي ابو هريرة حضوره فيها؟ واين كان ابو هريرة عن غزوة خيبر؟ وانما اسلم بعد خروج النبي ﷺ اليها باتفاق اهل العلم، واجماع اهل الأخبار ^(٣).

(ثالثها) ان ابا هريرة يقول في هذا الحديث: ليأخذ كل رجل منكم برأس راحلته فان هذا منزل حضره الشيطان قال: ففعلنا.

وقد علمت مما اسلفناه ان الشيطان لا يدنو من النبي ابدًا، وعلم الناس كافة

(١) كما في باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه: ١٧٩/٢ من صحيح البخاري، وأخرجه أحمد في: ٢٥١/٢ من حديث أبي هريرة من مسنده.

(٢) راجع: ٢٥٤/١ في باب قضاء الصلاة.

(٣) نعم كان ابو هريرة في اواخر حياته يقول: قدمت المدينة في نجر من قومي لنسلم وقد خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر واستخلف على المدينة سباع بن عرافة الغفاري فصلينا خلفه صلاة الصبح فلما فرغنا من صلاتنا زدنا شيئاً حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وقد افتتح خيبر فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم وهذا الحديث مما انفرد به ابو هريرة فلم يثبت عن غيره، ولكن الجمهور اخذوا به اعتماداً على ابي هريرة كما هي طريقتهم فأرسلوا حضوره خيبر ارسال المسلمات ولا دليل في الحقيقة لهم على ذلك والحق ما هو المأثور عن ائمة اهل البيت عليهم السلام من ان قدومه الى المدينة واسلامه انما كانا وقت رجوع النبي ﷺ من خيبر.

ان أبا هريرة كان في تلك الاوقات لا يملك شبع بطنه فمن أين له الراحة ليأخذ برأسها كما زعم إذ قال: ففعلنا؟.

(رابعها) أنه قال في هذا الحديث: ثم دعا بالماء فتوضأ ثم سجد سجديتين ثم صلى صلاة الغداة.

أما صلاة الغداة فانها قضاء عما فات لكن السجديتين لم نعرف لهما وجهاً ولا محلاً من الاعراب: والفاضل النووي طفر عنهما في شرحه.

(خامسها) ان من عادة الجيش وقواده ان يكون لهم حرس يقوم عليهم اذا ناموا، ولا سيما اذا كان فيها الملك أو نحوه وكان له من الأعداء اللدائن الموتورين من لا تؤمن معرفتهم؛ وكان في جيشه من المنافقين من يتربص به الدوائر، ويقلب له الأمور، وبعضون الانامل من الغيظ وقد مردوا على النفاق، فرسول الله (ﷺ) لا يخالف عادة القواد والأمراء في المحافظة على نفسه وعلى جيشه، ولا ينام بأصحابه في تلك الفلاة المحاطة يذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب من اعدائه الذين وترهم وسفك دماءهم الا والحرس قائم بوظيفته من مراقبة العدو الخارجي والمنافق الداخلي، وحاشا رسول الله (ﷺ) أن يغفل عن هذه المهمة وهو سيد الحكماء قبل ان يكون سيد الأنبياء فهل نام الحرس ايضاً كما نام المؤذنون؟ كلا! بل انذر (ﷺ) بكثرة الكذابة عليه.

(سادسها) ان النبي (ﷺ) كان يومئذ في جيش مؤلف من الف وستمائة رجل فيهم مائتا فارس، فالعادة أن تأبى يناموا باجمعهم فلا ينتبه احد منهم اصلاً، وعلى فرض عدم انتباههم من انفسهم فلا بد بحكم العادة المألوفة ان ينتبهوا بصهيل مائتي فرس وضربها الأرض بخوافرها في طلب علفها عند حضور وقته من الصبح فما هذا السبات العميق الشامل لجميع من كان ثمة من انسان وحيوان؟ ولعل هذا من خوارق أبي هريرة

١٧ - بقرة وذئب يتكلمان بلسان عربي مبين

أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل على الناس؛ فقال بينا رجل يسوق بقرة أذ ركبها فضرها فقالت انا لم نخلق لهذا انا خلقتنا للحرح! فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم: قال ﷺ فاني أؤمن بهذا انا وأبو بكر وعمر! وماهما ثم وبيننا رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلبها حتى استنقذها منه، فقال له الذئب: استنقذتها مني! فمن لها يوم السبع؟! يوم لا راعي لها غيري! فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم: قال ﷺ فاني أؤمن بهذا انا وأبو بكر وعمر: وماهما ثم أ هـ (١).

ان أبا هريرة نزوع إلى الغرائب تواق الى العجائب قد استخفته إلى حوارق العادات نزية من الشوق والهيام (٢) فتراه طروباً الى التحدث بما هو فوق النواميس الطبيعية، كفرار الحجر بثياب موسى، وكضرب موسى ملك الموت حتى فقأ عينه، ونزول جراد الذهب على أيوب، وأمثال ذلك من المستحيالات عادة.

وها هو الآن يحدث بأن بقرة وذئباً يتكلمان بلسان عربي مبين فيفصحان عن عقل وعلم وحكمة، الأمر الذي لم يقع أصلاً؛ ولا هو واقع قطعاً، ولن

(١) أي وماهما محاضرين هناك وهذا الحديث تجده في: ١٧١/٢ من صحيح البخاري وأورده ايضاً في: ص ١٩٠ من الجزء نفسه في فضل أبي بكر، وأخرجه - مسلم من عدة طرق عن أبي هريرة في: ص ٣١٦ والتي بعدها من الجزء، الثاني من صحيحه في فضائل أبي بكر، وأخرجه أحمد في اول: ٢٤٦/٢ من مسنده من حديث أبي هريرة.

(٢) التزية من الشوق والهيام ما فاجأ الانسان منهما.

يقع ابدأً، وسنة الله في خلقه نحيل وقوعه إلا في مقام التحدي والتعجيز حيث يكون آية للنبوة، وبرهاناً على الاتصال بالله عز سلطانه، ومقام الرجل حيث ساق بقوته الى الحقل فركبها في الطريق لم يكن مقام تحدي واعجاز لتصدر فيه الآيات وخوارق العادات. وكذلك مقام راعي الغنم حين عدا الذئب عليه فلا سبيل إلى القول بإمكان صحة هذا الحديث عقلاً فان المعجزات وخوارق العادات لا تقع عبثاً باجماع العقلاء.

وما أغنى أبا بكر وعمر عن هذه الفضيلة، وليتهما سمعا أبا هريرة يحدث بها ولو فعل على عهدهما لأعذر الى الله تعالى فيه، ولكنه تذرع بهما إلى اشباع شهوة الإغراب والتخريف في نفسه، ومشى ظلهما إلى ذلك، وهو يعلم ان مكذبه يمتحن بسخط الرأي العام، ويرمي بالخروج على الخليفين.

١٨ - تأمير ابي بكر على الحج سنة تسع ونداء أبي هريرة ببراءة سننذ

أخرج الشيخان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف: ان أبا هريرة أخبره ان ابا بكر الصديق بعثه في الحججة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع بسنة يوم النحر في رهط يؤذنون في الناس أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان^(١). وأخرج البخاري عن حميد عن أبي هريرة أيضاً قال: بعثني ابو بكر الصديق في تلك الحججة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون.مى ان لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان (قال): ثم اردف النبي ﷺ بعلي

(١) هذا لفظ الحديث في: ١٩٢/١ من صحيح البخاري في باب لا يطوف بالبيت عريان من كتاب الحج، واخرجه مسلم في: ٥١٧/١ من صحيحه في باب لا يحج بالبيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

فأمره ان يؤذن ببراءة فأذن معنا علي في اهل منى يوم النحر الحديث (١).
لا عجب من سياسة الشام إذا فرضت هذا الباطل على أبي هريرة وحيمد ولا عجب
منهما إذا تطوعا لها فتواطأ عليه.
فان ابا هريرة إنما أتى الشام متجراً بما يروج فيها من سلعته والدنيا يومئذ متسقة
مستوسقة لسultan بني امية والدعايات ضد الوصي وآل النبي أربح تجارات الدجالين في
ذلك العهد.

وحيمد كان ممن صنعوا على عين معاوية لحمل امثال هذا الحديث وللرثاء بالعبادة
والتقشف؛ وللولوع بالسماع من اعداء علي (٢) وكان في بني امية كألدّهم خصومة
واشدهم لهجة، وقد وشجت به عروقهم وولدت العبشميات من امهاتهم؛ فان امه ام كلثوم
بنت عقبة بن أبي معيط بن ذكوان بن امية بن عبد شمس فهي اخت الوليد بن عقبة لأبيه
وأمه، وام امه ام عثمان بن عفان (٣) واسمها اروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد
شمس «ششنة نعرفها» على ان اباه عبد الرحمن كان منحرفاً عن علي وقد آثر يوم
الشورى عثمان لصهره (٤) مع هن وهن، فلا غروان تواطأ أبو هريرة وحيمد على هذا
الباطل في تلك الظروف فأذاعته الدعايات الجبارة حتى استطار.

-
- (١) اخرج البخاري بهذا اللفظ في: ٩٠/٣ من صحيحه في تفسيره سورة براءة.
(٢) سمع معاوية، وحديثه عنه في صحيح البخاري وسمع النعمان ابن بشير وحديثه عنه في صحيح مسلم
وله عن المغيرة بن شعبة وابن الزبير ومروان وغيرهم من أمثالهم.
(٣) فعثمان اخو امه لأنها اورى فقط، وام اروي هذه البيضاء وتكنى ام حكيم وهي بنت عبد المطلب بن
هاشم وبهذا كان يقال لعثمان انه ابن اخت الهاشميين.
(٤) كان عبد الرحمن بن عوف زوج ام كلثوم بنت عقبة وهي اخت عثمان لأمه واخت الوليد لأبيه وامه
كما بيناه في الاصل.

ومما نحتج به على بطلانه ان ابا هريرة (قبل ان يتصل باسباب بني امية) كان يقول (١):
كنت في البعث الذين بعثهم رسول الله ﷺ مع علي براءة فقال له ولده المحرر: فيم
كنتم تنادون؟ قال: كنا نقول: لا يدخل الجنة إلا مؤمن؛ ولا يحج بعد العام مشرك، ولا
يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهده فأجله الى اربعة اشهر
(٢) فناديت حتى صحل صوتي أ هـ.

هذا حديثه الثابت منه من طريق الثقات الاثبات لم يذكر فيه ابا بكر بالمرّة، وإنما نص
فيه على ان البعث الذين بعثهم رسول الله ﷺ تلك السنة إلى مكة - وهم الحجاج -
إنما بعثهم مع علي - وفي ركابه - وهذه هي الامرة التي اسندها ابو هريرة في ذلك
الحديث الى أبي بكر.

وإذا كان مبعوثاً مع علي بأمر النبي ﷺ كما يزعم في هذا الحديث، فما معنى قوله
في ذلك الحديث: بعثني ابو بكر الصديق في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر؟! وما
الوجه في قوله: ثم أردف النبي بعلي فأذن معنا؟ وهل هذا إلا تهافت (٣)؟! يريدون ليظفروا
نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا ان يتم نوره.

(١) فيما اخرجه الحاكم وصححه في تفسير سورة براءة من مستدركه: ١٣١/٢، واورده الذهبي في
التلخيص مصرحاً بصحته أيضاً، واخرجه الامام احمد من حديث أبي هريرة: ٢٩٩/٢ من مسنده ولفظه عنده:
كنت مع علي حين بعثه رسول الله ﷺ الى اهل مكة براءة.

(٢) انكر العلماء قوله فأجله الى اربعة اشهر لأن الذي كان في خطبة امير المؤمنين يومئذ ومن كان له عهد
من المشركين فأجله إلى امدته بالغاً ما بلغ ومن ليس له امد فأجله الى اربعة اشهر والظاهر ان ابا هريرة لم يكن
ممن حضر الموسم ليعبى الأذان بكنهه وحقيقته ولا عجب فانه كثيراً ما يدعى الحضور في وقائع لم يحضرها
فينقلها على غير وجهها كما ستسمعه في الفصل ١٣ من الأصل.

(٣) التهافت بين الحديثين واضح من حيث تعيين الامير ومن حيث تعيين الباعث لأبي هريرة وغيره من
المؤذنين ومن حيث مكان بعثهم هل كان من المدينة - ام من مكة؟ ومن حيث زمان البعث هل كان يوم
النحر او قبله؟ كما لا يخفى على من تدبر الحديثين.

وابي بعون الله تعالى محص لك الحقيقة في هذه العجالة مجلوة في مباحث:

(المبحث الأول): في بيان الواقع من هذه المهمة على سبيل الاختصار.

ومحمل القول هنا انه لما نزلت (براءة) على رسول الله ﷺ بعث بها أبا بكر ليتلوها يوم الحج الأكبر على رؤوس الأشهاد إذاناً ببراءة الله ورسوله من المشركين، ونبذاً لعهودهم، ومنعاً لهم عن مكة، واعلاناً لتحريم الجنة عليهم، وان لا يطوف بالبيت عريان. فلما سار غير بعيد أوحى الله إلى نبيه أن لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك فاستدعى علياً وأمره بلحاق أبي بكر وأخذ براءة منه والمضي بها الى مكة لاداء المهمة عن الله ورسول وعهد اليه بالولاية العامة على الموسم^(١) وأمره بأن يخبر أبا بكر بين أن يسير مع ركابه او يرجع الى المدينة، فركب على ناقه رسول الله ﷺ العضباء ولحق أبا بكر فقال له فيم جئت يا أبا الحسن؟ قال أمرني رسول الله ان آخذ منك الآيات فانذ عهد المشركين^(٢) ولك الخيار

(١) قال الامام الطبرسي عند ذكر القصة: ٣/٣ من مجمع البيان طبع صيدا: وروى أصحابنا ان النبي ﷺ ولاه (يعني علياً) على الموسم، وانه حين اخذ براءة من أبي بكر رجع أبو بكر - أي إلى المدينة - .

(٢) فان قلت: كيف يدفع النبي براءة لأبي بكر لينبذ بها عهد المشركين أيام الموسم ثم يعزله قبل وقت الموسم؟ أليس هذا من النسخ قبل حضور وقت العمل؟ وهو محال على الله ورسوله. قلنا: كلا! بل تبين لنا من امره اياه بالذهاب وارجاعه اياه من الطريق قبل حضور الموسم، انه انما كان في الواقع ونفس الأمر مكلفاً بالمسير نحو مكة ليرجعه من الطريق ويرسل علياً مكانه، فيظهر بذلك من تفضيل علي ﷺ ما لا يظهر بارسال علي من اول الأمر، الا ترى ان الله عز وجل كان في ظاهر الحال قد امر خليله ابراهيم يذبح ولده ﷺ ثم لما هم بذلك وتله للجبين اوحى الله اليه: ان قد صدقت الرؤيا يا ابراهيم، فظهر انه لم يكن في الواقع ونفس الأمر مأموراً بذبح ولده، وانه انما كان مأموراً بمقدمات الذبح، ليظهر من فضله وفضل ولده الذبيح ما كان يجمله الناس ولم يكن هذا من النسخ في شيء.

وللغاية التي ذكرناها بعث رسول الله ﷺ يوم خيبر ابا بكر اولاً فرجع فبعث عمر فرجع، فقال ﷺ: اما والله لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فأعطاهما علياً فكان الفتح على يديه، وظهر من فضله ما لا يظهر لو بعثه من اول الامر، ولهذا القضايا نظائر يعرفها المتتبعون.

في الذهاب معي أو الرجوع اليه، قال بل ارجع اليه، فمضى علي بمن معه من حجاج المدينة وما حولها الى مكة، ورجع أبو بكر الى المدينة فقال يا رسول الله أهلتني لأمر طالت الأعناق إلي فيه فلما توجهت له رددتني عنه مالي؟ أنزل في قرآن؟ قال ﷺ: لا ولكن الأمين جبرئيل عليه السلام هبط إلي عن الله عز وجل بأنه: لا يؤدي عنك الا أنت أو رجل منك وعلى مني ولا يؤدي عني إلا علي أ هـ، والأخبار في هذا المعنى متواترة من طريق العترة الطاهرة (١).

(المبحث الثاني): في يسير مما جاء من طريق الجمهور مؤيداً لما ذكرناه وحسبك نص أبي بكر الصحيح الصريح حجة بالغة؛ قال: ان النبي ﷺ بعثني ببراءة لأهل مكة لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله الى مدته والله برئ من المشركين ورسول «قال» فسرت بها ثلاثاً ثم قال رسول الله (ﷺ) لعلي: الحق أبي بكر فرده علي وبلغها انت (قال) ففعل علي ذلك ورجعت الى المدينة فلما قدمت علي النبي ﷺ بكيت اليه وقلت يا رسول الله

(١) فراجع منها ما أخرجه الثقة الثبت الحجّة علي بن ابراهيم في تفسير سورة التوبة من تفسيره الشهير، وما ارسله شيخنا المفيد ارسال المسلمات في ارشاده.

حدث في شيء؟ قال ماحدث فيك الا خير ولكني امرت أن لا يبلغها الا انا أو رجل مني، هذا حديث أبي بكر بلفظه ^(١) فهل ترى بكاءه واشفاقه يجتمعان مع تأميره؟ كلا!! وانما يكونان بتتحيته.

ومثله حديث علي إذ قال ^(٢): لما نزلت عشر آيات من سورة براءة دعا النبي ﷺ أبا بكر فبعثه بما ليقرأها على أهل مكة، ثم دعاني فقال لي: ادرك أبا بكر فحيثما لحقته خذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم فلحقته فأخذت الكتاب منه فرجع إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: لا ولكن جبرائيل جاءني فقال لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك أ هـ.

وحدث علي في مقام فقال ^(٣): ان رسول الله ﷺ بعث براءة الى أهل مكة مع أبي بكر ثم أتبعه بي فقال لي: خذ الكتاب منه فامض به الى أهل مكة قال: فلحقت أبا بكر فأخذت الكتاب منه فانصرف الى المدينة وهو كئيب فقال: يا رسول الله أنزل في شيء؟ قال: لا إلا اني أمرت ان ابلغه أنا او رجل من أهل بيتي.

ونحوه حديث ابن عباس وقد احتج يوماً على خصوم أمير المؤمنين علي في أفاض في خصائصه وموجبات تفضيله على الأمة بعد نبينا ﷺ فقال: من حديث طويل ^(٤): ثم بعث رسول الله أبا بكر بسورة التوبة فبعث علياً خلفه

(١) أخرجه الامام احمد في: ٢/١ من مسنده من طريق وكيع عن اسراويل عن أبي اسحاق.

(٢) فيما أخرجه الامام احمد في: ١٥١/١ من مسنده.

(٣) فيما أخرجه النسائي في: ٢٠ من خصائصه العلوية، والامام احمد من حديث علي من مسنده. ورواه

غير واحد من اثبات الخاصة والعامة.

(٤) أخرجه الحاكم في: ٣/٣٢ من المستدرک في فضائل علي وصحيحه. واعترف الذهبي بصحته اذ اورده

في تلخيص المستدرک، وأخرجه النسائي في: ٦ ص من الخصائص العلوية. والامام أحمد أخرجه من حديث ابن

عباس في: ٣٣١/١ من مسنده.

فأخذها منه وقال صلى الله عليه وآله: لا يذهب بها الا رجل هو مني وأنا منه الحديث.
فيضع لابن عباس بهذا حسدة علي ولو كان أبو بكر أميراً في ذلك الموسم ما نفعوا ولا
ارعوا ولكن رأوا الحجة قاطعة فاستكانوا لها.
وكم لحبر الامة وذي حجتها البالغة ومقولها الصارم وابن عم نبيها - عبد الله ابن
العباس - من امثال هذا.

قال مرة: ابني لأماشي عمر بن الخطاب في سكة من سكك المدينة إذ قال لي: يا ابن
عباس ما أرى صاحبك الا مظلوماً قال: فقلت في نفسي والله لا يسبقني بها، فقلت له يا
أمير المؤمنين: فاردد اليه ظلامته، فانتزع يده من يدي ومضى بهمهم ساعة وقف فلحقته؛
قال: يا ابن عباس ما أظنهم منعهم عنه الا أنهم استصغروه، فقلت: والله ما استصغروه الله
ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك فأعرض عني واسرع. الحديث،^(١).

(١) رواه الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ابن العوام في تاريخه
(الموفقيات) الذي ألفه للموفق بالله ابن المتوكل الخليفة العباسي وان من سر الله الذي لا يخفى ونوره الذي لا
يطفأ أن يروى الزبير بن بكار مثل هذه الرواية في كتابه الذي ألفه لابن المتوكل فان ابن بكار ممن عرف
بالعداوة لعلي وأهل البيت وهو الذي استحلفه رجل من الطالبيين بين القبر والمنبر الشريفين فحلف كاذباً فرماه
الله بالبرص وكان ينال من العلويين ومن جدهم علي. فأجمعوا على قتله فهرب منهم الى عمه مصعب بن عبد
الله بن مصعب فسأله ان يكلم المعتصم في تأمينه فلم يجد عنده ما اراد إذ لم يكن عمه على رأيه في مكاشفة
العلويين ذكر ذلك ابن الأثير في سيرة المعتصم من تاريخه الكامل. اما أبوه بكار فقد كان من المكاشفين للرضا
في النصب والعداوة فدعاً عليه الرضا فسقط من قصره فاندق عنقه، وأما جده عبد الله بن مصعب فهو الذي
افتي هارون الرشيد بقتل يحيى بن عبد الله بن الحسن، فقال: اقتله يا أمير المؤمنين وفي عنقي دمه، فقال الرشيد:
ان عنده صكا مني أعطيته فيه الأمان، فقال عبد الله بن مصعب: لا أمان له يا أمير المؤمنين وعمد الى يحيى
فانتزع الصك منه قهراً ومزقه بيده عداوة ورثوها عن جدهم، ورثها عدو عن عدو عن عدو من عبد الله بن
الزبير حتى انتهت الى الزبير بن بكار، وبها نال الحظوة عند المتوكل فاختره لتأديب ولده الموفق. وامر له بعشرة
آلاف درهم وعشرة نخوت من الثياب وعشرة بغال يحمل عليها رحلة الى سامراء فأدب ولده الموفق والف له
الموفقيات وهو من الكتب الممتازة المتعة ننقل عنه كثيراً في املائنا هذا وفي غيره.

فله أبوه كيف استظهر علي الخليفة بهذه الحججة البالغة فأخذه من بين يديه ومن خلفه ومن جميع نواحيه حتى لم يبق في وسعه أن يثبت فأعرض واسرع ولو ان صاحبه كان هو الأمير في ذلك الموسم - كما يزعم أبو هريرة - ما لاذ الى الاسراع بل كانت له الحججة علي ابن عباس وعمر كان مع أبي بكر إذ توجه ببراءة وإذ رجع من الطريق فهو من اعرف الناس بحقائق تلك الأحوال.

وسئل الحسن البصري عن علي عليه السلام فقال: ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع: ائتمابه علي براءة، وما قاله له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك فلو كان يفوته شيء غير النبوة لاستنائه، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثقلان كتاب الله وعترتي وأنه لم يؤمر عليه أمير قط؛ وقد أمرت الأمراء علي غيره، هذا كلامه بعين لفظه ^(١).

وأنت تعلم اخلاصه لأبي بكر وحرصه علي بيان فضله فلو كان أبو بكر هو الأمير علي الحجج عام براءة دون علي ما كنتم امارته، ولا بخسه حقه، ولا شهد لعلي بأنه لم يؤمر عليه احد قط، ولا عرض بأبي بكر إذ يقول وقد أمرت الامراء علي غيره، ومن تدبر كلامه هذا علم أنه يقدر الائتمان علي براءة حق قدره، وانه يراه خصيصة مقصورة علي علي ليس لها كفو سواه.

(١) فراجعته في: ٣٦٩/١ من شرح النهج الحميدي نقلا عن الواقدي.

وكان الصحابة اذا أشادوا بذكر علي في المدينة الطيبة على عهد الخليفين يحدثون بهذه الخصيصة من مناقبه فلا يناقشهم فيها احد.

هذا سعد يقول ^(١): بعث رسول الله ﷺ أبا بكر براءة حتى اذا كان ببعض الطريق ارسل علياً فاحذها منه ثم سار بها فوجد أبو بكر في نفسه، فقال رسول الله ﷺ لا يؤدي عني إلا انا أو رجل مني أ هـ.

وهذا أنس يقول ^(٢): بعث النبي ﷺ براءة مع أبي بكر ثم دعاه فقال لا ينبغي ان يبلغ هذا إلا رجل من أهلي فدعا علياً فاعطاه إياها.

وهذا عبد الله بن عمر يساله جميع بن عمير الليثي عن علي فينتهره ابن عمر ثم يقول له ^(٣): الا احديثك عن علي هذا بيت رسول الله في المسجد وهذا بيت علي ان رسول الله بعث أبا بكر وعمر ^(٤) براءة الى أهل مكة فانطلقا فاذا هما براكب فقالا من هذا؟ قال: أنا علي يا أبا بكر هات الكتاب الذي معك قال مالي؟ قال والله ما علمت إلا خيراً فأخذ علي الكتاب فذهب به ورجع أبو بكر وعمر الى المدينة فقالا: مالنا يا رسول الله؟ قال: مالكما إلا خير ولكن قيل لي انه لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك. والسنن المأثور في هذا متضافرة وكلها صريح برجوع أبي بكر إلى

(١) فيما أخرجه النسائي في: ص ٢٠ من الخصائص العلوية عند ذكر يوجيه براءة مع علي. ورواه الامام أحمد مسنده.

(٢) فيما أخرجه النسائي: ص ٢٠ من الخصائص العلوية والامام احمد من حديث انس: ٢١٦/٣ من مسنده.

(٣) فيما اخرجه الحاكم في: ٥١/٣ من المستدرک.

(٤) انما كان عمر يومئذ تابعا لابي بكر وكان ممن خرج معه من الصحابة وكانوا ثلاثمائة فيهم عبد الرحمن بن عوف، وكان عمر اخصهم بأبي بكر ولذا رجع معه الى المدينة دونهم، وقد انضوا - بعد رجوع ابي بكر - الى لواء علي وسار بهم الى مكة مهيمنا عليهم وشهد الجميع رجوع ابي بكر الى المدينة وفي نفسه من ذلك شئ

المدينة كحياً مشفقاً من نزول الوحي فيه وهذا ما لا يجتمع مع تأميره في ذلك الموسم ابداً، لكن الدعاية ضد الوصي كانت في منتهى القوة فكان لها اثرها في فجر الاسلام.

(المبحث الثالث): فيما ترتب من الآثار الشريفة على نبد عهد المشركين وما كان لأمر المؤمنين بسبب قيامه بهذه المهمة من علو المقام عند العرب كافة وما بوأه الله تعالى ورسوله ﷺ من المجد والعلاء باختيارهما إياه لهذه المهمة ولا سيما بعد أرجاع أبي بكر عنها، الى خصائص أخر تتصل بذلك وتوجب كونه أفضل الأمة واولها برسول الله ﷺ حياً وميتاً.

كان نبذ النبي ﷺ عهد المشركين ومنعه أيهم عن الحج وعن مكة واعلانه تحريم اللجنة عليهم واذانه بالبراءة منهم كمال الدين وصلاح امر المسلمين وقوة الحق وأهله ووهن الباطل وأهله.

أدرك المسلمون به منتهى العزة ونالوا به غاية المجد فهذأت فورة الشرك وذلت نواصي المشركين فكان الدين كله لله عز سلطانه.

وقد شاء الله سبحانه أن يجري كله على يد عبده ووصي نبيه علي بن أبي طالب تنويهاً باسمه، وتنبيهاً الى فضله، واعلانه لذكوره، واعلاناً لعظيم قدره، وتمهيداً للعهد بالخلافة اليه، ومقدمة للنص في العام المقبل عليه (١) فنشر ﷺ ذكره (بارساله إياه لأداء هذه المهمة عنه) انتشار الصبح واطار صيته في العرب استطارة البرق؛ وذلك ان نبد العهد كان محتصاً عندهم بالزعيم الذي عقده ولا يتجاوزة إلا الى من كان يمثله في زعامته ويخلفه في مكانته؛ ويأمن وهنه، ولا يخشى سقطته، ولا يرتاب في احكامه ولا يعتريه شك في نقضه وابرامه.

(١) اذ كان نبد العهد سنة تسع وكان النص عليه سنة عشرو النبي ﷺ قافل من حجة الوداع.

يرشدك إلى هذا كله قول رسول الله ﷺ لعلي حين بعته ليأخذ براءة من أبي بكر ويذهب بها هو الى مكة: لا بد أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت قال علي: فان كان ولا بد فسأذهب بها أنا، قال رسول الله ﷺ: فأنطلق فان الله يثبت لسانك، ويهدي قلبك؛ الحديث (١).

وأنت تعلم ان المهمة التي لا يقوم بها إلا النبي ﷺ او من كان جارياً مجرى نفسه لهي الغاية القصوى في المهمات لا يتعلق بها درك قد احرز بها علي فصب السبق وأستولى على الأمد فأنى يسبقه سابق او يلحقه لاحق أو يطمع في ادراكه طامع. ومن انعم النظر في ارجاع أبي بكر عن المهمة وارسال علي فيها ظهرت له الحقيقة بأجلى مظاهرها.

ويجدر بنا أن نمنع في قول النبي ﷺ اذ بين السبب فقال (٢) جاءني جبرائيل فقال: لن يؤدي عنك الا أنت أو رجل منك لمكانة «لن» من النفي مؤكداً ومؤيداً ومكانة المفعول المحذوف من العموم أعني مفعول الفعل المنفي بلن، اذ تقدير الحديث: لن يؤدي عنك شيئاً من الأشياء الا انت أو رجل منك ولو لا قصد العموم ما حذف المفعول. «فان قلت»: مورد هذا الحديث يفرض علينا تخصيصه به؛ فيكون معناه لن يؤدي عنك هذه المهمة الا انت أو رجل منك، فلا عموم هنا.

«قلنا»: ان المورد لا يخص الوارد؛ على ان هذا الحديث ليس بالوحيد في بابه؛ فان في الصحاح من نظائره نصوصاً تعونها الجباه بخوعاً لم ترد في مورد خاص لتختص به، بل جاءت عامة لفظاً ومورداً.

(١) اخرج احمد في: ١٥٠/١ من مسنده وهو من الاحاديث الصحيحة المستفيضة من طريق الفريقين.

(٢) فيما استفاض عنه من حديث علي وقد مر عليك في البحث الثاني.

وحسبك منها عهده يوم عرفة من حجة الوداع وقد أهاب بأهل الموقف يدلهم على مفرعهم في أداء رسالته وهو اذ ذاك على ناقته يناديهم بأعلى صوته فأشخص أبصارهم وأسماعهم وافئدتهم اليه فاذا به يقول: علي مبي وأنا من علي ولا يؤدي عني الا أنا أو علي (١).

ياله عهداً ما أخفه على اللسان وما أثقله في الميزان جعل لعلي من صلاحية الأداء عنه (ﷺ) عين الصلاحية الثابتة للنبي في الأداء عن نفسه فأشركه في أمره وأئتمنه على سره كما كان هارون من موسى الا ان علياً لم يكن بني وانما هو وزير ووصي يطبع على غرار نبيه ويبين عنه للناس ما اختلفوا فيه.

وتلك ذروة ما جعل الله تعالى ورسوله لغير علي أن يتبوأها أبداً: (فارجع البصر هل من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير) ولقد رفع رسول الله علياً الى مستوى هو أعلى من مستوى الأمة اذ مزج لحمه بلحمه ودمه بدمه وسمعته وبصره وفؤاده وروحه بسمعته وبصره وفؤاده وروحه فقال: علي مبي وأنا من علي ثم لم يكتف حتى قال: ولا يؤدي عني الا انا أو علي فجمع فأوعى فاستقصى ولا غرو فان الله تعالى يقول وهو أصدق القائلين: (ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) .

(١) أخرجه ابن ماجة في فضائل الصحابة: ٩٢/١ من سننه ورواه الترمذي والنسائي في صحيحيهما وهو الحديث: ٢٥٣١ في: ١٥٣/٦ من كتر العمال. وأخرجه الامام أحمد من حديث حبشى بن جنادة: ١٦٤/٤ من مسنده بطرق متعددة كلها صحيحة وحسبك انه أخرجه عن يحيى ابن آدم عن اسراييل ابن يونس عن جده أبي اسحاق السبيعي عن حبشى عن رسول الله ﷺ وكل هؤلاء حجج عند الشيخين وغيرهما، ومن راجع هذا الحديث في مسند احمد علم انه إنما صدر في حجة الوداع التي ما لبث النبي ﷺ بعدها في هذه السدار الفانية إلا قليلا.

فأين اولو النظر يمعنون في هذا العهد ليعلموا أنه - على اختصاره - لا يقل وزناً عن نصوص يوم الغدير فان الأداء عن رسول الله ﷺ المختص به وبعلي المنفي في هذا الحديث عن سواهما انما هو الأداء التشريعي الكاشف عن حكم الله في الواقع ونفس الأمر المعصوم عن الخطأ عصمة القرآن عنه فيكون بمجرد حجة قاطعة يجب على الأمة التعبد به كما يجب عليهم التعبد بأحكام القرآن العظيم والذكر الحكيم.

يدلك على أن هذا هو المراد اجماع الأمة على اباحة الأداء عن النبي ﷺ - على غير هذا الوجه - لكل عالم بقوله سماعاً منه أو استنباطاً صحيحاً من سنته فان الصحابة كانوا يؤدون عنه ما سمعوه من اقواله وما رأوه من أفعاله وكان المجتهدون بعدهم يؤدون عنه ما أستنبطوه من الأدلة الشرعية فلو لم يحمل الحديث على ما قلناه لم يبق له معنى يصح حمله عليه.

ويؤيد هذا قول رسول الله ﷺ: علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان (١) وقوله ﷺ: رحم الله علياً اللهم أدر الحق حيث دار (٢) إلى كثير من أمثال هذه النصوص التي ترمي إلى عصمته، (ربنا آمننا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين).

(المبحث الرابع): فيما كان من أعداء علي من المكروه، والبغي عليه وما كان من دجاجيلهم في صرف خصائصه عنه، وما تزلف به أبو هريرة اليهم من تحريف هذا الحديث.

إن اعداء علي من المنافقين، وحسدة فضله ومنافسيه من الناكثين والقاسطين، والمارقين ولا سيما أهل الحول والطول منهم كعواوية وأعوانه

(١) أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين في: ١٢٤/٣ من مستدرکه واورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته.

(٢) أخرجه الحاكم في الصفحة على شرط مسلم.

فسخروا دجاجيلهم في تشويهها ومسحها ومعارضتها بما استطاعوا أو ان الدجاجيل تزلفوا اليهم بذلك ولا ذنب لعلي. ولا عذر لهم إلا ما احتصه الله تعالى من فضله اذ بلغ بسوابقه - في أيمانه وجهاده - منزلة عند الله ورسوله تقاصرت لم يطبقوا الخصائص العليا التي كانت لعلي. فلم يصبروا عن تحويرها وتحريفها عنها الأقران ونال (بعلمه وعمله مخلصاً لله ولرسوله وللأمة) رتبة تراجع عنها الأكفاء وأدرك (بذاته وصفاته وسماته ونسبه وصهره وأهله ونسله) غاية تطاولت اليها أعناق الأماني وشأواً تقطعت دونه المطامع.

فدبت بذلك له عقارب الحسد في قلوب المنافقين (١).

وسادت في منافسيه آكلة الاكباد (٢) فكشفوا لمناصبته وجوههم وقعدوا له في كل مرصد مرهفين للمكر به كل حيلة ناصبين للبغي عليه كل احبولة (والحاسد مغتاذ على من لا ذنب له) (٣).

تطوروا في كيده اطواراً مختلفة، نزعوا أيديهم من يده، قطعوا رحمهم سلبوه سلطان ابن امه (٤) هجروا السبب الذي أمروا بمودته، نقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه في غير موضعه (٥) تصغيراً منهم لعظيم منزلته واجماعاً على

(١) ان لبطل الاسلام بكل ما للبطولة من معان شريفة محمد بن أمير المؤمنين المعروف بابن الخنفية كلاما في هذا المعنى يفرغ به الحقيقة لا ريب فيها قدع به ابن الزبير أيام إمارته في الحجاز فبخعه ما اولى أهل البحث بالوقوف عليه: ص ٣٥٠ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي.

(٢) تورية لطيفة.

(٣) هذا مثل معروف.

(٤) قال عبيد الله في كتاب كتبه إلى اخيه عقيل: فخرت قريشا عنى الجوازي فقد قطعوا رحمى وسلبوني سلطان ابن أُمي.

(٥) هذا مقتبس من الخطبة: ١٤٦ من: ص ٤٨ والتي بعدها من الجزء الثاني من نهج البلاغة.

منازعته أمراً هولاء (١).

ثم كان من الناكثين والقاسطين والمارقين ما ملأ الاجواء، وطبق الأرض والسماء وما اكتفوا حتى:

لعنوا أمير المؤمنين كمثل اعلان الاقامة
وليتهم لم يتناولوا السنن المقدسة بتمزيق ما جاء منها تفصيله حيث حكموا - بغير
دليل - على صيحتها بالوضع، وعلى صريحتها بالتأويل، وعلى روايتها بالرفض، وعلى
اثباتها بالتضعيف، فشوهوا كثيراً من خصائصها الحسي؛ ومسحوا كثيراً من أمثالها العليا.
وحرفوا كثيراً منها عن مواضعه وصرفوا الكثير منها إلى غير اهله كما فصلناه في كتابنا
«تحفة المحدثين» وكما يمثله أبو هريرة في حديثه هذا إذ يقول بعثني أبو بكر إذ يقول: بعثني
أبو بكر في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع بسنة في مؤذنين
بعثهم يوم النحر يؤذنون بمعنى: ان لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان ثم
أردف رسول الله بعلي بن أبي طالب فأذن معنا يوم النحر الحديث.

كأن لم يكن لعلي بن أبي طالب في ذلك الموسم سوى انه اذن في معية أبي هريرة، ولا
عجب من أبي هريرة في هذه الجرأة فانه كان يفتتت الأحاديث فيقتتها ويرتلها (٢) مزخرفة
مزوقة على ريق لم ييلعه ونفس لم يقطعها فيخرجها لرعاغ الناس بالوشي الذي يجبه السواد
الاعظم من العامة وتقتضيه السياسة الغاشمة وتوجه دعايتها الكاذبة.

ألا تراه كيف حرف الحديث عن موضعه، وصرف الفضل فيه عن أهله متقرباً فيما
حرف الى اولياء الأمور، ومتحجباً فيما صحف إلى سواد الجمهور

(١) هذا مقتبس من الخطبة: ١٦٧ من النهج أيضاً.

(٢) يفتتتها بمعنى يتدعها، ويقتها بمعنى يزورها ويجسنها، ويرتلها بمعنى يختلقها لساعته.

اختلق لهم ما يروقهم من تأمير أبي بكر الصديق.

وما أدرك ما فعل؟؟ انه احرس بذلك ألسنة الثقات الاثبات عن معارضته. وألجم أفواههم ان تنبس في بيان الحقيقة بينت شفة خوفاً من تألب العامة ورعاع الناس. واشفاقاً من نكال أولي الامر ووبالهم يومئذ؟ وما أدراك ما يومئذ؟!.

اراد أبو هريرة بحديثه هذا أن يجتاح المقام المحمود الذي رفع الله ورسوله يومئذ سمكه مقام أمير المؤمنين في ذلك الموسم إذ كان يرمي الى امرين.

(أحدها) ان المهمة التي جاء بها علي انما كان امرها بيد أبي بكر الصديق بسبب امارته على الحج وولايته العامة تلك السنة على الموسم وان أبا بكر لم يكتف بعلي في اداء المهمة حتى بعث أبا هريرة في رهط من امثاله الا قوياء الاشداء!! اهتماماً بأدائها.

(ثانيهما) أنه لم يكن لعلي في تلك المهمة اكثر مما كان لابي هريرة وسائر الرهط الذين بعثهم أبو بكر لانهم قاموا بأدائها كما قام علي معهم بذلك.

وحسبك في تزييف هذا ان الله تعالى لم ير أبا بكر نفسه أهلاً لاداء هذه المهمة فارجعه عنها واوكلها الى احد كفتيها اللذين لا ثالث لهما اذ لم يكن لها ثمة سوى النبي والوصي كما سمعت النص عليه اذ قال ﷺ: لا بد ان اذهب بها أنا أو تذهب بها أنت قال علي فان كان ولا بد فسأذهب بها أنا.

وقد روت الامة احاديث صحيحة صريحة في ذلك لا تزال تدوي فتملاً الخافقين. على ان أبا هريرة كان قبل ان يتسخر لدعاية بني أمية يحدث عن هذه المهمة فلا يؤمر أبا بكر ولا يأتي على ذكره، وكان يضيف نفسه وسائر البعث الى علي، فيزعم انه انما كان في البعث الذي كان في ركابه ﷺ؛ وقد مر عليك حديثه في هذا فراجع.

والنفس لا تطمئن شهد الله بكلا حديثيه ولا بكونه ممن نادى يوم النحر ولا بكونه ممن حضر الموسم، ولا بشئ مما يرويه مطلقاً والله على ما أقول وكيل.

(المبحث الخامس): في الاشارة الى ما جنته الدعاية السياسية على الآثار النبوية وما اختلفته دجاجيلها تزلفا اليها وما زوقوه ليشتروا به ثمناً قليلاً وما افتأته من الاسانيد تثبيتاً لحديث حميد عن أبي هريرة.

كان وضع الحديث على عهد معاوية حرفة منمقة يتجرها كل متزلف الى تلك الدولة وعمالها؛ وكان لأولئك المتزلفين المتجرين لباقة في تزويق تجارهم وترويجها لا يشعرها (على عهدهم) الا اولو البصائر النافذة، والاحلام الراسخة - وقليل ما هم - وكان من ورائهم من يرفع ذكركم من الخاصة ويروج حديثهم من حفظة السنن المسأجرين، وحملة العلم المتزلفين ومن المرائين بالعبادة والتقشف كحميد بن عبد الرحمان ومحمد بن كعب القرظي وأمثالهما، ومن زعماء القبائل في الحواضر؛ وشيوخ العشائر في البوادي، وكان هؤلاء كلهم اذا سمعوا ما يحدث به اولئك الدجالون روجوه عند العامة، واذاعوه في رعاك الناس (من مسلمي الفتوحات بعد النبي) وخطبوا به على المنابر؛ واتخذوه حجة، واعتدوه أصلاً من الأصول المتبعة، وكان الثقات الاثبات من سدنة الآثار النبوية لا يسعهم في ذلك العهد الا السكوت عن معارضة اولئك المتزلفين المؤيدين برعاية اولي الأمر وعناية أهل الحول والطول، فكان المساكين اذا سئلوا عما يحدث به اولئك الدجالون يخافون - من مبادهة العامة بغيرها عندهم - ان تقع فتنة عمياء بكماء صماء، ولاسيما اذا كان الحديث موضوعاً في فضل الصديق والفاروق، فكانوا يضطرون في الجواب الى اللواذ بالمعارض من القول خوفاً من تألب اولئك المتزلفين ومروجيهم من الخاصة، وتألب من ينعق معهم من العامة ورعاك الناس، فضاعت بذلك حقائق؛ وحفظت أباطيل وكان هذا الباطل - أعني حديث حميد عن أبي هريرة - أوفرها حظاً من كل

عدو لأهل البيت، اختلفوا في سبيل تأييده احاديث ترادفه في معناه فركبها على اسانيد رفعوا أحدها إلى علي نفسه، ورفعوا الثاني الى ابن عمه وخريج حوزته عبد الله بن العباس، والثالث الى وليه وخصيصه جابر بن عبد الله الأنصاري، والرابع الى حفيده ووارث علمه الامام أبي جعفر الباقر، وهذه مكيدة اعتادها خصوم علي فاستمرت عليها سيرتهم في مكابرة أهل البيت، ونكاية اوليائهم من حيث لا تشعر عامة الناس، وجاء بعدهم قوم ممن جمعوا الاخبار على علاقتها فاغترروا بهم، فاثبتوها فيما جمعوه وهم غافلون. والآفة فيما أسندوه من هذا الباطل الى علي أبو زرعة وهب بن راشد، وكان مفرطاً في النصب، أخذ عداوة بني هاشم وبغض علي بالخصوص عن شيخه أبي يزيد يونس بن يزيد بن النجاد الأبلى مولى معاوية بن أبي سفيان^(١).

وآفة فيما اسندوه الى ابن عباس أبو القاسم مقسم بن مجزاة كان لا يكتف عداوة أمير المؤمنين، وقد اغتر الحاكم به لظنه أنه من رجال البخاري فاخرج في: ٥١/٣ من مستدرکه ما لفته هذا الناصب (من امرة أبي بكر) عن ابن عباس مع ان مقسما احد الضعفاء الذين نص البخاري على ضعفهم في كتابه الذي افرد له، وقد ترجمه الذهبي في الميزان فنقل تضعيفه عن البخاري وعن ابن حزم» وترجمه ابن سعد في: ٣٤٦/٥ من طبقاته فقال: وكان كثير الحديث ضعيفاً.

(قلت): ولضعفه أعرض عنه الشيخان، فلم يرويا له شيئاً نعم روى

(١) ذكر أبو نصر الكلاباذي وأبو بكر الاصبهاني وابو الفضل الشيباني المعروف بابن القيسراني كلهم يونس بن يزيد هذا في كتبهم التي ترجموا فيها رجال الأسانيد فنصوا جميعاً على انه من موالي معاوية بن ابي سفيان فراجع: ٤٨٥ من كتاب ابن القيسراني، وهذا الاموى السيفاني يونس الابلى هو الذي روى موت ابي طالب على الكفر فيها أخرجه مسلم عنه في: ٣٠/١ من صحيحه وهو شيخ ابي زرعة وهب ومريبه تستفيد ذلك من ترجمة وهب بن راشد في ميزان الذهبي.

البخاري عن عبد الكريم بن مالك الجزري أنه سمع مقسما يقول: قال ابن عباس لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون الى بدر.

وقد اورد البخاري هذا التفسير عن ابن عباس بواسطة مقسم في موضعين من صحيحه احدهما في غزوة بدر^(١) والثاني في تفسير سورة النساء^(٢) ولم يرو عن مقسم في جميع صحيحه سوى هذا التفسير، وانما رواه عنه مع جزمه بضعفه لاجماع الأمة على التسامح في امثال هذا التفسير إذ لم يشتمل على حكم شرعي، على انه لم يرفع الى رسول الله ﷺ ليكون من السنن التي اشترط صحتها كما لا يخفى.

وآفة ما رفعوه الى جابر بن عبد الله الانصاري أبو صالح اسحاق بن نجيح الملقب، فانه رجل سوء خبيث مفرط في الكذب؛ جرى على وضع الحديث ساقط باجماع أهل الجرح والتعديل، وقد ترجمه الذهبي في ميزانه: فأورد ما قاله الأئمة في خبثه وكذبه ودجله.

وآفة ما أسندوه من هذا الباطل الى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام محمد بن اسحاق، اذ أورده في سيرته التي شحنها بأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان.

وعلى كل: فالأمر سهل في هذه الأضاليل، لا نخطاها بانحطاط طرقها عن درجة الاعتبار، ولركة متونها ومناقضتها للصحيح الثابت عمن اسندت اليهم بل لمناقضتها لما أوردناه في المبحث الثاني من حديث أبي بكر وعلي وابن عباس وابن عمر وسعد وأنس ولاتنفق مع سيرة النبي في بعوثة ﷺ فانه ما أمر على علي احدى مدة حياته بل كانت له الامرة، وكان حامل لوائه في كل زحف بخلاف غيره، فان أبا بكر وعمر ومن دونهما كانوا - حين لحق النبي ﷺ بالرفيق الاعلى - في بعث اسامة باجماع اهل الاخبار، وكانا في غزوة

(١) في: ٢/٣ من الصحيح.

(٢): ٨١/٣.

ذات السلاسل في بعث عمرو بن العاص بالاتفاق، ولهما قضية في تلك الغزوة مع أميرها ابن العاص^(١).

أما علي فلم يكن طيلة حياة النبي تابعاً لغيره ﷺ إلا ترى أنه لم يرسله في جيش أسامة ولا في جيش ابن العاص، ولا في جيش أبي بكر وعمر حين بعثهما إلى خيبر فلما رجعا وبعث علياً كانا كلاهما تحت لوائه حتى فتح الله عليه، ولما بعث خالد بن الوليد إلى اليمن بجيش وبعث علياً إليها بجيش آخر عهد إليهما بأنه إذا التقيتما فعلي على الجيشين وإن افترتما فكل منكما على جيشه الحديث^(٢).

وقد قال ابن عباس: إن لعلي أربعة خصال ليست لاحد.

هو أول عربي وعجمي صلى الله تعالى مع رسوله ﷺ وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف الحديث^(٣).

وقد مر عليك آنفاً قول الحسن البصري ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع ائتمانه علي براءة وما قال له رسول الله في غزوة تبوك إلى أن قال وأنه لم يؤمر عليه أمير قط وقد أمرت الأمراء على غيره، وهذا القدر لا كاف لما اردناه في هذه العجالة، والحمد لله على الهداية والتوفيق.

١٩ - الملائكة تكلم عمر

أخرج البخاري^(٤) عن أبي هريرة مرفوعاً لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمي منهم

(١) أخرجها الحاكم وصححها في: ٤٣/٣ من المستدرک وأوردته الذهبي فصححها أيضاً في تلخيصه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في: ٣٥٦/٥ من مسنده.

(٣) أخرجه الحاكم في: ١١١/٣ من مستدرکه.

(٤) في باب (مناقب عمر) في: ١٩٤/٢ من صحيحه.

أحمد فعمراً هـ (١).

وأخرج البخاري (٢) عن أبي هريرة مرفوعاً أيضاً قال: انه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وانه كان في أممي هذه منهم فانه عمر بن الخطاب أ هـ.

حديث مفترى صاغه أبو هريرة من زخرف القول - بعد وفاة عمر بأعوام - فجاء مزوقاً منمقاً على ما تقتضيه سياسة الخاصة يومئذ مما تصفق له العامة طرباً، فقد كان للخاصة من ساسة البغي الأموي مآرب ضد الوصي وآل النبي لا تتم على زعمهم إلا برفع أبي بكر وعمر إلى مستوى الأنبياء والمعصومين وكان غوغاء الأمة وسوادها مندفعين إلى ذلك كل الاندفاع بما فتح الله على المسلمين في أيام الخليفين، فكان أبو هريرة يتزلف بهذا الحديث وأمثاله إلى كل من سائس الأمة ومسوسها، وبهذا نال الخطوة من الخاصة والمترلة في نفوس العامة. ولو حدث بهذه الاحاديث على عهد عمر لأخذت درة الخليفة من ظهره مأخذها. لكن خلاله الجو على عهد معاوية فجاء بممرات الاخبار.

وقد علم اولو الألباب أن من كان من الأمم الماضية مكلماً أو محدثاً على سبيل الحقيقة او على سبيل المجاز فإنما هم المعصومون كانوا جميعاً بين نبي ووصي

(١) قال السقطلافي في تفسير هذا الحديث من كتابه ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري: ٣٤٩/٧ ما هذا لفظه: يكلمون بفتح اللام المشددة تكلمهم الملائكة (قال): وليس قوله: فان يكن للترديد بل للتأكيد كقولك: إن يكن لي صديق ففلان، اذ المراد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الاصدقاء (قال) واذا ثبت ان هذا وجد في غير هذه الأمة المفضولة فوجوده في هذه الأمة الفاضلة اخرى أ هـ.

(٢) في: ١٧١/٢ من صحيحه بعد حديث أقرع وابرس واعمى بمقدار صفحة من كتاب بدء الخلق وهو موجود في باب مناقب عمر من البخاري أيضاً، واخرجه النسائي في المناقب.

نبي فالنبي تحدثه الملائكة وتكلمه على سبيل الحقيقة. والوصي يلهمه الله الحق فيتجلى له كفلق الصبح لا يختلج فيه ريب حتى كأن ملكاً حدثه به عن الله عز وجل ولا محدث ولا مكلم في الحقيقة وإنما هو ما يلقيه الله تعالى في روعه من الصواب.

ولا كلام في أن عمر قد توغل الدرجات الرفيعة في الإسلام. وبلغ الأقدار الخطيرة في هذه الأمة، لكنه لم يكن نبي ولا بوصي ولا بمعصوم اجماعاً وقولاً واحداً؛ فلا تكلمه الملائكة على سبيل الحقيقة، ولا تحدثه على سبيل الحجاز، وإنما تحدث من كان في هذه الأمة بمنزلة هارون أو كان في أقل المراتب كيوشع أو شمعون.

على ان بوادر عمر - على عهد رسول الله ﷺ وبعده - لا تجتمع مع كونه محدثاً مطلقاً.

٢٠ - تركه النبي صدقة

أخرج الشيخان ^(١) بالاسناد الى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا يقتسم ورثتي ديناراً ما تركت بعد نفقة نسائي؛ ومؤنة عاملي؛ فهو صدقة!

هذا مضمون الحديث الذي انفرد ابو بكر بروايته عن رسول الله ﷺ محتجاً به على عدم توريت الزهراء، أخرجه الشيخان وغيرهما بالاسناد الى عائشة اذ قالت ^(٢) ان فاطمة بنت النبي ارسلت الى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: ان رسول الله قال: لا نورث ما تركنا

(١) راجع من صحيح البخاري: ١٢٥/٢ في باب نفقة نساء النبي بعد وفاته من كتاب الجهاد، وراجع من صحيح مسلم: ٧٤/٢ في آخر باب قول النبي: لا نورث ما تركناه فهو صدقة.

(٢) كما في: ٣٧/٣ من صحيح البخاري اثناء غزوة خيبر: ٧٢/٢ من صحيح مسلم في باب قول النبي لا نورث ما تركناه فهو صدقة من كتاب الجهاد والسير: ٦/١ من مسند أحمد.

صدقة^(١) قالت عائشة: فأبى أبو بكر أن يدفع منه شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً (بوصية منها)^(٢) ولم يؤذن بها أباً بكر الحديث وتراه صريحاً بوجودها ورضيها وهجرها حتى توفيت ﷺ .

نعم غضبت على آثاره^(٣) واستقلت غضباً^(٤) فلائت خمارها واشتملت بجلباها وأقبلت في لمة في حفدها ونساء قومها؛ تطأ ذيوها ما تحرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة^(٥) ثم أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس فأمهلتهم حتى سكن نشيجهم وهدأت فررتهم افتتحت الكلام بحمد الله عز وجل ثم انحدرت في خطبتها:

(١) هذا الحديث رده الزهراء والأئمة من بنيتها وهو مع ذلك لا يصلح لأن يكون حجة عليها، إلا ان يكون لفظ صدقة مرفوعاً على الاخبار به عن ما الموصولة في قوله: ما تركناه، ولا سبيل الى اثبات مجيئه مرفوعاً. ولعل ما الموصولة في محل نصب على المفعولية بتركنا وصدقة حال من، ما فان الأموال التي تركها كان منها ما هو ملكه ومنها ما هو صدقة يضعها في مواضعها فلعله خشى ﷺ ان يتوهم متوهم بأن الأنبياء يورثون كل ما كان في قبضتهم سواء أكان ملكهم ام كان صدقة فقال: نحن لا نورث ما تركناه صدقة، ليعلم ان حالهم في هذه المسألة حال الناس.

(٢) كما اعترف به شارحوا البخاري فراجع: ص ١٥٧ من المجلد الثامن من كل من ارشاد الساري وتحفة الباري اذ ينتهيان فيهما الى هذا الحديث.

(٣) انما يقولون: غضب فلان على أثاره - بالفتح - إذا كان غضبه مسبوqاً بغضب كغضب الزهراء لارثها مسبوqاً بغضبها لكشف بيتها.

(٤) انما يقولون: استقل غضباً، اذا اشخصه فرط الغضب كما اشخص الزهراء من بيتها حتى دخلت على الخليفة محتجة.

(٥) الملاءة: الازار والريطة ذات لفقين.

تعظ القوم في أتم خطاب حكمت المصطفى به وحكاها
فخشعت الأبصار، وبجعت النفوس، ولولا السياسة ضاربة يومئذ بحرانها لردت شوارد
الأهواء، وقادت حرون الشهوات، لكنها السياسة توغل في غاياتها لا تلوى على شيء.
ومن وقف على خطبتها في ذلك اليوم^(١) عرف ما كان بينها وبين القوم^(٢) حيث
أقامت على ارثها آيات محكمات هن (من) ام الكتاب حججاً

(١) السلف من بني علي وفاطمة يروي خطبتها في ذلك اليوم لمن بعده ومن بعده رواها لمن بعده، حتى
انتهت البنا يداً عن يد، فتحن الفاطميين نروبيها عن آباتنا وآباؤنا يروونها عن آباتهم، وهكذا كانت الحال في
جميع الأجيال إلى زمن الأئمة من ابناء علي وفاطمة ودونكموها في كتاب احتجاج الطبرسي وفي بحار الأنوار
وقد أخرجها من اثبات الجمهور واعلامهم ابو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة وفدك
بطرق وأسانيد ينتهي بعضها إلى السيدة زينب بنت علي وفاطمة وبعضها إلى الامام أبي جعفر محمد الباقر،
وبعضها إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن يرفعونها جميعاً إلى الزهراء كما في: ص ٨٧ من المجلد الرابع من شرح
النهج الحميدي، وأخرجها أيضاً أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني بالاسناد إلى عروة بن الزبير عن عائشة
ترفعها الى الزهراء كما في: ص ٩٣ من المجلد الرابع من شرح النهج واخرجها المرزباني أيضاً كما في: ص ٩٤
من المجلد المذكور بالاسناد الى أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده يبلغ
بها فاطمة عليها السلام، ونقل ثمة عن زيد انه قال رأيت مشائخ آل أبي طالب يروونها عن آباتهم ويعلمونها أولادهم.
(٢) ومما كان بينها وبينهم ان قالت لأبي بكر حين منعها ارثها: لئن مت اليوم يا ابا بكر من يرثك؟ قال
ولدي واهلي، قالت: ورثت انت رسول الله دون ولده واهله؟ قال: ما فعلت يا بنت رسول الله، قالت: بلسى
عمدت الى فدك وكانت صافية لرسول الله فأخذتها منها وعمدت الى

لا ترد ولا تكابر.

فكان مما أدلت به يومئذ أن قالت: أعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول (وورث سليمان داود) وقال فيما اقتص من خبر

ما انزل الله من السماء فرفعته عنا الحديث اخرج ابو بكر بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة وفدك (كما في: ص ٨٧ من المجلد الرابع من شرح النهج) بسنده الى مولى ام هاني، واخرجه الجوهري في كتابه المذكور (كما في: ص ٨٢ من المجلد الرابع من شرح النهج) بالاسناد الى ابي سلمة ان فاطمة لما طلبت ارثها قال لها ابو بكر: سمعت رسول الله يقول: ان النبي لا يورث ولكني أعول من كان النبي يعوله وانفق على من كان النبي ينفق عليه، فقالت يا أبا بكر أيرثك بناتك؟ ولا يرث رسول الله بناته؟ فقال: هو ذاك، وأخرج الامام احمد بالاسناد الى أبي سلمة نحوه فراجع: ص ١٠ من الجزء الأول من مسنده حيث أورد حديث أبي بكر، واخرج الجوهري في كتاب السقيفة وفدك ايضا (كما في: ص ٨١ من المجلد الرابع من شرح النهج) بالاسناد الى ام هاني بنت ابي طالب: ان فاطمة قالت لأبي بكر من يرثك اذا مت؟ قال: ولدي واهلي، قالت: فما لك ترث رسول الله دوننا؟ قال: يا بنت رسول الله ما ورث ابوك شيئا. قالت: بلى سهم الله الذي جعله لنا وصار فيأنا وهو الآن في يدك، فقال لها: سمعت رسول الله يقول انما هي طعمة اطعمناها الله فاذا مت كانت بين المسلمين، وعن ابي الطفيل فيماخرجه الجوهري مثله، والاختيار في هذا هذا متواترة ولا سيما من طريق العترة الطاهرة وحسبك خطبتها العصماء التي اشرنا اليها في الاصل ولهاخطبة اخرى تتعلق بالخلافة أخرجها الجوهري في كتاب السقيفة وفدك (كما في ص ٨٧ من المجلد الرابع من شرح النهج) بالاسناد الى عبدالله بن الحسن بن الحسن عن امه فاطمة بنت الحسين قالت: لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله الوجع وثقلت في علتها اجتمع عندها نساء المهاجرين والانصار فقلن لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟ قالت أصبحت والله عاتفة لدنياكن، قالية لرجلكن، الخطبة. وهي من ابلغ المأثور عن أهل البيت عليهم السلام وقد أخرجها أيضاً الامام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر في ص ٢٣ من كتابه بلاغات النساء بالاسناد الى الزهراء واصحابنا يروونها بالاسناد الى سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي عن الزهراء، وقد أوردها المجلسي في البحار والطبرسي في الاحتجاج.

زكريا: (فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضياً)
وقال: (واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال: (يوصيكم الله في
أولادكم الذكر مثل حظ الانثيين) وقال: (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت إن
ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) .

ثم قالت: أخصكم الله بآية أخرج بها أبي؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من
أبي وابن عمي؟! أم يقولون: أهل ملتين لا يتوارثان؟ الخطبة...

فانظر كيف اجتجت أولاً على توريث الأنبياء بآيتي داود وزكريا الصريحتين بتوريثهما
ولعمري انهما ﷺ اعلم بمفاد القرآن ممن جاؤوا متأخرين عن تنزيله فصرفوا الارث هاهنا
الى وراثة الحكمة والنبوة دون الأموال تقديماً للمجاز على الحقيقة بلا قرينة تصرف اللفظ
عن معناه الحقيقي المتبادر منه بمجرد الاطلاق وهذا مما لا يجوز؛ ولو صح هذا التكلف
لعارضها به أبو بكر يومئذ أو غيره ممن كان في ذلك الحشد من المهاجرين والأنصار
وغيرهم^(١) على ان هناك قرائن تعين وراثة الأموال كما أفاده سيدنا علم الهدى

(١) لكنهم لم يعارضوها يومئذ به ولا بشئ سوى المصادرة اذ احابها ابو بكر بقوله: يا ابنة رسول الله وما
خلق الله خلقاً احب الي من رسول الله ابيك ﷺ ولوددت أن السماء وقعت على الارض يوم مات ابوك
ﷺ والله لان تفتقر عائشة احب الي من ان تفتقرى اترينى اعطى الابيض والاحمر حقه واطلمك حقه؟
وانت بنت رسول الله وان هذا المال لم يكن للنبي وانما كان مالا من اموال المسلمين يحمل به النبي الرجال
وينفقه في سبيل الله فلما توفي وليته كما كان يليه. قالت والله لا كلمتك ابداً، قال: والله لاهجرنك ابداً قالت:
والله لأدعون الله عليك، قال: لأدعون الله لك. فلما حضرتهما الوفاء اوصت ان لا يصلي عليها. الحديث أخرجه
أبو بكر الجوهري بهذه الالفاظ في كتاب السقيفة وفدك (كما في ص ٨٠ من المجلد الرابع من شرح النهج)
وتراه ما عارضها فيما فهمته من التوريث في آيتي داود وزكريا وإنما عارضها بدعواه ان هذا المال لم يكن للنبي
فلم تقنع منه إذ هي علم بشؤون أبيها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

في كتابه الشافي (١).

واحتجت ثانياً على استحقاتها الارث من أبيها ﷺ بعموم آيات الموارث وعموم آية الوصية منكرة عليهم تخصيص تلك العمومات بلا مخصص شرعي من كتاب أو سنة، وما اشد انكارها على وجود المخصص في الكتاب إذ قالت: اخصكم الله بآية أخرج بها أبي ثم قالت. ام أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فنفت بهذا الاستفهام التويخي وجود المخصص في السنة بل نفت وجوده مطلقاً، إذ لو كان ثمة مخصص لبينه لها النبي والوصي ويستحيل عليهما الجهل به لو كان في الواقع موجوداً ولا يجوز عليهما أن يهملتا تبينه لها لما في ذلك من التفريط في البلاغ والتسويق في الانذار والكتمان للحق والاغراء بالجهل والتعريض لطلب الباطل والتغريب بكرامتها والتهاون في صونها عن المجادلة والمجاهمة والبغضاء والعداوة بغير حق وكل ذلك محال ممتنع على الانبياء واوصيائهم ﷺ.

وبالجملة: كان كلف النبي ﷺ ببضعته الزهراء واشفاقه عليها فوق كلف

(١) حيث اعتبر (اعلى الله مقامه) خوف زكريا من الموالي قرينة على انه انما اراد وراثة الاموال لان الموالي كانوا ورثته اذ لم يكن له ولد وكانوا من سفهاء الفسقة فلا يمكن ان يكونوا انبياء ولا حكماء ليخاف ان يرثوا مكانته من العلم والحكم والنبوة وإنما كان يخشى ان يرثوا امواله فيصرفوها في عيشتهم وفسادهم فسأل ربه أن يهب له ولداً ليكون أحق بوراثه أمواله منهم - و اعتبر ايضا ﷺ شرط زكريا على ربه ان يجعل وارثه رضيا قرينة اخرى على ارادة ارث المال اذ لو اراد ارث النبوة لكان هذا الشرط لغواً وجهلاً وكان جارياً فيه مجرى من يقول اللهم ابعث لنا نبيا واجعله صادقاً غير كاذب.

الآباء الرحيمة واشفاقهم على ابنائهم البررة يؤويها الى الوارف من ظلال رحمته ويفديها بنفسه^(١) مسترسلا اليها بأنه، وكان يحرص بكل مالدیه على تأديبها وتهذيبها وتعليمها وتكريمها حتى بلغ في ذلك كل غاية يزفها المعرفة بالله والعلم بشرائعه زقاً لا يألوا في ذلك جهداً ولا يدخر وسعاً حتى عرج بها إلى اوج كل فضل، ومستوى كل مكرمة فهل يمكن أن يكتم عليها أمراً يرجع إلى تكليفها الشرعي؟ حاشا لله وكيف يمكن أن يعرضها (بسبب الكتمان) لكل ما أصابها من بعده في سبيل الميراث بل يعرض الأمة للفتنة التي ترتبت على منع ارثها؟.

وما بال خليل النبوة، والمخصوص بالاخوة، يجهل حديث: نحن لا نورث (مع ما آتاه الله من العلم؛ والحكم، والسبق، والصهر؛ والقراية والكرامة، والمتزلة، والخصيصة؛ والولاية، والوصاية، والنجوى) وما بال رسول الله صلى الله عليه وآله يكتم ذلك عنه، وهو حافظ سره، وكاشف ضره، وباب مدينة علمه؛ وباب دار حكمته، واقضى أمته، وباب حطتها، وسفينة نجاتها وامانها من الاختلاف؟.. وما بال أبي الفضل العباس وهو صنو أبيه، وبقية السلف من أهليه، لم يسمع بذلك الحديث؟ وما بال الهاشميين كافة وهم عيبته وبيضته التي تفقات عنه لم يبلغهم الحديث حتى فوجئوا به بعد النبي ﷺ؟. وما بال أمهات المؤمنين يجهلنه فيرسلن عثمان يسأل لهن ميراثهن من رسول الله ﷺ؟^(٢) وكيف يجوز على رسول الله ﷺ أن يبين هذا الحكم لغير الوارث

(١) ذكرها ﷺ مرة فقال: فداؤها أبوها فداؤها أبوها (ثلاث مرات) في حديث أخرجه الامام أحمد بن حنبل ونقله عنه وعن غيره ابن حجر في الامر الثاني من الامور التي ذكرها في خاتمة الآية الرابعة عشر من الآيات التي اوردها في الفصل الاول من الباب الحادي عشر من صواعقه: ١٠٩.

(٢) فيما أخرجه ابو بكر الجوهري في كتاب السقيفة وفدك كما في: ص ٨٣ من المجلد الرابع من شرح النهج الحميدي.

ويدع بيانه للوارث؟ ما هكذا كانت سيرته صلى الله عليه وآله وسلم إذ يصدع بالأحكام فيبلغها عن الله عز وجل ولا هذا هو المعروف عنه في انذار عشيرته الاقربين، ولا مشبه لما كان يعاملهم به جميل الرعاية وجليل العناية.

بقي للطاهرة البتول كلمة استفزت بها حمية القوم؛ واستثارت حفاظهم بلغت بها ابعاد الغايات، ألا وهي قولها: أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان تريد بهذا ان عمومات الموارث لا تتخصص بمثل ما زعمتم وإنما تتخصص بمثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا توارث بين أهل ملتين واذن فهل تقولون (إذ تمنعوني الارث من أبي): اني لست على ملته فتكونون (لو اثبتم خروجي من الملة) على حجة شرعية فيما تفعلون؟ فانا لله وانا اليه راجعون.

وبالجملة: أخفقت الزهراء يومئذ في طلبها بسبب هذا الحديث وقد انفرد الخليفة به فلم يروه على عهده احد سواه، وربما قيل بأنه قد رواه معه مالك بن أوس بن الحدثان ^(١). نعم ذكروا أنه ترافع علي والعباس الى عمر أيام خلافته وكان عنده حينئذ عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد فقال لهم ^(٢) هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا نورث ما تركنا صدقة، فاضطر الرهط إلى التصديق، ولم يسعهم في تلك الظروف سوى الاذعان للخليفتين.

اما أبو هريرة فلم يكن تلك الايام في غيرها ولا نفيها، ولا كان ممن يصغي اليهم أو يؤبه بهم وكان متهما في لهجته لا يجراً مع وجود اولئك الاعلام على الحديث، ولا يرى في نفسه أهلية الانصواء الى من ينتصر الخليفة بروايته

(١) فيما نص عليه جماعة من الاثبات فراجع صفحة: ٩١ من المجلد الرابع من شرح النهج.

(٢) فيما اخرجه البخاري: ١٢٤/٢ من صحيحه في باب فرض الخمس.

لذلك لم ينبس في هذا الموضوع يومئذ بينت شفة حتى ذهب معظم الصحابة وفتحت الامصار كالشام ومصر وافريقيا والعراق وفارس والهند وغيرها، واسلم اهلها جميعاً، فدخل المسلمون في دور جديد قد نوه بنو أمية فيه باسم أبي هريرة، واشادوا بذكره، فاطلقوا عنه ربة الخمول؛ وكسوه نضره بعد الذبول؛ فتسنى له حينئذ أن يقول ما شاء أن يقول، فكان هذا الحديث مما تزلف به إلى ساسة الامة وسوقتها، لما فيه من تأييد الخليفة المحبوب، تأييده لدى الرأي العام وجمهور المسلمين.

٢١ - أبو طالب أبي الشهادتين

قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ لعمة أبي طالب: قل لا إله إلا الله أشهد لك بما يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حملة على ذلك الجزع لأفرتت بما عينيك، فأنزل الله تعالى: (**إنك لا تهدي من أحببت ولكن يهدي من يشاء**) أ هـ .
وقال في مقام آخر: قال رسول الله ﷺ لعمة عند الموت: قل لا إله إلا الله أشهد لك بما يوم القيامة فأبى، قال: فانزل الله تعالى الحديث (١).

ان أبا طالب رضوان الله وبركاته ورحمته عليه قضى في مكة سنة عشر للبعثة قبل الهجرة بثلاث سنين؛ وقيل بل قضى سنة تسع؛ وقيل سنة ثمان قبل قدوم أبي هريرة إلى الحجاز بعشر سنين في أقل ما يفرض فأين كان أبو هريرة عن النبي وعمه ﷺ؟ وهما يتبادلان الكلام الذي ارسله عنهما كأنه رآهما بعينه وسمع كلامهما بأذنيه؟ نعوذ بالله ممن لم يكن لدينه ولا لعقله على لسانه رقيب

(١) أخرجه والذي قبله مسلم في: ٣١/١ من صحيحه من طريقين عن يزيد بن كيسان عن ابي حازم عن

ابي هريرة.

ان هذا الحديث مما ارتجله المبطلون تزلفاً لأعداء آل أبي طالب، وعلمت الدولة الأموية في نشره أعمالها، وقد كفانا السلف الصالح من أعلامنا مؤنة الاهتمام بتزييفه وتلك مؤلفاتهم تثبت إيمانه بادللة لا تجحد، وحجج لا تكابر نحيل عليها من أراد الوقوف على الحقيقة^(١) من شأن عم رسول الله ومريبه وكافله وحاميه المنادي:

(١) حسبك منها كتاب الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب لمؤلفه الامام شمس الدين ابي علي فخار بن الشريف معد الموسوي وهذا الكتاب طبع في المطبعة العلوية في النجف الأشرف سنة ١٣٥١ وعليه تعليقة شريفة للشريف العلامة البعثة السيد الصادق الحسيني الطباطبائي النجفي تصدى في آخرها لذكر المؤلفات في هذا الموضوع ومؤلفيها، فكان مما ذكره كتاب ولدي الأكبر ابي عبدالرؤوف عافاه الله وشافاه، قال الطباطبائي: وشيخ الأبطح أو ابو طالب للعلامة السيد محمد علي آل شرف الدين الموسوي العاملي دام علاه طبع في بغداد سنة ١٣٤٩ قال وهذا الكتاب خير كتاب الف في هذا الموضوع حلل فيه نفسه شيخ الأبطح وبين ماله من الفضل وكبير القدر في جميع أدوار حياته وبحق ظهر للوجود وحيداً في بابه تأريخاً فلسفياً علمياً جيد التيبوب والترتيب مفرغاً في قالب بديع متين، واسلوب جذاب، والفاظ قوية بليغة اثبت ايمان ابي طالب ﷺ واسلامه بادللة قطعت الخصام براهين سطعت فأماطت عن وجه الحقيقة ستر الظلام ولذا لم يعض على طبعه أكثر من شهر واحد حتى انتشر في الاقطار الاسلامية جمعاء وبعد مضي خمسة اشهر من تاريخ طبعه ترجمة في لكتهور (احدى حواضر الهند الكبرى) العالم الفاضل السيد ظفر مهدي الى اللغة الهندية (الاوردية) ونشر بتلك اللغة ايضاً (اولاً) في الجزء: ٨, ٩, ١٠ من المجلد الخامس من مجلة سهيل بمن ثم طبعه ثانياً مستقلاً. وتقديراً لجهود مؤلفه الجليل أتيبت بكلمتي هذه كما قدر جهوده قبلي جمهور من الامائل فقد اطلعت على الكتب التي جاءت للمؤلف من الاقطار في اطراء كتابه وهي كثيرة وفيها التفاريظ القيمة من العلماء الاعلام ومن ملوك الاسلام (فمنهم) من آتاه الله من فضله العلم والملك وجمع له بين السلطتين الدينية والزمنية عاهل اليمن الامام يحيى خلد الله ملكه. وأما تفاريظ الصحف في العراق وسوريا ومصر، فقد كانت حافلة بالشكر والثناء والمدح والاطراء كثر الله في رجال العلم والعمل امثال السيد المؤلف ولا حرم العالم الاسلامي من ثمرات جهوده وجزاه عن جده أبي طالب وعن الحقيقة خير جزاء المحسنين.

يا شاهد الله علي فاشهد أبي على دين النبي أحمد
 ذي الأيادي التي هي من المسلمين طوق الهوادي، شيخ الأباطح وبيضة البلد:
 لولاه ما شد أزر المسلمين ولا عين الحنيفة سالت في مجاريها
 آوي وحامي وساوي قيد طاقته عن خير حاضرها طراً وباديها
 ما كان ذاك الحفاظ المرأطة أر حام وضرب عروق فارغاليها
 بل للإله كما فاهت روائعه الـ عصماء في كل شطر من قوافيها
 ضاقت بما رحبت أم القرى برسو ل الله من بعده واسود ضاحيها
 فانصاع يدعوه له بالخير مبتهلاً بدعوة ليس بالمحبوه داعيها
 لو لم تكن نفس عم المصطفى طهرت ما فاه فوه بما فيه ينجيها
 عاماً قضى عمه فيه وزوجته قضاه بالحزن يكيه ويكيها
 اعظم بايمان مبكي المصطفى سنة أيامها البيض أدحى من لياليها
 من صلبه انبثت الانوار قاطبة فالمرتضى بدوها والذخر تاليها^(٢)

٢٢ - الانذار يوم الدار

أخرج الشيخان عن أبي هريرة^(٢) قال: قام رسول الله ﷺ حين

(١) ولأبي طالب اشعار كثيرة سائرة تثبت إيمانه.

(٢) هذه الابيات من القصيدة العلوية العصماء ذات البروج لناظم عقودها سلطان العلماء وامير الشعراء

الشيخ عبد الحسين الصادقي العاملي رحمته الله.

(٣) راجع من صحيح البخاري: ٨٦/٢ في باب هل يدخل النساء والولد في الاقارب من كتاب الوصايا

حيث أخرجه ثمة من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وابي سلمة عن أبي هريرة، واخرجه مسلم من طريق

عبد الملك بن عمير ومن طريق الزهري عن ابن المسيب وابي سلمة عن ابي هريرة، وله طرق أخر عن ابي هريرة

في مسند احمد وغيره.

أنزل الله عليه: (**وانذر عشيرتک الأقربين**) فقال: يا معشر قريش لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا بني عبدمناف لا أغنى من الله شيئاً، يا عباس لا أغنى عنك من الله شيئاً يا صفية لا أغنى عنك من الله شيئاً، يافاطمة بنت محمد سليلي من مالي ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئاً.

(قلت): هذه الآية إنما نزلت في مبدأ البعثة قبل الاسلام بمكة حيث كان أبو هريرة في اليمن، وإنما كان قدومه إلى الحجاز، واسلامه بعد نزولها بعشرين سنة تقريباً، وقد بتر أبو هريرة هذا الحديث وحرفه عن مواضعه جرياً على مقتضيات السياسة السفىانية وموجبات دعايتها ضد الوصي وسائر آل النبي فانه صلى الله عليه وآله وسلم جمع عشيرته الأقربين يوم نزول الآية وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس رضي الله عنه، وأبو لهب تبت يده. فدعاهم الى الله عز وجل وكان مما قاله يومئذ لهم: فأيكم يوازرنى على أمرى هذا على ان يكون أخى ووزيرى ووصيى ووارثى وخليفتى؟ فقال عليّ وهو إذ ذاك أصغرهم: أنا يانى الله أكون وزيرك عليه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ برقبته فقال: ان هذا اخى ووزيرى ووصيى ووارثى وخليفتى فيكم فاسمعوا له واطيعوا الحديث ^(١).

(١) هذا الحديث من صحاح السنن كما بيناه في اول المبحث الثانى من المراجعات حيث فصلنا من أخرجه من اصحاب السنن والمسانيد وارباب السير والتواريخ من المسلمين وغيرهم فلا مندوحة لكل بحاثة عن (المراجعات) فان ثمة ما تشتهي الا نفس وتلد الأعين.

٢٣ - لعب الحبشة في المسجد عند النبي ﷺ

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: بنا الحبشة يلعبون في المسجد عند النبي ﷺ بجراهم دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بما فقال النبي ﷺ دعهم يا عمر الحديث (١).

«قلت»: ان رسول الله ﷺ أبعد عن اللعب، وأرفع عن العبث وأعرف بحرمات الله ورسوله من أن يوسع للجهال مجالاً إلى اللهو في المسجد بمحضر منه، وأن أوقاته الشريفة المفعمة بالمهمات الأخروية والدينية لا تتسع للهو منها شيء، وحاشا لله أن يشغل مسجده الشريف بعبث أو لهو أو لغو «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا».

٢٤ - النسخ قبل حضور وقت العمل

أخرج البخاري (٢) عن أبي هريرة قال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال ﷺ: إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار (قال): ثم قال رسول الله ﷺ لنا حين أردنا الخروج أي امرتكم ان تحرقوا فلاناً وفلاناً وان النار لا يعذب بها إلا الله تعالى فان وجدتموهما فاقتلوهما أ هـ.

(قلت): هذا الحديث باطل، لاشتماله على النسخ قبل حضور وقت العمل وذلك محال على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ كما هو مقرر في محله فان رسول الله ﷺ حين قال: احرقوا فلاناً وفلاناً فانما قال ذلك عن الله عز وجل: (وما

(١) في باب اللهو بالخراب: ١٢٠/٢ من صحيحه في كتاب الجهاد والسير.

(٢) في باب لا يعذب بعذاب الله: ١١٤/٢ من صحيحه في كتاب الجهاد والسير.

ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) فكيف يمكن نسخ هذا القول قبل حضور وقت العمل به أليس نسخه والحال هذه مستلزماً للجهل؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

٢٥ - ايقاع الفعل في وقت لا يسعه

أخرج البخاري عن أبي هريرة يرفعه قال: خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج، الحديث (١).

(قلت): هذا محال من وجهين:

أحدهما: ان القرآن انما انزل على خاتم الانبياء والمرسلين محمد ﷺ وقبله لم يكن، فكيف يقرؤه داود عليه السلام .

أجابوا بأن المراد بالقرآن هنا إنما هو الزبور والتوراة وانه إنما سماه قرآنا لوقوع المعجزة بهما كوقوعها بالقرآن فيكون المراد به مصدر القراءة لا القرآن المنزل على محمد ﷺ (٢).

قلت: في هذه الجواب نظر، إذ حملوا فيه كلام أبي هريرة على ما لم يقصده والله أعلم. ثانيهما: ان مدة اسراج الدابة لتضيق عن قراءة القرآن، سواء أريد به المنزل على رسول الله ﷺ أم أريد به الزبور والتوراة، ومن المقرر بحكم الضرورة العقلية امتناع وقوع الفعل في وقت لا يسعه، وهذا مما لا سبيل الى التشكيك فيه أبداً.

(١) راجعه في باب قوله تعالى: (وآتينا داود زبوراً) : ١٠١/٣ من صحيحه في كتاب تفسير القرآن، وتجده ايضا في احاديث الانبياء عليهم السلام : ١٦٤/٢ من صحيحه في كتاب بدء الخلق.
(٢) تجد هذا الجواب في اول: ٥٠٠/٨ من ارشاده الساري عند انتهائه إلى هذا الحديث من شرح صحيح البخاري.

واذن لا يؤبه بما ذكره العلامة القسطلاني في هذا المقام من ارشاد ساري إذ قال ^(١) وقد دل هذا الحديث على ان الله تعالى يطوي الزمان لمن شاء من عباده كما يطوي المكان لهم (قال): قال النووي إن بعضهم كان يقرأ أربع ختمات بالليل واربعاً بالنهار، ولقد رأيت أبا الطاهر بالقدس الشريف سنة سبع وستين وثمان مائة وسمعت عنه إذ ذاك أنه كان يقرأ فيهما أكثر من عشر ختمات بل قال لي شيخ الاسلام البرهان بن أبي الشريف أدام الله النفع بعلمه عنه أنه كان يقرأ خمس عشرة ختمة في اليوم واللييلة (قال): وهذا باب لا سبيل إلى ادراكه إلاّ بالفيض الرباني انتهى بلفظه.

(قلت): بل لا سبيل إلى امكانه إلا اذا امكن وضع الدنيا على سعتها في البيضة على ضيقها.

وأولو الألباب يعلمون ان طي الزمان وطى المكان كليهما مما لا حقيقة له، ولو فرض وقوعهما فلا وجه لطي الزمان هنا اذ بطيه يزداد الاشكال.

نعم لو قال بطي الكلام في هذا المقام لكان أنسب لمراده وان كان باطلا.

ولا يمكن أن يكون ما نقله في هذا الحديث عن داود معجزة له ^(٢) لأن معجزات الانبياء خوارق للعادة وهذا خارق للعقل كما لا يخفي.

٢٦ - امة مسخت فأراً

أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً ^(١) قال: فقدت امة من بني

(١) في: ١٨٢/٧ حيث تكلم في شرح هذا الحديث فراجع وحين تكلم في شرحه ايضاً في: ٥٠٠/٨ اعاد هذه القصص وزاد ان رجلا من اليمن ختم القرآن في شوط واحد من اشواط الطواف أو في اسبوع فتأمل واعجب.

(٢) في: ١٤٩/٢ من الجزء الثاني من صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق، وفي باب الفأر وأنه مسخ: ٥٣٦/٢ من صحيح مسلم.

اسرائيل لا تدري ما فعلت ويني لا أراها الا الفأر إذا وضع لها البان الابل لم تشرب وإذا وضع لها ألبان الشاة شربت (١) الحديث.

(قلت): هذا من السخافة بمثابة تريباً عنها الامة الوكعاء إلا أن تكون مدخولة العقل؛ لكن الشيخين يلبسان هذا المخرف على غثيئته (٢) ويحتجان به على سخافته ولو أن هذا لا يعود على الاسلام بوصمة لقلدناه حبله لكنها السنة المعصومة يجب الذود عن حياضها بكل ما أوتي المسلم من قوة علمية وعملية، فان هذه الخرافات من اعظم ما مني به الاسلام من الآفات فانا لله وانا اليه راجعون.

٢٧ - المكروه عليه فاعتذر بسماعه من الفضل

أخرج مسلم من طريق عبد الملك بن ابي بكر بن عبد الرحمن عن أبي بكر قال: سمعت ابا هريرة يقص في قصصه (٣): من أدركه الفجر جنباً فلا يصم، قال: فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحرث لأبيه (٤) فأنكر ذلك فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة فسأله عبد الرحمن عن ذلك قال: فكلتاها قالت كان النبي ﷺ يصبح جنباً غير حلم (٥) ثم

(١) اين أولو الألباب ينظرون إلى هذا التخريف في أصل الدعوى وفي دليلها وقد لا يخفى أن الدليل أظهر في السخافة من جهات شتى.

(٢) أي فساد عقله.

(٣) لا يخفى از دراؤه بأبي هريرة إذ جعله قصاصاً، والقصاص في اللغة ما يقرأ القصص في مجتمعات الناس ليأخذ منهم الجزاء عليها واكثر القصاصين مخرفون.

(٤) هكذا هو في جميع النسخ وهو صحيح ومعناه ذكره ابو بكر لأبيه عبد الرحمن فقول له لأبيه بدل من عبد الرحمن لاعادة حرف الجر.

(٥) ان رسول الله ﷺ أجل وأفضل وأكمل مما يظنون وحاشاه أن يصبح جنباً ولا سيما في ايام الصوم والأنبياء ولا يجوز عليهم الاحتلام لأنه من تلاعب الشيطان وهم مترهون عنه.

يصوم قال فانطلقنا حتى دخلنا على مروان وهو والي المدينة من قبل معاوية فذكر ذلك له عبد الرحمن فقال مروان: عزمت عليك الا ما ذهبت الى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول (١) قال فجننا أبا هريرة فذكر عبد الرحمن له ذلك فقال أبو هريرة أهما قالتا لك؟ قال: نعم، قال هما اعلم؛ ثم رد أبو هريرة ما كان يقول في ذلك الى الفضل بن العباس فقال: سمعت ذلك من الفضل ولم اسمعه من النبي ﷺ قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول الحديث. (٢).

قلت: من المعلوم ان الفضل بن العباس قد توفي على عهد أبي بكر (٣) وهذه القضية انما كانت على عهد معاوية (٤) وبهذا تسنى لأبي هريرة أن يقول سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من رسول الله ﷺ ولو كان الفضل حياً ما اجترأ عليه.

٢٨ - حديثان متناقضان

أخرج البخاري (٥) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً لا

-
- (١) أراد مروان بهذا النصح لأبي هريرة اشفاقاً عليه من الفضيحة إذا لم يتدارك خطأه قبل أن يتسع الفتق.
(٢) تجده في باب: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو مجنب: ٤١٢/١ من صحيح مسلم في كتاب الصوم فراجع.
(٣) هذا هو الصحيح، وقيل مات على عهد عمر وعلى كل فقد قبل هذه الواقعة باجماع اهل الاخبار فراجع ترجمته في الاستيعاب والاصابة واسد الغابة وطبقات ابن سعد وغيرها.
(٤) حيث كان مروان واليا على المدينة من قبل معاوية كما سمعت النص عليه في هذا الحديث.
(٥) في باب لا هامة: ١٥/٤ من صحيحه في أواخر كتاب الطب، وأخرجه مسلم ايضا في باب لا عدوى ولا طيرة في: ٢٥٨ والتي بعدها من الجزء الثاني من صحيحه.

عدوى ولا صفر^(١) ولا هامة^(٢) قال فقال اعرابي يا رسول الله فما بال الابل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرى فيجرهما؟. فقال رسول الله ﷺ فمن اعدى الأول؟.

أورد البخاري هذا الحديث ثم روى بعده بلا فصل عن أبي سلمة أنه سمع أبا هريرة فيما بعد يحدث فيقول قال النبي ﷺ لا يوردن ممرض على مصح فقال أبو سلمة يا أبا هريرة ألم تحدث أنه لا عدوى قال فانكر حديثه الأول^(٣) ورطن بالحيشية^(٤).
(قلت): هذا شأن من لا تتسابر خيلاه^(٥) وكفى بهذا بلاغاً للناس: (وليذكروا به وليذكروا اولو الألباب) .

٢٩ - مولودان يتكلمان بالمغيبات

أخرج الشيخان^(١) عن أبي هريرة مرفوعاً من حديث قال فيه: وكان

-
- (١) لعله نفى لما يتوهم من حصول الدواهي في شهر صفر او في آخر اربعاء منه.
 - (٢) الهامة: بتخفيف الميم على الافصح طائر كان اهل الجاهلية يزعمون ان روح الميت وقيل عظامه تنقلب هامة، فابطل الاسلام هذه الخرافة، وقد يقال ان الهامة هنا هي البومة يتشاءمون بها، فأبطل هذا التشاؤم.
 - (٣) قد اتسع الخرق (بانكاره) على الرافع إذ لا محل بعده لتأويل الحديثين بمحملهما على وجه يرتفع به تناقضهما كما لا يخفى.
 - (٤) إنما رطن بالحيشية حيث ارتجت عليه العربية فأخذ من جميع نواحيه فلم يجد سبيلاً إلا الرطانة.
 - (٥) أي لا تسير في طريق واحد والمراد انه لا يوثق بأقواله لتناقضها.
 - (٦) راجع باب: واذكر في كتاب مريم: ١٦٧/٢ من صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق واخرجه ايضا في: ٤٩/٢ وفي: ١٤٣/١، اما مسلم فاخرجه في: ٣٧٧/٢ من صحيحه في باب تقدم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها من كتاب البر والصلة والآداب.

في بني اسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال أجيئها أو أصلي؟ فقالت امه ألهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات (قال وكان جريج في صومعته) فتعرضت له امرأة فأبى فأنت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً فقالت من جريج فاتوه فكسروا صومعته وانزلوه وسبوه فتوضأ! (١) وصلى ثم اتى الغلام فقال من أبوك يا غلام؟ فقال (الغلام ان أبى هو) الراعي! قالوا نبني صومعتك من ذهب قال لا إلا من طين (قال أبو هريرة) وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني اسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة. فقالت: ألهم اجعل ابني مثله فترك ثديها واقبل على الراكب فقال: ألهم لا تجعلني مثله! ثم اقبل على ثديها يمصه قال (أبو هريرة) كأني انظر الى النبي ﷺ يمص اصبعه! ثم مرت أم الغلام بأمة فقالت ألهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك الغلام ثدي أمه فقال ألهم اجعلني مثلها! فقالت له أمه لم ذاك؟ فقال لها: الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقول لها الناس سرقت زينب ولم تفعل! أ هـ.

(قلت): لم يكن جريج من الأنبياء، وكذلك هذان الطفلان، فلا يمكن أن تصدر على ايديهم خوارق العادات، فان الخوارق انما تكون من النبيين في مقام تعجيز البشر اثباتاً لنبوتهم كما هو مقرر في محله وكلام هذين المولودين واخبارهما بالمغيبات مما تأباه فطرة الله: (التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) .

٣٠ - توكيله بحفظ زكاة الفطرة ومجئ الشيطان في ثلاث ليالي ليسرق منها

أخرج البخاري بسنده (٢) الى ابي هريرة قال: وكلني رسول الله ﷺ

(١) كأن ابا هريرة لم يعلم ان الوضوء لم يكن مشروعاً قبل الاسلام.

(٢) في الصفحة الثانية من كتاب الوكالة وهي: ٢ / ٢٩ من صحيحه.

بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحنو من الطعام فأخذته وقلت والله لأرفعنك الى رسول الله قال أي محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة؛ قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ فقلت: يا رسول الله شكّا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله؛ قال ﷺ اما انه قد كذبتك وسيعود قال فرصدته فجاء يحنو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك الى رسول الله قال: دعني فاني محتاج وعلي عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله؛ فأصبحت فقال لي رسول الله: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيالا فرحمته! فخليت سبيله! قال: ﷺ اما أنه قد كذبتك وسيعود، قال: فرصدته الثلاثة فجاء يحنو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك الى رسول الله قال: دعني اعلمك كلمات ينفعك الله بما اذا آويت الى فراشك فاقراً آية الكرسي فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح! فخليت سبيله فلما أصبحت قال لي رسول الله ما فعل أسيرك البارحة؟ فحكيت له القصة فقال أتعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قلت لا قال ﷺ ذلك شيطان! أ هـ.

(أقول): هذه خرافة لا يصغى اليها الا من رك عقله، وطفئت شعلة ذهنه، تدهور أبو هريرة بما في مهواة سحيقة فان رحمة هذا السارق فرع تصديقه وفي تصديقه تكذيب لقول رسول الله ﷺ: أما انه قد كذبتك، يكرر ذلك ثلاث مرات. وكبا أبو هريرة في هذا الحديث ليديه وفمه من جهة أخرى: اذ حلف بالله ليرفعه الى رسول ﷺ فحنث ولم يرفعه بل خلى عنه ورحمه أولاً وثانياً وثالثاً، فهل كان الحنث بالإيمان على رأي أبي هريرة مباحاً؟.

وهناك سقطه ثلاثة وعشرة لا تقال اذ لم يكن أبو هريرة وكيلا بالعطاء

وانما كان - فيما زعم - وكيلا يحفظ الزكاة (١) فكيف ترك هذا السارق يأخذ منها؟! وهل يجوز للوكيل بحفظ الشيء أن يتسامح في حفظه أولاً وثانياً وثالثاً؟ وهل هذا التسامح من الأمانة في شيء؟!.

وما أغرب ما يحدثنا به أبو هريرة عن شياطينه - وكل ما انفرد به أبو هريرة غريب - تارة يزعم أنهم يسرقون الطعام لعيالهم وأخرى ان لهم ضراطاً اذا سمعوا الأذان، وثالثة أنهم يربطون بسارية المسجد فتراهم الناس موثوقين؛ الى غير ذلك من القصص التي يربأ أولو العقول الوافرة، والأذهان النيرة عن سماعها، نعوذ بالله من سبات العقل، وضعف التمييز.

٣١ - اسلام امه بدعاء النبي، ودعاؤه ﷺ بأن يجيبهما إلى المؤمنين ويجيب المؤمنين اليهما

اليهما

أخرج مسلم (٢) بسنده إلى أبي هريرة قال: كنت ادعو أُمِّي إلى الاسلام وهي مشركة فدعوتهما يوماً فاسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله وأنا ابكي قلت يا رسول الله اسمعتني امي فيك ما اكره فادع الله أن يهديها

(١) كما هو صريح قوله في اول هذا الحديث: وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان. وقد صرح الزركشي وغيره ان ابا هريرة ام يكن وكيلا بالعتاء بل بالحفظ خاصة فراجع: ٢٣١/٥ من ارشاد الساري للقسطاني اثناء شرحه لهذا الحديث.

(٢) في باب فضائل ابي هريرة: ٣٥٧/٢ من صحيحه، واخرجه الامام احمد من حديث ابي هريرة في آخر: ٣١٩/٢ من مسنده، واخرجه ابن سعد في ترجمة ابي هريرة: ٥٤ من القسم الثاني من الجزء الرابع من طبقاته، ونقله ابن حجر العسقلاني في ترجمة اميمة بنت صفيح من اصابته عن مسلم ونقله في ترجمة ابي هريرة من الاصابة ايضا عن احمد بن حنبل والحديث موجود في الجمع بين الصحيحين والجمع بين الصحاح الستة.

فقال ﷺ اللهم اهد ام أبي هريرة فخرجت مستبشراً فلما بلغت الباب فاذا هو محاف (١) فسمعت ام وطء قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت يا أبا هريرة اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال فرجعت الى رسول الله وأنا أبكي من الفرح فقلت يا رسول الله ابشر قد استجاب الله دعوتك فهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً قال قلت يا رسول الله ادع الله ان يجيبي انا وأمي الى عبادته المؤمنين ويحببهم الينا قال: فقال ررسول الله أَللهم حبب عبيدك هذا وامه الى عبادك المؤمنين وحبب اليهم المؤمنين فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني الا احبني أ هـ.

(قلت): في هذا الحديث نظر من وجوه:

أحدها أنه لم يروه عن رسول الله ﷺ سوى أبي هريرة فهو اذن معطوف على سائر ما انفرد به.

ثانيها: أنه اذا كانت امه على الحال التي ذكرها من الاصرار على الشرك والامعان في الكفرتأبي الاسلام وتنال من رسول الله ﷺ اذا دعيت اليه فبأي أمل هاجرت من اليمن وهي مسقط رأسها ومحل انسها الى المدينة الطيبة وهي دار هجرة النبي ومحل نصرته ﷺ؟ وهلا بقيت - وحالها هذه - في أوطانها عاكفة على أوثانها؟ اسوة بأهل اليمن في ذلك الزمن فماذا يقول اولياء أبي هريرة في الجواب عن هذا؟ وليخبروني هل لديهم عن أم أبي هريرة شئ يسند الى غير ابي هريرة من هجرتها واسلامها وسائر شئونها فان كان لديهم شئ من ذلك فليرشدونا اليه فاني كما يشهد الله لم اجد فيمن كانت له صحبة أحداً ذكر أم أبي هريرة بشئ ما سوى الخليفة الثاني حين عزل ابا هريرة عن البحرين فقال له ما رجعت بك أميمة الا لرعية الحمر وهذا لا يدل على اكثر من معرفة اسمها

(١) مأخوذ من احاف الباب أي ردها.

اما أصحاب المعاجم والتراجم فقد يذكرونها معتمدين فيما ينقلونه من احوالها على أبي هريرة لا غير كما لا يخفى.

ثالثها: ان أبا هريرة كان من اشد مساكين الصفة فاقة وفقراً يلتمس في الطريق صدقة تمسك رمقه كما مر عليك في احواله على عهد النبوة وقد سمعت ثمة قوله رأيتني واني لأخر فيما بين منبر رسول الله الى حجرة عائشة مغشياً علي فيجئ الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى ابي مجنون وما بي من جنون ما بي الا الجوع، وسمعت اعترافه بأنه وسائر أهل الصفة كانوا ضيوف الاسلام لا يأوون الى احد ولا على أحد اذ لم تكن لهم منازل يأوون اليها فكانوا ينامون في المسجد ويظلون فيه وكانت صفة المسجد ماثوهم ليلاً ونهاراً وأبو هريرة كان اشهر من سكن الصفة واستوطنها طول عمر النبي ولم ينقل عنها حتى مضى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسبيله كما سمعت مفصلاً بل كان عريف من سكن الصفة من القاطنين ومن نزلها من الطارقين، فمن أين له البيت الذي ذكره في حديثه هذا يا أولي الألباب؟.

رابعها: لو صح ما قاله ابو هريرة في هذا الحديث لكان من اعلام النبوة وآيات الاسلام وادلة أهل الحق حيث استجاب الله دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سبيل الفور فهدى الله به أم أبي هريرة وقلب حقيقتها فاتها بينا كانت تمنع في الكفر وتسترسل في الضلال اذا هي من المؤمنات القانتات المؤدبات بالآداب الشرعية^(١) واعلام النبوة كلها متواترة يحدث بها كبار الصحابة وصغارهم فما بالهم يعرضون عن هذه الآية فلم يروها منهم سوى أبي هريرة لو كانت صحيحة.

خامسها: لو صح ما زعمه أبو هريرة من دعاء النبي له ولأمة بأن يجيبهما إلى المؤمنين ويجيب المؤمنين اليهما لأحبه أهل بيت النبوة وموضع الرسالة فانهم سادة المؤمنين وقادة أهل الملة والدين فما بال أئمتهم الاثني عشر وسائر علمائهم

(١) يدللك على آدابها ما سمعته من غسلها ولبسها درعها قبل فتح الباب وعجلتها عن حمارها.

يرذلونه ويسقطون حديثه؟ ولا يأهون بشئ مما انفرد به حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام (١):
ألا إن أكذب الناس أو قال: أكذب الاحياء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبو هريرة الدوسي.
ولو كان أبو هريرة في حبّ المؤمنين اياه وحبه اياهم كما زعم لما قال له عمر حين
عزله عن البحرين (٢): يا عدو الله وعدو كتابه سرقت مال الله الخ. فكيف يكون عدو الله
كتابه محباً للمؤمنين كافة ومحبويا منهم جميعاً؟ وقد ضربه عمر على عهد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بين ثدييه (٣) ضربة خربها لأسته ، وضربه بالدرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى
أدمى ظهره وانتزع منه عشرة آلاف سرقها من مال المسلمين فأرجعها إلى بيت المال،
وضربه مرة ثالثة حين قال له (٤): أكثرت يا أبا هريرة من الرواية وأحر بك أن تكون
كاذبا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له مرة متغيظاً لتترك الحديث أو لألحقنك بأرض دوس
أو بأرض القردة (٥).

وهناك نواذر كانت بينه وبين كل من عبد الله بن عباس وعائشة وغيرهما لا تجتمع مع
تبادل المحبة بينه وبينهم أبداً.

نعم كانت المحبة متبادلة في آخر أمره بينه وبين آل أبي العاص وآل أبي معيط وآل أبي
سفيان؛ حبه اليهم حديثه إذ وجدوا فيه ضالتهم المنشودة

-
- (١) في هذا المعنى أخبار متواترة عن أئمة العترة الطاهرة وقد أرسل هذه الكلمة عن أمير المؤمنين عليه السلام
بالخصوص امام المعتزلة ابو جعفر الاسكافي كما في: ص ٣٦٠ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي.
(٢) مر عليك حديث عزله في احواله أبي هريرة على عهد الخليفتين.
(٣) فيما اخرجه مسلم في: ٣٤/١ من صحيحه.
(٤) كما في: ص ٣٦٠ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي.
(٥) اخرجه ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد وهو الحديث: ٤٨٥٧ في: ٢٣٩/٥ من كتر العمال.

لدعايتهم الكاذبة وحببهم اليه سوايغ نعمهم عليه إذ أنعشوه بعد الخمول وأنالوه النضرة بعد الذبول، كان مروان بن الحكم يستخلفه على المدينة (١) كلما غاب عنها، وهو الذي زوجه بسرة بنت غزوان (٢) وما كان ليرمقها بطرفه لولا آل بي العاص وآل أبي سفيان، لما مرض مرض الموت كان مروان يبصره ويصله وكان مشفقاً عليه فكان يدعو له بالشفاء حين يعودده وقد عادده في آخر أيام حياته فلما انصرف عنه أدركه إنسان فقال له (٣): قضى أبو هريرة، وحين حمل نعشه كان مروان أمام الجنازة (٤) وكان أبناء عثمان يحملون النعش حتى بلغوا به البقيع فصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ونعاه إلى عمه معاوية فأمره أن يدفع إلى ورثته عشرة آلاف وان يحسن جوارهم، وهذه صورة تريك عطفهم عليه، ومزيد إحسانهم اليه، وتلمسك انقطاعه اليهم وعكوفه عليهم فهل كانوا في اصطلاح أبي هرير هم المؤمنين؟ الذين حببهم الله اليه، وحببه اليهم؟.

٣٢ - غلام أبي هريرة في هجرته !!!

أخرج البخاري (٥) بسنده إلى أبي هريرة، قال: لما قدمت على النبي ﷺ قلت في الطريق:

يا ليلة من طولها وعنائها على أنها من دارة الكفر نجت

قال: وابق غلام لي في الطريق فلما قدمت على النبي ﷺ فبايعته فينا

-
- (١) كما اخرجه في ترجمة أبي هريرة كل من ابن سعد في طبقاته وابن قتيبة في معارفه، ورواه احمد بن حنبل في مسنده كما بيناه إذ ذكرنا أيادي بني امية عليه.
- (٢) تعرف ذلك من ترجمة بسرة في اصابة ابن حجر.
- (٣) فيما اخرجه ابن سعد في ترجمة أبي هريرة من طبقاته.
- (٤) كما اخرجه ابن سعد في ترجمة أبي هريرة من الطبقات.
- (٥) في قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي: ٥٥/٣ من صحيحه واخرجه ابن سعد في ترجمة أبي هريرة من طبقاته.

أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لي النبي: يا أبا هريرة هذا غلامك قلت هو لوجه الله فاعتقته أ
هـ.

ان أبا هريرة ليحير الحواس، ويدهش مشاعر الناس بينا يقول نشأت يتيمًا، وهاجرت
مسكينًا، وكنت أجيرًا لفلان وفلانة بطعام بطني أسوق بهم إذا ركبوا وأخدمهم اذا نزلوا؛
اذا هو يدعي انه يوم هجرته كان يملك غلاما فاعتقه لوجه الله؛ والظاهر أنه انما حدث
بهذا في اواخر حياته حين كان مغمورًا بنعمة مروان وآل أبي سفيان، فنسي حاله يوم
المجرة وقبلها وبعدها، حيث كان طاويًا خاويًا كاسفًا خاسفًا تنط امعاؤه وتنق أحشاؤه،
مطروحًا على الطريق يعتمد على كبده من الجوع، ملتمسًا صدقة من المارة تمسك ريقه،
كما أفصح عنه اذ قال: والله الذي لا اله الا هو ان كنت لأعتمد على كبدي من الجوع
وان كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع - الحديث - وقد مر عليك وفيه قعوده على
الطريق يلتمس الصدقة، وقد قال في حديث آخر: رأيتني وأني لأخر فيما بين منبر رسول
الله الة حجرة عائشة مغشياً علي، فيجئني الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أبي مجنون
وما بي من جنون ما بي الا الجوع الى كثير من كلماته الصريحة بأنه كان ممن لا يمضه الهوان
، ولا يؤلمه الامتهان، وان غاية ما يرجوه شعبة من طعام فمن أين له الغلام؟ وحاله هذه يا
اولي الألباب؟..

ولو قلنا لأبي هريرة: كيف عرفه النبي ﷺ. بمجرد أن طلع لأخرجنا مقامه إذ لم تكن
له معرفة به سابقة، ولعل لأبي هريرة جلاله تستوجب الوحي إلى النبي في شأنه
وشأن غلامه؟!.

٣٣ - قصة خيالية ترمي الى حسن عواقب الصدقة

أخرج مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً، قال بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في
سحابة: اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه كله

في تلك الحديقة واذا رجل قائم في الحديقة يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمعه في الصحابة فقال له: لم تسألني عن اسمي؛ قال: ابي سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول له: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها قال: أما اذا قلب هذا فاني انظر الى ما يخرج منها فأصدق بثلثه، الحديث (١).

وهذا مما تحكم العادة بامتناع وقوعه وتأباه نواميس الفطرة التي فطرت الأكوان عليها، لكن أبا هريرة أفتأته كرواية خيالية ترمي الى حسن عواقب الصدقة، وتقوله على رسول الله ﷺ كما هي عادته في قصصه الخيالية وغيرها فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

٣٤ - خيالية اخرى ترمي الى حسن عواقب الوفاء بالشرط

أخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً: أنه ذكر رجلاً من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل أن يسلفه الف دينار فقال: اتيني بالشهداء اشهدهم فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فأتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت. فدفعها اليه الى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم النمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً فأخذ خشبة فنقرها فادخل فيها الف دينار وصحيفة منه الى صاحبه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها الى البحر، فقال: اللهم انك تعلم أني كنت تسلفت فلاناً الف دينار فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت كفى بالله شهيداً فرضي بك؛ وأني اجهد أن اجهد مركباً ابعث اليه الذي له فلم اقدر واني استودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم أنصرف فخرج الرجل الذي

(١) أخرجه مسلم في باب الصدقة في المساكين: ٥٣٣/٢ من صحيحه.

كان اسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله؛ فاذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً فلما نشرها وجد المال والصحيفة - الحديث (١) - وهو في البعد الى حد السقوط عن درجة الاعتبار.

على ان القاء الف دينار في البحر مما لا يبيحه شرع ولا عقل ولا يستوجب براءة ذمة المدين لو لم يصل المال اليه والعقلاء يعدون هذا العمل منه سفهاً او جنوناً يستوجبان التحجير عليه، ولو فرض وقوع هذا الأمر في بني اسرائيل او غيرهم فرسول الله ﷺ لا يحدث به حتى يعلق عليه كلمة تستوجب عدم العمل على مقتضاه؛ اذ لو حدث به من غير تعليق عليه - كما في الحديث - لأغرى به المؤمنون من امته وذلك محال عليه ﷺ لكن أبا هريرة صاغه كما تصاغ الروايات الخيالية؛ ومرماه الارتباط بالشرط، والوفاء بالعقد، ثم تقوله على رسول الله ﷺ ترويحاً لبضاعته.

٣٥ - خيالية ثالثة ترمي الى عواقب شكر النعم وعواقب كفرها

اخرج البخاري (١) عن أبي هريرة مرفوعاً قال: ان ثلاثة من بني اسرائيل ابرص واقرع واعمى بدا لله عز وجل ان يتليهم (٢) فبعث اليهم ملكا

(١) أخرجه البخاري بهذه الالفاظ في باب الكفالة في القرض والديون: ٢٦/٢ من صحيحه وأخرجه أيضاً بألفاظ اخر في الاستقراض واللقطة والاستئذان والشروط والبيع والزكاة فراجع.

(٢) في: ١٧٠/٢ من صحيحه في باب ما ذكر عن بني اسرائيل في كتاب بدء الخلق.

(٣) بدا بفتح الباء الموحدة وفتح الدال المهملة المخففة بعدها الف مقلوبة عن واو بغير همز بمعنى سبق في علم الله الازلي ولم يكن ظاهراً للناس فاراد الله عز وجل اظهاره وهذا هو البداء الذي تقول به الشيعة الامامية واخطأ من رامهم بالدواهي، والحمد لله اذ وجدنا في حديث أبي هريرة دليلاً عليه فان خصومنا لا يقنعهم حديث العترة الطاهرة.

فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد قد قذرتني الناس قال فمسحه فذهب عنه فاعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً، فقال: أي المال احب اليك؟ قال: الابل، فاعطى ناقة عشراء فقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأفرع فقال: أي شيء احب اليك؟ قال: شعر حسن وقد قذرتني الناس، قال: فمسحه فذهب واعطى شعراً حسناً، قال: فأبي المال احب اليك؟ قال: البقر فاعطاه بقرة حاملا وقال يبارك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أي شيء احب اليك؟ قال: يرد الله إلي بصري قال: فمسحه فرد الله اليه بصره، قال: فاي المال احب اليك؟ قال الغنم، فاعطاه الله شاة والدأ فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من الغنم.

ثم انه أتى الأبرص في صورته وهيئته - التي كان الابرص أولاً عليها - فقال له: رجل مسكين تقطعت بي الجبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، اسألك بالذي اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيراً اتبلغ عليه في سفري، فقال له: ان الحقوق كثيرة؛ فقال له: كأني اعرفك لم تكن ابرص يقدرك الناس فقيراً؟ فاعطاك الله. فقال: ورثت كابراً عن كابر، فقال: ان كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت.

واتى الاقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا؛ فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: ان كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت.

واتى الاعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بي الجبال في سفري، فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك، اسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة اتبلغ بها في سفري؛ فقال: كنت اعمى فرد الله بصري وفقيراً فاغناني فخذ ما شئت فو الله لا اجهدك اليوم بشيء اخذته لله فقال أمسك مالك فانما ابتليتهم فيد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك.

(قلت): هذا الحديث من منسوجات أبي هريرة وقد رقصه ووشاه فكان كأحدث رواية خيالية يمثلها المزخرفون على مسارحهم في عصرنا الحاضر يرمي بها الى عاقبتى شكر النعمة والكفر بها.

٣٦ - خيالية رابعة ترمي الى سوء عاقبة الظلم

أخرج الشيخان بسندهما إلى أبي هريرة ^(١) مرفوعاً قال: دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض أ هـ. وهذا الحديث مما انكرته عائشة على أبي هريرة فكان مما قالت له إذ بلغها: إن المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه في هرة فاذا حدثت عن رسول الله فانظر كيف تحدث ^(٢). (قلت): وهذا من رواياته الخيالية يرمي فيه الى سوء عواقب الظلم والعدوان.

٣٧ - خيالية خامسة ترمي الى حسن عواقب الرحمة

أخرج البخاري عن أبي هريرة ^(٣) يرفعه قال: غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث (قال) وكاد يقتله العطش فترعت خفها واوثقتة بخمارها فترعت له من الماء فشرب ففغر لها بذلك.

(١) راجع: ١٤٩/٢ من صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق وأول: ٤٤٥/٢ من صحيح مسلم في باب سعة رحمة الله من كتاب التوبة تجد الحديث.
(٢) هذا الرد مشهور عن عائشة وقد رواه عنها شارحو صحيح البخاري ومسلم عند انتهائهم إلى هذا الحديث في شروحهم فراجع: ٨٤ من المجلد السابع من ارشاد الساري.
(٣) في: ١٥٠/٢ من صحيحه وأخرجه ايضا في مواضع اخر.

٣٨ - رواية خيالية هدفها هدف سابقتها

وأخرج البخاري عن أبي هريرة يرفعه قال: بينما رجل يمشي في طريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فترل فيها فشرب ثم خرج فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش! قال فترل الرجل البئر فملاً خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له وغفر له بذلك - الحديث (١) - .

وقد تعلم أن هذا الحديث والذي قبله إنما هما من مخيلة أبي هريرة يمثل بهما حسن عواقب العطف والحنان ويحض بهما على البر والاحسان.

٣٩ - مسرف كافر غفر له

أخرج مسلم عن معمر قال: قال لي الزهري: ألا أحدثك بحديثين عجيبين (٢)؟! أخبرني حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي قال: أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر فوالله لئن قدر عليّ ربي (٣) ليعذبني عذاباً ما عذب به أحداً ففعلوا ذلك به فقال الله لارض أدي ما أخذت فاذا هو قائم فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: مخافتك يارب ففغر له بذلك، قال الزهري: وحدثني حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي اطعمتها

(١) تجده في باب رحمة الناس بالبهائم: ٣٦/٤ من كتاب الادب وفي باب فضل سقي الماء: ٣٥/٢ من صحيحه في كتاب المساقاة فراجع.

(٢) يحق للزهري أن يعجب من هذين الحديثين واولو الألباب كلهم يعجبون منهما.

(٣) تأمل كلمته هذه تجدها صريحة بأنه كان لا يؤمن بان ربه قادر على بعثه بعد انجاز وصيته فهو كافر بذلك.

ولا هي ارسلتها تأكل من خشاش الأرض - الحديث - (١).

(قلت): أما المرأة ذات الهرة فان كانت مؤمنة كانت - كما قالت عائشة. اكرم على الله من يعذبها في النار بهرة، وان كانت كافرة فانما تعذب بكفرها. وأما ذلك المسرف فانه - على ما يقتضيه الحديث - لم يكن أهلاً للمغفرة إذ لم يكتف بتمرده على الله تعالى طيلة حياته وتجاوزه الحد في موبقاته حتى مات مصراً على تمرده يائساً من روح الله فاراً من سلطانه الى حيث لا تناله - على زعمه - قدرة الله عز سلطانه التي احاطت بكل شئ ولذلك اوصى تلك الوصية البربرية فهو كافر بيأسه من رحمة الله وانكاره لقدرة الله عز وجل والكافر لا يستحق المغفرة، ولا هو لها اجماعاً وقولاً واحداً.

على أن اسلوب هذا الحديث انما هو اسلوب حكاية خيالية ترمي إلى عدم اليأس من رحمة الله ولو مع الاسراف وإلى عدم الأمن من عذاب الله ولو مع الايمان، وهاتان الحقيقتان في غنى عن روايات أبي هريرة وخیالاته لثبوتهما بنص الذكر الحكيم والفرقان العظيم: (ولا تياسوا من روح الله إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون، أفأمنوا مكر الله فلا يامن مكر الله إلا القوم الخاسرون) فالسنن المقدسة تيراً أنوار اساليبها من هذا الحديث واسلوبه كما لا يخفى.

وايضاً لو فرض وقوع تلك الوصية من ذلك المسرف وفرض انما بمجرد ما كانت سبباً لمغفرة ذنوبه فرسول الله ﷺ لا يمكن أن يحدث بها حتى يعلق عليها كلمة تحضرها إذ لو حدث بها من غير تعليق - كما نقله أبو هريرة - لأغرى بها المسرفين من امته وهذا محال كما لا يخفى.

(١) تجده في: ٤٤٤/٢ من صحيح مسلم في باب سعة رحمة الله وانما سبقت غضبه من كتاب التوبة.

٤٠ - مذنب يتوب إلى الله ثم يؤوب إلى ذنوبه يكرر ذلك فيقول الله له: إعمل ما شئت

فقد غفرت لك

قال أبو هريرة: أذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي فقال الله تبارك وتعالى: اذنب عبدي ذنباً فعلم ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قال: ثم عاد فأذنب؛ فقال: أي رب غفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي اذنب ذنباً فعلم ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فاذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: اذنب عبدي ذنباً فعلم ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك! الحديث (١).

(قلت): وهذا كسابقه معناً ومرمىً واسلوباً نسجته يدا أبي هريرة من غزل مخيلته كحكاية العجائز والقصاصين يرمي به إلى سعة مغفرة الله عز وجل وسعة مغفرة الله ورحمته في غنى عن الروايات الخيالية لثبوتها يحكم العقل والنقل كتاباً وسنة ولاجماع الأمة عليها بل اجماع أهل الاديان كافة بل هي من ضروريات الاسلام وغيره من سائر الاديان. وأنت تعلم ان ليس بين الله عز وجل وبين احد من خلقه هوادة في حمى حرّمه على العالمين، ألا تراه كيف يقول عز من قائل: (لو تقول علينا بعض الأقاويل لآخذنا منه باليمين ثم لقطعناه منه الوتين وما منكم من أحد عنه حاجزين) فكيف يمكن بعدها ان يجابي هذا المذنب الراجع عن توبته مراراً فيقول له: اعمل ما شئت فقد غفرت لك، وبأي شيء استحق هذا الضعيف في ذات الله ان ينال هذه الهوادة التي ما نالها الصديقون والأنبياء والمرسلون.

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً في باب قبول التوبة من الذنب وان تكررت الذنوب والتوبة:

٤٤٥/٢ من صحيحه في كتاب التوبة.

وكم لأبي هريرة من هذه القصص الخيالية يحدث بها الطغاة يهويناً لجرائمهم وتعزية لهم عن موبقاتهم كقوله سمعت رسول الله ﷺ يقول: حضر ملك الموت رجلاً يموت فلم يجد فيه خيراً وشق عن قلبه فلم يجد فيه شيئاً ثم فك عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بفكه بقول لا إله إلا الله فغفر الله له - الحديث (١).

ومن سخافات هذا الرجل قوله: أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف فلما قام رسول الله صلى عليه واله وسلم في مصلاه ذكر انه جنب الحديث (٢).

نيراً الى الله منه ومن يميزه على رسول الله ﷺ الذي كان في جميع اوقاته على ظهور وكان الضوء على الضوء عنده نوراً على نور وانبياء الله كافة متزهون عن مضمونه معصومون عما هو دونه مما لا يليق بالصديقين وصالحى المؤمنين.

ومنها: حديثه (٣) في النهي عن تفضيل النبي على موسى وحديثه (٤) في أن من قال ان رسول الله خير من يونس بن متى فقد كذب.

وقد اجمعت الامة على تفضيله، وثبت ذلك بالنصوص الصريحة الصحيحة وقامت عليه الضرورة من دين الاسلام.

(١) أخرجه الخطيب في ترجمة سعد بن عبد الحميد: ١٢٥ من المجلد: ٩ من تاريخ بغداد.

(٢) أخرجه البخاري في باب إذا ذكر في المسجد انه جنب يخرج ولا يتيمم: ٤١/١ من صحيحه.

(٣) الذي أخرجه البخاري في الخصومات: ٤٠/٢ من صحيحه.

(٤) الذي أخرجه البخاري في باب قوله تعالى: (انا اوحينا اليك كما اوحينا إلى نوح) إلى قوله تعالى:

(ويونس وهارون وسليمان) في: ٨٢/٢ من صحيحه في كتاب تفسير القرآن.

وحديثه ^(١) بأنه لن يدخل احداً عمله الجنة «قال» قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا؟.

يضرب بهذا الحديث عرض الحائط لمخالفته كتاب الله عز وجل في كثير من آياته، وحسبك منها: (ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) .

وحديثه ^(٢) في أنه ما بعث نبي الا ورعى الغنم وهذا في البعد الى حد السقوط. ومثله حديثه ^(٣) في ان براهيم عليه السلام قد اختتن بالقدم ^(٤) بعد ثمانين سنة من عمره. وحديثه ^(٥) في ان عيسى بن مريم عليه السلام رأى رجلا يسرق فقال له: أسرقت؟ فقال: كلا؟ والذي لا آله الا هو، فصدقه وكذب عينيه.

وحديثه: اذ خلق الله آدم فمسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة امثال الذر ثم جعل بين عيني كل انسان منهم ويبدأ «أي بريقاً» من نور ثم عرضهم على آدم فقال آدم من هؤلاء يارب؟ قال: ذريتك فرأى آدم رجلاً منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا؟ قال هذا ابنك داود، قال آدم: كم جعلت له من العمر؟ قال ستين سنة، قال: يارب

(١) الذي اخرجه البخاري في باب تمني المريض الموت من آخر كتاب المرضى: ٦/٤ من صحيحه.

(٢) الذي اخرجه البخاري في كتاب الاجارة: ٢٢/٢ من صحيحه.

(٣) الذي اخرجه البخاري في باب الختان: ٦٥/٤ من صحيحه في اواخر كتاب الاستئذان.

(٤) ولعل هذا القدم كان على رأي أبي هريرة مما ورثه ابراهيم عن نوح وانه مما استعمله في صنع فلكه.

(٥) الذي أخرجه البخاري في باب: واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت: ١٦٨/٢ من صحيحه.

زده من عمري اربعين سنة حتى يكون عمره مائة سنة، فقال الله عز وجل اذن يكتب ويختتم فلا يبدل فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت لقبض روحه قال آدم: أو لم يبق من عمري أربعون سنة قال له ملك الموت أو لم تجعلها لابنك داود؟ قال: فوجدت ذريته! - الحديث - (١).

ومثله حديثه (٢) عن آدم وموسى حيث مثلهما يتحاجان على كيفية تدل على أهمما كانا من القدرية الجبرية، وقد ظهر فيها آدم على موسى فحجه الى كثير مما لا يليق بالأنبياء، ويجب تزيههم عنه.

وما اكثر حديثه في خوارق النواميس الطبيعية، وحسبك منها (مضافا الى ما سمعته آنفاً) حديثان نجعلهما خاتمة هذا الفصل.

(أحدهما): حديثه اذ كان - فيما زعم - مع العلاء بن الحضرمي لما بعث في اربعة آلاف الى البحرين فانطلقوا حتى اتوا على خليج من البحر ما خاضه قبلهم أحد ولا يخوضه بعدهم احد!.

(قال أبو هريرة): أخذ العلاء بعنان فرسه فسار على وجه الماء وسار الجيش وراءه قال: فوالله ما ابتل لنا قدم ولاخف ولا حافر؟؟ الحديث (٣).

(١) أخرجه الحاكم وصححه في: ٣٢٥/٢ من المستدرک في کتاب التفسیر في شرح: وإذ اخذ ربك من

بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأورده الذهبي وصححه في تلخيص المستدرک.

(٢) الذي أخرجه البخاري في باب وفاة موسى: ١٦٣/٢ من صحيحه في كتاب بدء الخلق.

(٣) رواه الشيخ الامام العلامة ابو بكر بن محمد الوليد الفهري الطرطوشي المعروف بابن ابي رندة المتوفى سنة اثنتين وخمسمائة في الاسكندرية في كتابه الذي افرد له للدعاء ونقله عنه الشيخ كمال الدين الدميري في مادة البعوض من كتابه حياة الحيوان وأشار الى هذه القصة صاحب الاستيعاب والاصابة في ترجمة العلاء وقالها لها مشهورة.

وهذا لو كان حقاً لرواه كل واحد من ذلك الجيش المؤلف من أربعة آلاف صحابي فكان في طبيعة الأحاديث المتواترة فما به لايسند إلا الى أبي هريرة يا أولي الأبواب؟؟.

(ثانيهما): حديث المزود إذ قال: اصبت بثلاث مصيبات في الاسلام لم أصب بمثلهن: موت رسول الله ﷺ وكننت صويحبه، وقتل عثمان، والمزود قالوا: وما المزود يا أبا هريرة؟ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال: يا أبا هريرة أمعك شيء؟ قال قلت تمر في مزود، قال جئ به، فاخرجت تمرًا فأأتيته به، قال: فمسه ودعا فيه ثم قال: ادع عشرة، فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم كذلك حتى اكل الجيش كله وبقي من تمر معي في المزود فقال: يا ابا هريرة إذا اردت ان تأخذ منه شيئاً فادخل يدك فيه ولا تكفه قال: فأكلت منه حياة النبي واكلت منه حياة أبي بكر كلَّها وأكلت من حياة عمر كلَّها وأكلت من حياة عثمان كلَّها؟؟ فلما قتل عثمان انتهب ما في يدي وانتهب المزود، ألا أخبركم كم أكلت منه؟ أكلت منه اكثر من مائتي وسق!!!.

(قلت): لا ريب في ان رسول الله ﷺ كان يطعم اللحم الغفير من الزاد اليسير في كثير من ايامه المباركة، وذلك من اعلام نبوته وآيات رسالته، لكن هذا الحديث بالخصوص مما صنعته يدا أبي هريرة مدلا على السواد من احزاب بني امية والغوغاء من اشياعهم العاكفين على قميص عثمان واصابع زوجته بالبكاء والعويل ليستنهض معروفهم ويحتدي برهم، وهذا من اساليبه المدهشة في تزلفه الى بني امية وامتياح فضلهم.

و مما يدل على وضعه ان أبا هريرة كان يتلون فيه تلون الحرباء ويتطور في نقله على انحاء كما يعلمه متتبعوا طرق المزود في مسانيد السنة وكتبها^(١).

(١) حديث المزود اخرجه الامام احمد بن حنبل من طريقين، وابو بكر البيهقي من طريقين آخرين، واخرجه غيرهما من طرق اخر فليراجعها من اراد الوقوف على ما فيها من التسهات والتناقض الحاكمين بسقوطها، وقد اورد ابن كثير جملة منها في: ١١٦/٦ من البداية والنهاية.

ولأبي هريرة كيس وسع هذا المزود وغيره كان عيبة علمه يتناول منه ما يشاء متى شاء وكيف شاء وربما سئل عما يحدث فيقال له ابا هريرة سمعت هذا من رسول الله ﷺ فيقول: لا هذا من كيس أبي هريرة (١).
وعجائب أبي هريرة يضيق عنها املاؤنا هذا وحسبنا منها ما اوردناه حجة على ما اردناه والحمد لله.

١٢ - مسنده في حكم المرسل

كان من دأب أبي هريرة في حديثه عن رسول الله ﷺ أن يسند اليه ما بلغه عنه بالواسطة لا يقيم عليها قرينة كما يسند اليه ما سمعه منه مشافهة لا يفرق بين هذا وذاك في شئ ما، وهذا ما جعل حديثه كله في حكم المرسل لا يصلح حجة ولا يقوم دليلا.
وإن كنت في ريب مما قلناه في دأبه فإني احيلك على قوله: قال رسول الله ﷺ لعمة ابي طالب: قال لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال: لولا أن تعبرني قريش الحديث (٢).

وقد علم الناس أن أبا طالب عليّاً إنما توفي قبل قدوم أبي هريرة الى الحجاز

(١) هذا نصه من حديث اخرجه عنه البخاري في اول كتاب النفقات: ١٨٩/٣ من صحيحه.
(٢) اخرجه مسلم في كتاب الايمان: ٣١/١ من صحيحه، وقد اوردناه وعلقنا عليه في الفصل السابق من هذا الاملاء.

بعشر سنين في أقل الروايات، فاين كان عن النبي وعمه عليهما السلام وهما يتبادلان الكلام الذي اسنده اليهما كأنه رآهما بعينه وسمعهما بأذنيه؟!.

وقال: قام رسول الله حين انزل الله عليه: (**وانذر عشيرتك الأقربين**) فقال يا معشر قريش لا اغني عنكم من الله شيئاً الحديث ^(١).

واولو العلم باسرههم مجتمعون على ان هذه الآية انما نزلت في مبدأ الدعوة الاسلامية قبل ظهورها في مكة، وأبو هريرة اذ ذاك في اليمن جاهلياً وانما ابي الحجاز بعد نزول هذه الآية بنحو عشرين سنة، فاين كان عند نزولها ليقول: قام رسول الله حين نزول فقال: يا معشر قريش الى آخر حديثه الذي اسنده الى النبي، كأنه رآه قائماً بعينه، وسمعه بينذر عشيرته بأذنيه؟!.

وقال: كان النبي يدعو في القنوت فيقول: اللهم انج سلمة بن هشام، اللهم انج الوليد بن الوليد، اللهم انج عياش بن أبي ربيعة، اللهم انج المستضعفين من المؤمنين (الذين حبسهم المشركون عن الهجرة في حديث صحيح ^(٢)).

ومن المعلوم بحكم الضرورة من اخبار السلف انه انما حبس هؤلاء عن الهجرة فقتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء لهم قبل اسلام أبي هريرة بنحو سبع سنين، فاين كان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسند هذا الحديث كأنه بعينه قائماً وسمعه بأذنيه داعياً؟!.

قال: وقال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم؟ فقيل: نعم، الحديث ^(٣).

(١) اخرجه البخاري في: ٨٦/٢ من صحيحه ومسلم واحمد، وقد اوردناه وعلقنا عليه في الفصل السابق من الاصل.

(٢) اخرجه البخاري في باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة: ١٠٥/٢ من صحيحه.

(٣) أخرجه مسلم في باب قوله تعالى: ان الانسان ليطغى: ٤٦٧/٢ من صحيحه.

فان كان هذا القول واقعاً من أبي جهل فانه انما يكون قبل اسلام أبي هريرة وقبل قدومه من اليمن بنحو عشرين سنة فأين كان عن أبي جهل ليسنده اليه كأنه سمعه بأذنيه؟!.

واين كان عن وقعة الرجيع وعن أميرها عاصم بن ثابت الأنصاري المستشهد فيها ليحدث عنها وعنه حديث المشاهد لهما؟؟^(١) وقد كانت تلك الوقعة في صفر سنة اربع للهجرة قبل اسلامه بثلاث سنين تقريباً.

ومن وقف على سيرة أبي هريرة المستمرة في حديثه علم ان دأبه ما قلناه وحسبك هذا القدر دليلاً على ما ادعيناه.

وقد انتبه اليه أحمد أمين المصري البحاثة المعاصر اذ قال في كلام له^(٢) حول أبي هريرة: ويظهر انه لم يكن يقتصر على ما سمعه من رسول الله ﷺ بل يحدث عن رسول الله ﷺ بما أخبره به غيره .

(قلت): واعترف بهذا أبو هريرة نفسه إذ حدث عن رسول الله ﷺ بأن من أدركه الفجر جنباً فلا يصم، فلما انكرت عائشة وأم سلمة عليه ذلك جعل الجناح فيه على الفضل بن العباس (وكان الفضل يومئذ ميتاً)^(٣) فقال

(١) حديثه عنهما ثابت في الصحاح فراجعه في كتاب الجهاد والسير: ١١٧/٢ من صحيح البخاري.
(٢) تجده في: ص ٢٦٢ والتي بعدها من كتاب (فجر الاسلام) في الفصل الثاني من الباب السادس.
(٣) فان هذه القضية كانت مروان بن الحكم أمير على المدينة في عهد معاوية - كما جاء في حديث البخاري عنها في باب الصائم يصبح جنباً: ٢٢٥/١ من صحيحه وبه صرح شارحو الصحيح كالقسطلاني وغيره - وقد استشهد الفضل يوم اجنادين في خلافة أبي بكر وقيل بل يوم مرج الصفر سنة ١٣، وقيل يوم اليرموك سنة ١٥ في خلافة عمر. وقيل مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة ولم يبق حياً الى سنة العشرين اجماعاً وقولاً واحداً.

سمعت ذلك من الفضل ولم أسمع من النبي وهذا (سواء كان حقاً أم باطلاً) اعتراف منعه صريح بانه كان يسند الى النبي ﷺ ما لا يسمعه منه كما ترى.

(فان قلت): أي مانع للعدل ان يسند الى النبي الحديث يسمعه من غيره مرفوعاً اليه ﷺ .

(قلنا): لا مانع من ذلك غير ان الحديث في هذا الفرض لا يكون حجة ولا يوصف بالصحة (وان رواه العدل) وانما يكون مرسلًا حتى تعترف الواسطة وتحرز عدالتها. وبعبارة أخرى عدالة الراوي شرط في صحة حديثه، فلا بد من احرازها ولا يمكن ذلك في الواسطة المجهولة.

ومجمل القول في هذا الفصل أن في حديث أبي هريرة مراسيل كثيرة لا يمكن الاحتجاج بها، وقد اشتبهت بمسانيده، اذ لم يفرق بينهما في شئ وهذا ما أوجب سقوط الجميع عملاً بالقاعدة المقررة في الشبهات المحصورة.

١٣ - دعواه الحضور في وقائع لم يحضرها

وقد اضطرنا هذا الرجل الى الريب فيه بدعواه الحضور في وقائع لم يحضرها قطعاً. وحسبك منها قوله: دخلت على رقية بنت رسول الله ﷺ امرأة عثمان ويدها مشط، فقالت: خرج رسول الله من عندي آنفاً جلّت شعره فقال لي: كيف تجدين أبا عبد الله؟ - يعني عثمان - قلت بخير قال: اكرميّه فانه من اشبه أصحابي بي خلقاً، أخرجه الحاكم (١) ثم قال: حديث صحيح

(١) في احوال رقية: ٤/٤٨ من المستدرک.

الاسناد واهي المتن فان رقية ماتت سنة ثلاث من الهجرة عند فتح بدر وأبو هريرة انما اسلم بعد فتح خيبر.

(قلت): واورده الذهبي في تلخيص المستدرک ثم قال: صحيح منكر المتن فان رقية ماتت وقت بدر وأبو هريرة اسلم وقت خيبر.

وقال في سهو النبي: صلى بنا النبي ﷺ الظهر أو العصر فسلم في ركعتين فقال له ذو اليدين: انقصت الصلاة أم نسيت؟ الحديث.

وذو اليدين هذا استشهد ببدر قبل ان يسلم أبو هريرة بزمان كما بينا في الفصل: ١١ من هذا الاملاء^(١).

وكم كان يتبجح فيقول: افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة انما غنمنا البقر والابل والمتاع والحوائط الحديث^(٢).

مع أنه لم يحضر الفتح إجماعاً وقولاً واحداً، وإنما جاء بعد الفتح ولذا ارتبك شارحوا الصحيحين عند انتهائهم الى قوله: افتتحنا خيبر، فحملوا كلمته هذه على التجوز وان المراد جنسه من المسلمين^(٣).

وكم كان يحدث فيقول: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال لرجل معه ممن يدعي الاسلام: هذا من أهل النار، فلما حضر القتال قاتل الرجل اشد القتال حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس ان يرتاب فوجد الرجل ألم

(١) فراجع منه الحديث ١٣.

(٢) أخرجه البخاري في باب غزوة خيبر: ٣٧/٣ من صحيحه.

(٣) راجع: ص ١٤٥ من المجلد الثامن من شرحي البخاري المطبوعين معاني اثني عشر مجلداً وهما ارشاد الساري للقسطلاني وتحفة الباري للانصاري تجد التأويل المذكور مع التصريح بأن أبا هريرة لم يحضر فتح خيبر، وكذلك فعل السندي فيما علقه على هذا الحديث من تعليقه المطبوعة في هامش الصحيح.

الجراحة فأهوى بيده الى كناته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه الحديث (١).
(قلت): هذا محل النظر من وجهين: احدهما دعواه انه شهد الواقعة مع رسول الله ﷺ وقد عرفت انه لم يشهدا، ولذلك ارتبك شارحوا هذا الحديث فقالوا: اما قول أبي هريرة شهدنا مع رسول الله خبير فمحمول على المجاز والمراد جنسه من المسلمين لأن الثابت انه جاء بعد أن فتحت خبير انتهى بلفظ الشارح القسطلاني (٢).
ثانيهما: ان الرجل الذي قتل نفسه انما هو قزمان بن الحرث حليف ظفر المنافق. كان يقاتل على الاحساب؛ وقضيته التي ذكرها أبو هريرة في حديثه هذا معروفة (٣) وقد قتل بأحد قبل اسلام أبي هريرة بدهر لكن أبا هريرة قد راب في أمره فخلط الحابل بالنابل.

-
- (١) أخرجه البخاري في باب غزوة خيبر: ٣٤/٣ من صحيحه وفي باب ان الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر من كتاب الجهاد والسير: ١٢٠/٢ من الصحيح.
- (٢) في باب ان الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر: ٣٢٢/٦ من ارشاد الساري.
- (٣) وقد ذكرها الواقدي وابن اسحاق وغيرهما وترجمة ابن حجر في الاصابة وكثير من أصحاب المعاجم والتراجم، وقزمان هذا هو الذي كان في احد لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذا إلا اتبعها بضرها بسيفه حتى قيل لرسول الله ﷺ يومئذ ما أجزأ عنا أحدكما أجزأ فلان، فقال النبي: اما انه من أهل النار، فجرح جرحا شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الارض وذبا به بين ثديه ثم نحامل عليه فقتل نفسه الحديث، أخرجه البخاري بالاسناد الى سهل بن سعد في باب: لا يقول فلان شهيد، من كتاب الجهاد والسير: ١٠١/٢ من صحيحه.

وقد قال: رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم عليه رداء؛ الحديث - (١).

(قلت): استشهد هؤلاء السبعون باجمعهم يوم بئر معونة فحزن النبي ﷺ عليهم وقت شهراً يدعو في الصلاة على قاتليهم وكانت هذه الواقعة في صفر سنة أربع من الهجرة قبل اسلام أبي هريرة وقبل قدومه من اليمن فكيف يدعي رؤيتهم؟! وقال القسطلاني (٢): ان السبعين الذين رأهم أبو هريرة غير اولئك السبعين والله تعالى أعلم.

وبالجملة: علمنا من تعقب أبي هريرة واستقرأ حديثه انه كان كثيراً ما يحدث عن النبي ﷺ بما لم يسمعه منه. وكثيراً ما يحدث عن الوقائع التي لم يحضرها، وربما اجعى حضورها وربما سمع شيئاً من كعب الأخبار أو غيره فراقه فحدث به عن رسول الله ﷺ كما فعل في حديث (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً في عرض سبعة اذرع) (٣) وهذا ما يضطر المؤمن الى اتقاء حديث هذا الرجل.

والعجب من أصحاب الصحاح يشحنون به مسانيدهم لا يلتفتون إلى لوازمه الباطلة ولا يأبهون بما يكتنفه من دلائل الوضع والاختلاف، ومن تتبع حديث الصحيحين عجب من بساطة الشيخين، واليك مثلاً يلمسك هذه الحقيقة.

أخرج مسلم في باب فضائل أبي سفيان من طريق عكرمة بن عمار العجلي اليمامي: ان المسلمين كانوا لا ينظرون الى ابي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبي

(١) اخرجه البخاري في: ٦٠/٢ من صحيحه وقد أوردناه في أحوال أبي هريرة على عهد النبي ﷺ من هذا الاملاء.

(٢) في شرح هذا الحديث: ٢٢٠/٢ من ارشاد الساري.

(٣) وقد فصلنا القول فيما يتعلق بهذا الحديث إذ أوردناه اول الفصل: ١١ من هذا الاملاء.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ياني الله ثلاث اعطينهن، قال: نعم؛ قال: عندي احسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان ازوجكها. قال: نعم، قال ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم، قال: وتأمرني ان اقاتل الكفار كما كنت اقاتل المسلمين، قال: نعم؛ الحديث (١). اقتصر عليه مسلم في باب فضائل أبي سفيان إذ لم يجد والحمد لله سواه وهو باطل بالاجماع؛ لأن أبا سفيان انما دخل في عداد المسلمين يوم فتح مكة اجمعاً وقولاً واحداً، وقبل الفتح كان عدو لله ولرسوله ومحارباً لهما.

اما بنته أم حبيبة واسمها رملة فقد اسلمت قبل الهجرة وحسن اسلامها فكانت ممن هاجر الى الحبشة هرباً من أبيها وقومها، وقد تزوجها رسول الله ﷺ وأبوها ممن في الكفر مسترسل في محاربتة للنبي فلما بلغه ان النبي قد تزوجها قال: ذلك الفحل لا يقدر انفه؛ وقدم بعد ذلك على المدينة يريد أن يزيد في الهدنة فدخل على بنته أم حبيبة فلما اراد الجلوس على فراشها طوته دونه فقال لها: رغبت به عني فقالت: نعم هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك، نص على هذا اعلام الامة واثباتها وهو مما لا ريب فيه، ومن راجع كتب السير والاختبار ووقف على احوال أم حبيبة في كتب المعاجم والتراجم على التفضيل.

(١) تقف عليه في: ٣٦١/٢ من صحيحه وهو من الاباطيل التي وضعها عكرمة اليمامي، وقد جرم بذلك ابن حزم كما نقله عنه النووي حيث اتى على هذا الحديث في شرح صحيح مسلم فراجع، وقال الذهبي في آخر ترجمة عكرمة بن عمار من ميزان الاعتدال ما هذا نصه: وفي صحيح مسلم قد ساق له اصلاً منكراً عن سماك الحنفي عن ابن عباس في الثلاثة التي طلبها أبو سفيان وثلاثة احاديث أخر بالاسناد أ هـ. (قلت): ومن منكرات عكرمة هذا ما رواه عن أياس عن ابيه سلمة ان رسول الله ﷺ قال: ابو بكر خير الناس الحديث، رواه ابن عدي في كتابه الكامل وهو كما قال الذهبي في أول ميزانه اكمل الكتب واجلها في معرفة الضعفاء

وحسبك ما اورده النووي عند بلوغه الى هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم^(١) والحمد لله على الهداية للصواب، والشكر له إذ جعلنا من أولي الألباب وصلى الله على محمد وآله وسلم.

١٤ - انكار السلف عليه

أنكر الناس على أبي هريرة واستفظعوا حديثه على عهده إذ أفرط في الاكثار وانفرد بأسلوب خاص يوجب الشك فيه فلهذا وذاك كاشفه الناس وانكروا عليه من حيث كمية حديثه ومن حيث كفيته.

يدلك على هذا قوله متأماً متظلماً: يقولون ان أبا هريرة يكثر الحديث والله الموعد ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل حديثه؟

فيصرح بأن كمية حديثه وكفيته كانتا كلتاهما مدار الانكار وقد تهددهم بالله وبالدار الآخرة على ذلك إذ قال: والله الموعد متفجعاً متوجعاً منهم حتى زعم انه لولا تكليفه الشرعي ما حدثهم بشيء ابدأ لسوء ظنهم به فقال في آخر الحديث: والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً ابدأ: (ان الذين يكتُمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) الحديث^(٢) وهو كما ترى صحيح صريح بما قلناه.

(١) شرح النووي مطبوع في هامش شرحي صحيح البخاري وهما ارشاد الساري وتحفة الباري، وما احلناك هنا عليه من شرح النووي موجود في آخر: ص ٣٦٠ وما بعدها من المجلد الحادي عشر فراجع لتكون على بصيرة واعجب من ابن الصلاح وهذيانه.

(٢) اخرج البخاري في اول المزارعة وآخر البيوع من صحيحه واخرجه مسلم في الصحيح ايضاً وسنذكره في الفصل الآتي فتوسع فيما نعلقه عليه مما يقتضيه المقام ان شاء الله تعالى فراجع.

واصرح منه ما حدث به أبو رزين اذ قال ^(١): خرج الينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته فقال: الا انكم تحدثون اني أكذب على رسول الله لتهدتوا واضل الحديث. ولما أتى العراق مع معاوية عام الجماعة ورأى كثرة مستقبليه من الناس جثا على ركبتيه في مسجد الكوفة وجعل يضرب صلعته مراراً يلفت الناس بذلك اليه وحين اجتمعوا عليه أهاب بهم: يا أهل العراق اتزعمون اني اكذب على الله وعلى رسوله فاحرق نفسي بالنار الى آخر ما استرسل فيه يومئذ من التحامل على الوصي تزلفاً الى اعدائه في كلام باطل ^(٢).

وحسبك ان في مكذبيه عظماء الصحابة قال المعاصر الباحثة أحمد أمين المصري من كلام له ^(٣) حول أبي هريرة: وقد أكثر بعض الصحابة من نقده على الاكثار من الحديث عن رسول الله ﷺ وشكوا فيه كما يدل على ذلك ما روى مسلم في صحيحه. ثم اورد حديثين اخرجهما مسلم صريحين في نقده والشك فيه.

وقال الفاضل المعاصر مصطفى صادق الرافعي المصري من كلام له في هذا الموضوع: وكان اكثر الصحابة رواية أبو هريرة (قال): وقد صحب ثلاث سنين ولهذا كان عمر وعثمان وعلي وعائشة ينكرون عليه ويتهمون به وهو أول

(١) فيما اخرجه مسلم في كتاب اللباس: ٢/٢١٧ من صحيحه فراجع منه باب اذا اتعل احدكم فليبدأ باليمين.

(٢) نقله عنه الامام ابو جعفر الاسكافي من طريق الأعمش كما في: ص ٣٥٩ من المجلد الاول من شرح النهج الحميدي طبع مصر.

(٣) في الفصل الثاني من الباب السادس: ص ٢٦٢ والتي تبعتها من كتابه (فجر الاسلام).

رواية اهتم في الاسلام وكانت عائشة اشدهم انكاراً عليه الى آخر كلامه (١).
وقال النظام (٢): أكذب أبا هريرة كل من عمر وعثمان وعلي وعائشة أ هـ.
وحين حاول ابن قتيبة الدفاع عن أبي هريرة والرد على النظام لم يستطع إلا الاعتراف
بما نقله النظام في هذا المقام، واليك رده بعين لفظه:
قال (٣): وأما طعن النظام على أبي هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعلي وعائشة له فان
أبا هريرة صحب رسول الله ﷺ نحواً من ثلاث سنين وقد اكثر الرواية عنه فلما اتى من
الرواية عنه ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة الصحابة والسابقين الاولين اليه اهتموه
وانكروا عليه (٤) وقالوا كيف سمعت هذا وحدك؟ ومن سمعه معك؟ قال: وكانت عائشة
اشدهم انكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه وكان عمر ايضا شديداً على من اكثر الرواية أو
أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه. الى آخر كلامه الذي اجراه الحق على لسانه فكان
(بالرغم عنه) مصدقاً للنظام فيما نقله عن اولئك الاعلام ولا غرو فالحق ينطق منصفاً
وعنيداً.

اما ما زعمه ابن قتيبة (٥) (من امسك الصحابة عن أبي هريرة لما أخبرهم

-
- (١) فراجع في مبحث الرواية بعد الاسلام: ٢٨٢/١ من كتابه (آداب العرب).
(٢) فيما نقله عنه ابن قتيبة في: ص ٢٧ من كتابه (تأويل مختلف الحديث) حيث ذكر أقاويل النظام في
الصحابة.
(٣) في: ص ٤٨ من كتابه - تأويل مختلف الحديث - .
(٤) اراد ابن قتيبة ان يرد على النظام فأيد قوله ولم يقتصر على ذكر عمر وعثمان وعلي وعائشة في
مكذي ابي هريرة حتى اضاف بقية السابقين الأولين، فان الواو في اهتموه وانكروا عليه واجع اليهم جميعاً
كما ترى.
(٥) في: ص ٥٠ من كتابه - تأويل مختلف الحديث - .

يمثلته الخاصة من رسول الله، فجزاف لا يصغى اليه؛ فان عظماء الصحابة يعرفون منزلته بكنهها فلا حاجة بهم الى من يعرفهم بما فلو كانت له في نفوسهم منزلة الصادقين ما كذبوه ولا اتهموه، وقد مر عليك حديثه^(١) اذ يخربين المنبر والحجرة مغشياً عليه (في العهد النبوي) فيجئ الجائي فيضع رجله على عنقه يرى انه مجنون، وهذا ما لا يجتمع مع احترامه فضلاً عن سمو مقامه.

وبالجملة: فان انكار الاجلاء (من الصحابة والتابعين) عليه واتهامهم اياه مما لا ريب فيه ما تورع منهم عن ذلك احد حتى مضوا لسبيلهم وانما تورع الجمهور ممن جاء بعدهم اذ قرورا القول بعدالة الصحابة اجمعين اكتعين ابصعين، ومنعوا من النظر في شؤونهم، وجعلوا ذلك من الاصول المتبعة وجوباً، فاعتقلوا العقول بهذا، وسملوا العيون؛ وجعلوا على القلوب اكنة وعلى الاسماع وقرأ فاذاهم: (صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون).
حاشا ائمة أهل البيت عليهم السلام فانهم انزلوا الصحابة حيث انزل الصحابة انفسهم^(٢) فرأيهم في أبي هريرة لم يعد رأي علي وعمر وعثمان وعائشة وتبعهم في هذا شيعتهم كافة القدماء منهم والمتأخرون من عهد أمير المؤمنين الى يومنا هذا.

(١) في اوائل هذا الاملاء.

(٢) قال الفاضل المعاصر احمد امين في: ص ٢٥٩ من (فجر الاسلام) ويظهر ان الصحابة انفسهم في زمنهم كان يضع بعضهم بعضا موضع النقد ويتزلون بعضاً منزلة اسمى من بعض، فقد كان منهم اذا روى له حديث طلب من المحدث برهاناً، بل روى ما هو اكثر من ذلك، فقد روى ان ابا هريرة روى حديثاً فلم يأخذ ابن عباس بخبره ورد عليه وحدث بحديث فلم تأخذ به عائشة وردت عليه، وروت فاطمة بنت قيس حديثاً يتعلق بزوجه فرده عمر قائلاً: لا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لاندرى اصدقت ام كذبت حفظت ام نسيت وردته عائشة ايضاً فقالت لفاطمة الا تتقين الله - قال -: ومثل هذا كثير.

ولعل جل المعتزلة على هذا الرأي. قال الامام ابو جعفر الاسكافي (١) ما هذا نصه: وأبو هريرة مدخول (٢) عند شيوخنا غير مرضي الرواية؛ (قال) ضربه عمر بالدرّة، وقال: قد اكثر من الرواية والحربك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ (قال) وروى سفیان الثوري عن منصور عن ابراهيم التيمي قال: كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلا ما كان من ذكر جنة أو نار (قال) وروى أبو اسامة عن الأعمش قال: كان ابراهيم صحيح الحديث فكنت إذا سمعت الحديث اتيتته فعرضته عليه فأتيته يوماً بأحدِيث ابي صالح عن أبي هريرة فقال: دعني من أبي هريرة أنهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه (قال): وقد روي عن علي انه قال: ان اكذب الناس أو قال اكذب الأحياء على رسول الله ﷺ لأبو هريرة الدوسي (قال): وروى أبو يوسف أنه قال قلت لأبي حنيفة يبي الخبر عن رسول الله ﷺ يخالف قياساً فما نضع به؟ قال: اذا جاءت به الرواة الثقات عملنا به وتركنا الرأي، فقلت: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: ناهيك بهما، قلت: وعلي وعثمان، قال: كذلك فلما رأني اعد الصحابة قال: والصحابة كلهم عدول ما عدا رجلا ثم عدّ منهم أبا هريرة وانس بن مالك.

(قلت): وقد علمنا ان الامام ابا حنيفة واصحابه كانوا يتركون حديث أبي هريرة اذا عارض قياسهم كما فعلوا في حديثه عن المصرة (وهي البقرة او الشاة أو الناقة يجمع اللبن في ضرعها ويحبس اياماً لا تحلب فيها لايهام المشتري انها غزيرة اللبن) إذ روى ان رسول الله صلى اله عليه واله وسلم قال: لا تصروا الابل والغنم من ابتاعها بعد ذلك فهو يخسر النظرين من بعد أن يحلبها. فان رضيها امسكها وان سخطها ردها وصاعاً من تمر فلم يأثموا بحديثه هذا وقالوا: أبو هريرة غير

(١) كما في: ص ٣٦٠ من المجلد الاول من شرح النهج الحميدي.

(٢) أي كان في عقله دخل.

فقيه وحديثه هذا مخالف للأقيسة بأسرها فان حلب اللبن من التعدي، وضمان التعدي يكون بالمثل او القيمة، والصاع من النمر ليس واحداً منهما، إلى آخر كلامهم^(١).
وعلمنا أيضاً ان من رأي أبي حنيفة وأصحابه كافة بطلان الصلاة بالكلام مطلقاً ولو عن نسيان او جهل او ظن المصلي بأنه خرج من الصلاة، والفقهاء الحنفي صريح بهذا الرأي وعليه سفيان الثوري في اصح الروايتين عنه وهذا مما يدل على ان لا قيمة عندهم لحديث ابي هريرة؛ اذ حدث بأن النبي ﷺ سها فسلم في الرباعية عن ركعتين ثم قام من مصلاه ودخل حجرته ثم رجع فقبل له: اقصرت الصلاة ام نسيت؟ فقال: لم تقصر ولم أنس، فقالوا: بلى صليت بنا ركعتين. وبعد حوار كان بينه وبينهم أيقن بما يقولون فبنى على الركعتين وأتم الصلاة ثم سجد للسهو^(٢) وبهذا اخذ مالك والشافعي واحمد والاوزاعي وغيرهم فأفتوا بأن كلام الناسي للصلاة والذي يظن انه ليس فيها لا يبطلها. لكن ابا حنيفة حيث لم يأبه بحديث أبي هريرة افتى بالبطلان^(٣).
ولنختتم الفصل بنوادر كانت بين أبي هريرة وبعض الصحابة تلمسك منزله في نفوسهم.

(فمنها): ما ذكره أبو هريرة إذ قال: لما بلغ عمر حديثي استدعاني فقال لي: أكنت معنا يوم كنا في بيت فلان؟ فقلت: نعم وان رسول الله ﷺ قال

(١) راجعه في مظانه من فقه الحنفية، وقد نقله عنهم الفاضل احمد امين في آخر: ص ٢٦٣ والتي بعدها من كتابه فجر الاسلام.

(٢) وقد مر حديثه هذا في الفصل: ١١ فراجعه وامعن فيما علقناه عليه.

(٣) وقد نقل النووي في شرح صحيح مسلم بطلان الصلاة في هذا الفرض عن أبي حنيفة واصحابه وعن الثوري في اصح الروايتين عنه ونقل عدم البطلان عن سواهم عملاً بحديث أبي هريرة هذا فراجع شرح الحديث في آخر: ص ٢٣٤ والتي بعدها من الجزء الرابع من شرح النووي المطبوع في هامش شرح البخاري.

يومئذ: من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار الحديث (١).

وهذا من الأدلة على انه لم يكن ممن يحدث بحضرة عمر ولا ممن كان عمر يراهم او يسمعونهم يحدثون، وإنما بلغه حديثه من افواه الناس فاتهمه به لغرابته فاستدعاه لينذره بالنار اذا كذب.

(ومنها): انه زجره مرة فقال له (٢): لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنك بأرض دوس او بأرض القردة.

(ومنها): انه غضب عليه باكثرارة على رسول الله صلى الله عليه وآله فضربه بالدرة ردعا له وهو يوبخه بقوله (٣): اكثررت يا ابا هريرة وأحر بك ان تكون كاذباً على رسول الله ﷺ.

(ومنها): انه عزله عن البحرين بعد ان ضربه فأدمى ظهره وانتزع منه عشرة آلاف لبيت المال ووبخه بكلام فظيع كما فصلناه آنفاً (٤).

(ومنها): انه ضربه على عهد النبي ﷺ ضربة خربها لاسته (٥).

(ومنها): ان علياً لما بلغه حديث أبي هريرة قال (٦): ألا ان اكذب الناس أو قال: اكذب الأحياء على رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي.
(ومنها): أنه بلغ علياً إن أبا هريرة يتدعى بميامينه فقال (٧): لأخالفن أبا هريرة.

(١) اخرج مسدد في مسنده من طريق خالد بن يحيى عن ابيه عن أبي هريرة ونقله ابن حجر في ترجمة أبي هريرة من الاصابة.

(٢) فيما اخرج ابن عساكر وهو الحديث: ٤٨٨٥ في: ٢٣٩/٥ من كثر العمال وتراه صريحاً في امره بترك الحديث بالمرّة.

(٣) فيما رواه الامام الاسكافي وقد مر عليك قريباً.

(٤) فراجع احواله على عهد الخليفتين.

(٥) فيما اخرج مسدد في: ٣٤/١ من صحيحه.

(٦) فيما رواه ابو جعفر الاسكافي وقد مر عليك قريباً.

(٧) العمدة في هذه الرواية على ابن قتيبة في: ص ٢٧ من تأويل مختلف الحديث.

(ومنها): ان أبا هريرة كان يقول: حدثني خليلي؛ ورأيت خليلي وقال لي خليلي رسول الله، فبلغ علياً ذلك فقال له: متى كان النبي خليلك يا ابا هريرة؟ ينكر عليه قوله هذا، إذ كان سئ الرأي فيه ^(١) وعلي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله ﷺ ^(٢)، وعلي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيف دار ^(٣).

(ومنها): ان عائشة دعت أبا هريرة إذ بلغها حديثه فقالت له: ما هذه الأحاديث التي تبلغنا انك تحدث بها عن النبي ﷺ هل سمعت إلا ما سمعنا؟ ورأيت إلا ما رأينا؟ قال: يا أمه انه كان يشغلك عن رسول الله المرأة والمكحلة الحديث ^(٤).

(ومنها): انه روي ان الكلب والمرأة والحمار تقطع الصلاة، فكذبتة عائشة وقالت: رأيت رسول الله يصلي وسط السرير وأنا على السرير معترضة بينه وبين القبلة. (ومنها): انه روي حديثاً في النهي عن المشي بالخف الواحد فبلغ عائشة ذلك فمشت بخف واحد وقالت لأخالفن أبا هريرة.

(ومنها): انه روي من اصبح جنباً فلا صيام له، فردت عليه عائشة وحفصة وكذبتا حديثه فاعترف أبو هريرة لهما ورجع عن قوله معتذراً بأنه

(١) قاله ابن قتيبة في: ص ٥٢ من تأويل مختلف الحديث.

(٢) اخرج الحاكم في المستدرک والطبري في الاوسط عن أم سلمة مرفوعاً وهو الحديث: ٢٥٢٩ في: ١٥٣/٦ من كتر العمال.

(٣) عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ: الحق مع ذا الحق مع ذا يشير الى علي، اخرج ابو يعلى في مسنده وسعيد بن منصور في سننه، وهو الحديث: ٢٦٣٧ في: ١٥٧/٦ من الكتر.

(٤) اخرج وصححه الحاكم في: ٥٠٩/٣ من صحيحه المستدرک وصححه الذهبي اذ اورده في تلخيص المستدرک، وعائشة لم تقبل عذره بدليل انها ما امسكت عنه حتى ماتت.

لم يكن سمع ذلك من رسول الله وإنما سمعه من الفضل بن العباس وكان الفضل (حين اعتذر بهذا) ميتاً^(١).

(ومنها): ان رجلين دخلا على عائشة فقالا: ان ابا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: إنما الطيرة في المرأة والدابة فطارت عائشة شغفاً ثم قالت: كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله ﷺ؟ الحديث^(٢).

(ومنها): انه جلس مرة الى جنب حجرة عائشة يحدث عن النبي ﷺ وهي مشغولة في سبحتها فقالت بعد فراغها: ألا يعجبك أبو هريرة يجلس الى جنب حجرتي يحدث عن النبي يسمعي ذلك؟ وكنت اسبح فقام قبل ان أقضى سبحتي ولو ادركته لرددت عليه الحديث^(٣).

(ومنها): انه روى عن النبي ﷺ انه قال: متى استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يضعها في الاناء فان احدكم لا يدري اين باتت يده؟ فانكرت عائشة عليه^(٤) فلم تأخذ به وقالت: كيف نضع بالمهراس^(٥).

(١) تجد حديث الكلب والمرأة والحمار وحديث المشي في الخف الواحد وحديث من اصبح جنباً في: ص ٢٧ والتي بعدها من تأويل مختلف الحديث والصواب ان اللتين ردنا حديثه فيمن اصبح جنباً انما هما عائشة وأم سلمة كما نقلناه في الحديث: ٢٧ عن صحيح البخاري.

(٢) أورده ابن قتيبة في: ص ١٢٦ والتي بعدها من تأويل مختلف الحديث.

(٣) اخرج مسلم في: ٣٥٨/٢ و ٥٣٨ من صحيحه في فضائل أبي هريرة وفي التثب في الحديث.

(٤) نقل ذلك أحمد أمين: ص ٢٥٩ من فجر الاسلام، والانصاف ان انكار عائشة في هذا على أبي هريرة

إنما يكون متجهاً لعدم وثاقته، اما نقضها عليه بالمهراس فغير متجه كما لا يخفى.

(٥) المهراس: حجر منقور ضخيم لا يقله الرجال ولا يجركونه لثقله بماؤونه ماء ويتطهرون منه.

(ومنها): ان أبا هريرة روى عن رسول الله ﷺ أن من حمل جنازة فليتوضأ، فلم يأخذ ابن عباس بخبره وردّه صريحاً قال: لا يلزمننا الوضوء في حمل عيدان يابسة (١).
(ومنها): ان ابن عمر كان يروي ان رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد أو كلب غنم أو ماشية فقيل لابن عمر: ان أبا هريرة يقول: أو كلب زرع، فلم يأبه بذلك ابن عمر وقال في رده: ان لأبي هريرة زرعاً يتهمه بزيادة كلب الزرع في حديث رسول الله ﷺ احتفاظاً بكلبه واحتياطاً على زرعه والحديث في صحيح مسلم (٢).

ومثله ما في صحيح مسلم ايضاً (٣) عن أبي هريرة مرفوعاً: من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من اجره كل يوم قيراط، فذكر لأبن عمر قول أبي هريرة هذا فقال: يرحم الله أبا هريرة كان صاحب زرع - يتهمه بزيادة كلب الزرع ايثاراً لمصلحته - وقد اتهمه بهذا ايضاً سالم بن عبد الله ان عمر في حديث أخرجه مسلم ايضاً (٤).

(ومنها): ان ابن عمر لم يصدق أبا هريرة في حديثه في القنفذ وبقى شاكا فيه.
(ومنها): ان ابن عمر سمعه يحدث بأن من اتبع جنازة فله قيراط من الاجر فقال اكثر علينا أبو هريرة ولم يصدقه حتى بعث الى عائشة يسألها عن

(١) رواه جماعة من الاثبات ونقله الاستاذ احمد أمين في: ص ٢٥٩ فجره.

(٢) راجعه في: ٦٢٥/١ من صحيحه في باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخها.

(٣) راجعه في: ٦٢٧/١ من صحيحه في باب تحريم اقتناء الكلاب إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك.

(٤) في: ٦٢٦/١ من صحيحه.

ذلك فروته له فصدق جينئذ والحديث في هذا ثابت ^(١).

وكذلك فعل عامر بن شريح بن هاني إذ سمع أبا هريرة يحدث بأن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فلم يصدق أبا هريرة بذلك حتى سأل عائشة فروته له وأفهمته المراد منه، والحديث في ذلك ثابت ايضاً ^(٢).

ولو أردنا استقصاء الموارد التي ردّ فيها السلف حديث أبي هريرة وانكروا فيها عليه لطلال بنا الكلام، وهذا القدر كاف لما أردناه والحمد لله.

وناهيك تكذيب كل من عمر وعثمان وعلي وعائشة له، وقد تقرر بالاجماع تقديم الجرح على التعديل في مقام التعارض على انه لا تعارض هنا قطعاً فان العاطفة بمجرد لا تعارض تكذيب من كذبه من الأئمة.

أما اصالة في الصحابة فلا دليل عليها والصحابة لا يعرفونها ولو فرض صحتها فانما يعمل على مقتضاها في مجهول الحال لا فيمن يكذبه عمر وعثمان وعلي وعائشة ولا فيمن قامت على جرحه ادلة الوجدان فاذا نحن من جرحه على يقين جازم.

١٤ - سبوح لها منها عليها شواهد

ونحن الإمامية لنا في الصحابة رأي هو أوسط الآراء عقدنا لبيانها في أجوبة موسى جار الله فصلاً مخصوصاً ^(٣) وعقدنا لتأييده فصلاً آخر ^(٤)

(١) اخرجه مسلم في باب فضل الصلاة على الجنائز واتباعها: ص ٣٤٩ والتي بعدها من الجزء الأول من صحيحه، واخرج الحاكم في: ٥١٠/٣ من المستدرک نحوه.

(٢) اخرجه مسلم: ٤٢٢ في باب: من احب لقاء الله احب الله لقاءه من الجزء الثاني من صحيحه.

(٣) تجده في: ص ١١ وما بعدها إلى منتهى: ص ١٥ من الأجوبة.

(٤) تجده في: ص ٢٣ وما بعدها إلى: ٢٧ من الأجوبة ايضاً.

فليراجعها من اراد التحقيق من أولي الألباب والحمد لله على الهداية للصواب.

١٥ - إحتجاته على متهميه

كان أبو هريرة يحتج على مكذبيه ومتهميه فيقول ^(١): يقولون ان أبا هريرة يكثر الحديث! والله الموعد! ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل احاديثه؟ وان اخوتى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق وان اخوتى من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم! وكنت امرأً مسكيناً الزم رسول الله على ملء بطني فأحضر حين يغيبون! وأعي حين ينسون!! وقال النبي ﷺ يوماً! لن يسط احد منكم ثوبه حتى اقضي مقالتي هذه ثم يجمعه الى صدره فينسى من مقالتي شيئاً ابداً فبسطت نمرة ليس عليّ ثوب غيرها حتى قضى النبي صلى اله عليه واله وسلم مقالته ثم جمعتها الى صدري فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك شيئاً الى يومي هذا والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً ابداً: ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى، الى قوله: وأنا التواب الرحيم.

(قلت): ان أبا هريرة كلما ازداد مثالة زاده الله رعالة ^(٢) يريد ان يقنع المنكرين عليه في كمية احاديثه وكيفيتها فجاءهم بهذا تزكية لنفسه

(١) فيما اخرجه في البخاري في آخر المزارعة: ٣٤/٢ من صحيحه وأخرجه في البيوع وفي غير موضع من الصحيح وكذلك مسلم في عدة مواضع من صحيحه واحمد في مواضع من الجزء الثاني من مسنده وجميع أصحاب السنن والمسانيد اخرجوه من حديث أبي هريرة بطرق اليه كثيرة والفاظ مختلفة.

(٢) أي كلما ازداد رزقا زاده الله حمقا.

واحتجاجا عليهم فاذا حجته جفاء أو تأطئة مدت بماء (١) كأن الله عز وجل سخره بهذا الحديث حجة للمنكرين عليه ودليلاً على صحة ما نسبوه اليه فإني (وشرف الصدق) وعلو مقام الصادقين ما رأيت في كل ما صنعته ايدي المخرفين ابرد من هذا الحديث ولا ابعد منه عن الصدق وما كنت لألم به ولا لاعرج عليه لولا ان الشيخين وامثالهما قد نظموا في سلك الصحاح بكل ارتياح وانما فعلوا ذلك تعبداً برأيهم في كل صحابي وقد خالفوا في ذلك الأدلة عقلية ونقلية وخالفوا السلف الصالح من أولي الأبواب كما أو ضحناه في كتابنا - تحفة المحدثين - ولنا على بطلان هذا الحديث وجوه: - .

(الأول): زعم ان المهاجرين كان يشغلهم عن النبي ﷺ الصفق بالأسواق (٢) والأنصار كان يشغلهم عمل اموالهم (٣) فساق السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار كافة بعضاً واحدة - لقد هزلت - - وحن قدح ليس منها - واي قيمة للقول بأن جميع المهاجرين كان يلهيهم الصفق بالأسواق؟ بعد قوله عز من قائل: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ..) الآية وهل لمعارض كتاب الله إلا الضرب بعرض الجدار؟ ومن هو أبو هريرة؟ ليحضر حين يغيب الخصيصة برسول الله ﷺ ويحفظ حين ينسون يقول هذا القول بملء فيه غير متدد ولا خجل ولا وجل إذ قاله على عهد معاوية حيث لا عمر ولا عثمان ولا علي ولا طلحة ولا الزبير ولا سلمان ولا عمار ولا المقداد ولا أبو ذر ولا أمثالهم كبرت كلمة تخرج من فيه ما أبعدها عن الصدق وقد علم

(١) الجفاء هنا ما نفاه الباطل، والتأطئة الحمأة كلما ازدادت ماء قل تماسكها.

(٢) الصفق: كناية عن التبائع إذ كان البايعان يتصافقان بالأكف، وكان عمر يقول عما جهله من السنن ألهاني عنه الصفق بالأسواق، أي الخروج إلى التجارة اخرجه في: ٤/٢ من صحيحه في باب الخروج بالتجارة.

(٣) أي إدارة حدائقهم إذ كانوا أهل نخيل.

الناس موضع علي من رسول الله ﷺ بالقرابة والمترلة الخصيصة وضعه في حجره وهو ولد يضمه الى صدره ويكنفه إلى فراشه ويمسه جسده ويشمه عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمه إياه وما وجد له كذبة في قول ولا خبطة في عمل ولقد قرن الله به ﷺ من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طرق المكارم ومحاسن أخلاق العالم فكان علي يتبع رسول الله اتباع الفصيل أثر أمه يرفع له في كل يوم من اخلاقه علما ويأمره بالافتداء به ولقد كان معه (هو والصديقة الكبرى حديجة أم المؤمنين) بحراء فيرى نور الوحي والرسالة ويشم ريح النبوة وكان بعد ذلك باب مدينته وأقضى أمته، وعيبة سره وولي أمره، ووارث حكمه؛ وفارج همه، وصاحب الأذن الواعية - ومن عنده علم الكتاب - فهل يمكن ان ينسى من سننه ما حفظه أبو هريرة أو يكتنم منها ما بينه أبو هريرة؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

على انه لم يكن من المهاجرين من يصفق في الأسواق إلا القليل؛ وحسبك أبو ذر والمقداد وعمار ورفقاء أبي هريرة في الصفة وهم سبعون كانوا كما وصفهم أبو هريرة مامنهم رجل عليه رداء وإنما عليه إما ازار وإما كساء قد ربطوه في أعناقهم إلى آخر كلامه في وصفهم (١) فما بالهم لم يحدثوا بمثل احاديثه؛ ولم يكتروا كما أكثر بل لم يكن المجموع منحديثهم كافة إلا دون حديثه خاصة.

وكذا الأنصار لم يكونوا باجمعهم من أهل الأموال والأشغال كما زعم وحسبك (من لا مال له منهم) سلمان الفارسي الذي قال رسول الله ﷺ فيه: سلمان منا أهل البيت، وقال: - كما في ترجمة سلمان من الاستيعاب - لو كان الدين عند الثريا لناله سلمان؛ وقالت عائشة - كما في ترجمته من الاستيعاب ايضا - كان لسلمان مجلس من رسول الله ينفرد به في الليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ وفي الاستيعاب ايضا قال علي: ان سلمان الفارسي مثل لقمان الحكيم علم

(١) فراجع في احواله على عهد النبي ﷺ من هذا الاملاء.

علم الاؤل والآخر بحر علم لا يترف، وقال كعب الاحبار - كما في الاستيعاب وغيره - : سلمان حشي علماً وحكمة إلى آخر ما هو مأثور عنه من امثال هذه الخصائص، وقد علم الناس ان أبا أيوب الأنصاري لم يكن له من العيش إلا بلغه لا تشغله عن علم ولا عن عمل، وكذلك ابو سعيد الخدري وأبو فضالة الأنصاري وغيرهم من نظرائهم من علماء الأنصار وعظمائهم رضي الله تعالى عنهم.

على ان سيد الحكماء وخاتم الأنبياء ﷺ لم تكن اوقاته فوضى وإنما كانت في الليل والنهار مرتبة للمهمات على ما تقتضيه الحكمة في تلك الأوقات، وقد خصص منها لا لقاء العلم وقتاً لا يعارض اوقات الصفق في الأسواق ولا اوقات العمل في الأموال، وكان المهاجرون والانصار لا يغيبون في ذلك الوقت ابداً وهم احرص على العلم مما يخرفه المخرفون.

(الثاني): لو صح ما زعمه ابو هريرة (من قول النبي ﷺ لأصحابه: لن ييسط أحد منكم ثوبه أفضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً) لتسابقوا اليه، واجتمعوا بقضهم وقضيضهم عليه، فانه الفضل لا يبلغه الطالب بشد الرجال، والعلم لا يناله ببذل الاموال، وما الذي ثبطهم عن نيته؟ ومنعهم عن بسط اثوابهم في سبيله؟ وكيف زهدوا في هذه الغنيمة وضيعوا على انفسهم تلك الفوائد العظيمة؟ أترى انهم كانوا بهذه المثابة من الزهد في العلم والرغبة عما يدعوهم الرسول اليه؟ كلا! ما هكذا الظن بهم ولا هذا بمشبه لما كانوا عليه من التعبد بأوامره؛ والمبادرة الى ما يدعوهم اليه.

(الثالث): لو صح ما زعمه أبو هريرة لعظم ندم الصحابة، واسفهم على ما ضيعوه من ذلك الفضل الكبير، والعلم الغزير، وتواتر لفهم على ما اهملوه من بسط اثوابهم لرسول الله حين انه لا كلفة فيه ولا مشقة عليهم، ولندد بعضهم ببعض، وتلاوموا على تركهم ذلك بسوء اختيارهم وتواترت منهم

الغبطة لأبي هريرة بالفوز به دونهم على حين انه لم يكن إلا ثوب واحد وما منهم من احد إلا وعليه ثوبان او اكثر فلما لم يكن شئ من ذلك علمنا ان هذا من كيس أبي هريرة.

(الرابع): لو كان الأمر كما قصه أبو هريرة لحدث به غيره ممن دعاهم النبي ﷺ يومئذ الى بسط اثوابهم، بل لو كان لعهده الصحابة والتابعون من اعلام النبوة، وآيات الاسلام وادلة الدين؛ ولتواترت به الأخبار، واشتهر اشتهاه الشمس في رابعة النهار، فلما لم نجد إلا في حديث أبي هريرة عطفناه على واهياته.

(الخامس): انه قد تناقض كلام أبي هريرة في هذه القصة، فتارة حدث بما كما سمعت إذ قال - فيما رواه الأعرج عنه - ^(١): أن النبي ﷺ قال يوماً لأصحابه لن يبسط احد منكم ثوبه حتى اقضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئاً ابداً (قال): فبسطت ثوباً مرة ليس على ثوب غيرها حتى قضى النبي ﷺ مقالته ثم جمعتها إلى صدري فوالذي بعثه بالحق مانسيت من مقالته تلك شيئاً الى يومي هذا أ هـ بلفظه.

وتارة حدث بما فقال - فيما رواه عنه المقبري - ^(٢): قلت يا رسول الله

(١) الأعرج هو عبد الرحمن بن هرمز وحديثه هذا عن أبي هريرة موجود في آخر المزارعة: ٣٤/٢ من صحيح البخاري، وموجود في فضائل أبي هريرة: ٣٥٧/٢ من صحيح مسلم واخرج البخاري نحوه في اول البيوع في: ١/٢ من صحيحه بالاسناد إلى سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ولفظه: ان رسول الله قال في حديث حدثه انه: لن يبسط احد ثوبه حتى اقضي مقالتي هذه ثم يجمع اليه ثوبه الا وعى ما اقول فبسطت ثوباً مرة علي حتى قضى مقالته جمعها الى صدري فما نسيت من مقالته تلك من شئ.

(٢) هو سعيد بن ابي سعيد وحديثه هذا عن ابي هريرة موجود في: ٢٤/١ من صحيح البخاري في باب: حفظ العلم من كتاب العلم.

ابن اسلمك حديثاً انساها قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابسط رداءك فغرف بيديه ^(١) ثم قال ضممه!!
فضمته فما نسيت شيئاً بعده أ هـ بنصه.

وانت ترى أن القصة على مقتضى الحديث الاول - حديث الاعرج - انما كانت بين
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واصحابه والمبتدئ فيها إنما كان رسول الله إذ دعاهم إلى بسط اثنائهم
اشفاقاً عليهم من النسيان وانما على مقتضى الحديث الثاني - حديث المقبري - انما كانت
بين أبي هريرة خاصة ورسول الله والمبتدئ فيها إنما هو أبو هريرة حيث شكنا نسيانه إلى
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضاً فإن الحديث الاول - حديث الاعرج - يقتضي تخصيص عدم النسيان بتلك
المقالة فقط ^(٢) لقوله فيه: مانسيت من مقالته تلك شيئاً والحديث الثاني - حديث المقبري
- يقتضي العموم في عدم النسيان لكل شئ من الاشياء حديثاً كان ام غير مطلقاً لقوله فيه
مانسيت شيئاً بعده ، فان النكرة في سياق النفي حقيقة في العموم، وقد ارتبك هنا
شارحوا البخاري وارتجت عليهم أبواب الاعتذار عنه حتى قرر ابن حجر في فتح الباري
وقوع هذه القضية مرتين ^(٣)

(١) قال القسطلاني في شرح هذه الكلمة: فغرف بيديه من فيض فضل الله فجعل الحفظ كالشئ الذي
يغرف منه ورمي به في رداءه إلى آخر كلامه فراجعه في: ٣٧٩/١ من ارشاد الساري في شرح هذا الحديث من
صحيح البخاري.

(٢) وقع في جامع الترمذي وحلية أبي نعيم التصريح بهذه المقالة وانما كانت ما هذا لفظه: ما من رجل
يسمع كلمة او كلمتين مما فرض الله تعالى عليه فيتعلمهن او يعلمهن الا دخل الجنة.

(٣) قال القسطلاني في شرح هذه الاحاديث في باب حفظ العلم من كتاب العلم: ٣٨٠/١ من ارشاد
الساري ما هذا لفظه: ويحتمل أن يكون وقعت له - أي لأبي هريرة مع النبي - قضيتان فالتى رواها الزهري
عن الاعرج مختصة بتلك المقالة، والتي رواها المقبري عامة قال: هكذا قرره في فتح الباري، قال: وهذا من
المعجزات الظاهرات حيث رفع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أبي هريرة النسيان الذي هو من لوازم الانسان حتى قيل أنه مشتق
منه، وحصول هذا في بسط الرداء الذي ليس للعقل فيه مجال.

مرة كان عدم النسيان فيها مختصاً بتلك المقالة، وأخرى كان عدم النسيان فيها عاماً لكل شئ من الأشياء سواءً كان حديثاً أم كان غيره مطلقاً وهذا كما ترى (١) ..

على ان مسلماً اخرجه (٢) من طريق يونس عن ابن المسيب على وجه ثالث إذ قال فيه أبو هريرة: فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به ﷺ وهذا يقتضي كون عدم النسيان اعم مما اقتضاه حديث الاعرج وأخص مما اقتضاه حديث المقبري (٣).

ونحوه حديث ابن سعد (٤) بسنده الى عمرو بن مرداس بن عبد الرحمن الجندي عن أبي هريرة قال: قال لي رسول الله ﷺ ابسط ثوبك فبسطته فحدثني النهار ثم ضمنت ثوبي إلى بطني فما نسيت شيئاً مما حدثني أهـ لكن قوله فيه: فحدثني النهار، لا يوجد في هذا الحديث إلا من هذا الطريق طريق الجندي

-
- (١) فان مثل هذا لو صدر مرة واحدة فضلاً عن مرتين او أكثر لتواتر الخبر به فاستطار استطارة البرق فما بال الصحابة اغفلوه فلم يروه منهم احد غير ابي هريرة؟
- (٢) في: ٣٥٨/٢ من صحيحه في فضائل ابي هريرة.
- (٣) اما كونه اعم من حديث الاعرج فواضح لاختصاص عدم النسيان في حديث الاعرج بتلك المقالة فقط، اما كونه اخص مما اقتضاه حديث المقبري فلأن حديث المقبري يقتضي تعميم عدم النسيان لكل شئ من حديث وغيره، وهذا الحديث - اعني حديث يونس عن الزهري عند مسلم - يقتضي تخصيص عدم النسيان بجميع الاحاديث التي سمعها من النبي دون غيرها من سائر الاشياء، وقد نص القسطلاني في: ٣٨٠/١ من ارشاد الساري على أن مسلماً رواه على وجه ثالث فراجع.
- (٤) في: ص ٥٦ من القسم الثاني من الجزء الرابع من طبقاته ترجم ابا هريرة.

فقط وبه كان مخالفاً لكل ما جاء في هذا الموضوع من سائر الطرق إلى أبي هريرة. وقد أخرج أبو يعلى من طريق أبي سلمة على وجه يخالف سائر الوجوه في سائر الطرق، إذ روى ان أبا هريرة جاء يعود النبي في شكواه فسلم عليه وهو قائم والنبي ﷺ متساند الى صدر علي ويد علي على صدر النبي يضمه اليه والنبي باسط رجله فقال ﷺ: أدن يا ابا هريرة فدنا، ثم قال: أدن يا أبا هريرة فدنا، ثم قال أدن يا أبا هريرة فدنا حتى مست اصابع أبي هريرة اصابع النبي ﷺ ثم قال له اجلس فجلس فقال له: ادن مني طرف ثوبك فمد أبو هريرة ثوبه ففتحه وادمه من النبي ﷺ فقال له النبي أوصيك يا ابا هريرة بخصال لا تدعهن ما بقيت، قال أوصيني ما شئت فقال له: عليك بالغسل يوم الجمعة والبكور اليها ولا تلغ ولا تله وأوصيك بصيام ثلاثة ايام من كل شهر فانه صوم الدهر واوصيك بركعتي الفجر لا تدعهما وان صليت الليل كله فان فيهما الرغائب قالها ثلاثاً ثم ضم اليك ثوبك فضم ثوبه الى صدره الحديث (١)...

وأخرج أبو يعلى - كما في ترجمة أبي هريرة من الاصابة - من طريق الوليد ابن جميع عن أبي هريرة قال: شكوت الى رسول الله ﷺ سوء الحفظ فقال: افتح كساءك ففتحه ثم قال: ضمه الى صدرك فضمته فما نسيت حديثاً بعد.

أخرج أبو يعلى - كما في الاصابة ايضاً - من طريق يونس بن عبيد عن الحسن البصري عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال: من يأخذ مني كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً فيصرنّ في ثوبه فيتعلمنّ ويعلمهن فيتعلمهن قال: فنشرت ثوبي بين يديه وهو يحدث ثم ضمته فأرجو ان لا أكون نسيت حديثاً مما قاله أ هـ.

(قلت): وأخرج أحمد - كما في الاصابة ايضاً - من طريق المبارك بن

(١) هذا الحديث وسائر الاحاديث التي بعده موجودة بأسرها في ترجمة ابي هريرة من الاصابة فراجع.

فضالة عن الحسن نحوه.

وأخرج أبو نعيم^(١) من طريق عبد الله بن أبي يحيى عن سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال يا ابا هريرة: ألا تسألني عن هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟ فقلت أسألك أن تعلمني مما علمك الله، قال: فترعت نمره على ظهري فبسطتها بيني وبينه حتى كأني انظر الى القمل يدب عليها فحدثني حتى استوعبت حديثه قال: اجمعها فصرها اليك فاصبحت لا اسقط حرفا مما حدثني اهـ.

ومن ألم بهذا الحديث مع جميع الطرق وجده مختلف الالفاظ والمعاني باختلاف طرقه لا تتجارى معانيه ولا ألفاظه إلى غاية، ولا تتساير في حلبة يصدم كل منها الآخر فاذا هو زاهق والحمد لله رب العالمين.

«السادس»: انه قال: فبسطت نمره ليس عليّ ثوب غيرها، فيقتضي على الظاهر ان تبدوا سواته، لكن القسطلاني وزكريا الانصاري تأولا كلامه إذ بلغا اليه في آخر المزارعة من شرحيهما فجعلاه على أنه بسط بعض النمره لئلا تنكشف عورته.

(السابع): ان هذه الحكاية في ذاتها تشبه قصص المخرفين، ولا تكاد تمتاز عن خلط الدجالين، وحاشا لله ان تمتزج بمعجزات الرسول أو يصدق بنسبتها اليه أصحاب العقول فان معجزاته ﷺ بمرت الى النهى بانوار حقيقتها وقهرت جبابرة الارض بحسن اسلوبها واعتدال طريقتهما فظلت اعناقهم لها خاضعين.

ضرب بيده ﷺ على صدر علي لما بعته قاضياً الى اليمن فقال^(٢) ألهم

(١) في ص ٢٨١ في ترجمة ابي هريرة من حلية الاولياء فراجع.

(٢) كما في ترجمة علي من الاستيعاب وغيره، وأخرجه أصحاب المسانيد بطرقهم وأسانيدهم.

اهد قلبه وسدد لسانه قال علي عليه السلام: فوالله، ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين.

ولما أنزل الله عز سلطانه (**وتعيها اذن واعية**) قال صلى الله عليه وآله وسلم (١) مخاطباً لعلي: سألت الله ان يجعلها اذنك، قال علي: فما نسيت شيئاً بعدها وما كان لي أن أنسى.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر حين اخذ الراية علي عليه السلام: اللهم اكفه الحر والبرد قال علي (٢) فما آذاني بعدها حر ولا برد، وكان بعد ذلك يخرج في الشتاء في ازار ورداء وثوبين خفيفين، وفي الصيف يخرج في القباء المحشو والثوب الثقيل اظهراً لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقاتا اليها على الدوام.

ولما شكوا جابر اليه صلى الله عليه وآله وسلم ديناً كان على أبيه انطلق معه الى بيدر تمره فمشى حوله ودعا بالبركة فيه ثم جلس عليه وحضر الغرماء فأوفاهم الذي لهم وبقي لجابر وذويه مثل ما كانوا يستغلون، وهكذا كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد بأحد خيراً دعا له، وإذا اراد به غير ذلك دعا عليه كما فعل بمعاوية إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم: لا اشبع الله له بطناً، وكما فعل مع الحكم بن أبي العاص وما عهدناه صلى الله عليه وآله وسلم يفعل شيئاً يشبه الذي حكاه أبو هريرة حاشا حكمته التي تستصبح بها البصائر الضالة، وتنكشف بها معالم الهدى، فتحل عقد الاشكال وتمزق ظلمات الغي والضلال.

(١) هذا مذكور في كشف الرمضري، وفي تفسير الثعلبي، والرازي وغيرهما فراجع.

(٢) اخرجه احمد بن حنبل في مسنده، وابن ابي شيبه البزار وابن جرير، وصححه كما في صفحة ٤٤ من الجزء الخامس من منتخب كتر العمال المطبوع في هامش مسند أحمد.

١٦ - نظرة في فضائله

تتبعنا الأسانيد فيما يرسله الناس في فضائل أبي هريرة، فلم نجد لها مصدراً في الأغلب سواه، واليك مثلاً يلمسك هذه الحقيقة:

قال صاحب الاستيعاب في أحواله: أسلم أبو هريرة عام خيبر، وشهدا مع رسول الله ﷺ ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم، راضياً بشبع بطنه، فكانت يده في يد رسول الله، وكان يدور معه حيث دار، وكان من أحفظ أصحاب رسول الله، كان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار لاشتغال المهاجرين بالتجارة، والأنصار بجوائظهم، وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه حريص على العلم والحديث، وقال له يا رسول الله أني سمعت منك حديثاً كثيراً وأنا أخشى ان أنسى؛ فقال ﷺ ابسط رداءك؛ قال: فبسطته فغرف فيه! ثم قال: ضمه فضمته فما نسيت شيئاً بعد! اهـ.

(قلت): هذه الفضائل ونحوها ليست إلا مضمين أحاديث كان أبو هريرة يحدث بها عن نفسه، ولم نجد لها مستنداً سواه، وهكذا سائر خصائصه انما أخذت عنه كما يعلمه المتتبعون.

ولنوضح هذه الجملة فنقول: أما اسلامه عام خيبر فمسلم، لثبوته من حديث غيره. وأما كونه شهدا مع رسول الله ﷺ فلم يرو إلا عنه، وأهل العلم يتأولون دعواه الحضور كما أوضحناه سابقاً. وأما لزومه لرسول الله ومواظبته عليه، رغبة في العلم؛ ورضاً بشبع بطنه وان يده كانت في يده يدور معه حيث دار، فأمر كان أبو هريرة يدعيها،

فالعهدة فيها عليه، إذ قال ^(١): قدمت المدينة ورسول الله بخبير وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين، فأقمت معه حتى مات، وأدور معه في بيوت نساته! ^(٢) وأخدمه وأغزو معه واحج؟؟ ^(٣) وكنت أعلم الناس بحديثه؟؟ وقدوا لله سقني قوم بصحته فكانوا يعرفون لزومي له فيسألوني عن حديثه: منهم عمر؛ وعثمان؛ وعلي؛ وطلحة؛ والزبير؛ إلى آخر كلامه؛ (قلت): لعل أولى الالباب يعجبون من جرأة أبي هريرة على التحديث. يمثل هذا، لمخالفته الواقع، وبعده عن الصدق، لكن من عرف الحقيقة علم انه ما كان ليحدث به على عهد الشيوخ والعلماء والعظماء منهم، وإنما اجترأ على التحديث به وبأمثاله بعد موت أكثر الصحابة وفتح الشام والعراق ومصر وأفريقيا وفارس وغيرها من الأمصار، حيث قلت الصحابة وكثر مسلموا الفتوحات الذين لا إمام لهم بشيء مما كان على عهد النبوة فكانه حينئذ وسائر الكذابة وجدوا انفسهم في عالم آخر لا يعرف شيئاً مما كان في الصدر الأول، ورأوا عالمهم الجديد يصدقهم ويتعبد بما سمعه منهم لكونهم في نظره من البقية الباقية من اصحاب رسول الله الأمانة على سننه والموكول اليهم تبليغها، وكانت السلطة الاموية بذلت في تأييدهم جهدها فتسنى لهم بهذه الاسباب كلها ان يحدثوا بما حدثوا به من الواهيات والمنكرات، وبما لا يجوز شرعاً، وبما لا يمكن عقلاً، وبكل سخافة وبكل باطل حسبما اقتضته اغراضهم أو أوجبته دعاية الظالمين الذين اتخذوا دين الله

(١) فما اخرج ابن سعد بالاسناد الى ابي هريرة كما في ترجمته من الاصابة.

(٢) ان من عرف النبي ﷺ وانفته من دخول الرجال على نساته لا يمكن ان يصدق بما ابدأ.

(٣) قوله: واحج، ظاهر في استمراره على الحج معه ﷺ مرة بعد أخرى وهذا عار عن الحقيقة فان رسول الله ما حج بعد الهجرة سوى حجة الوداع ولو قال وحججت معه لكان يمكن الوقوع.

دغلاخ وعباد الله حولاً، وما الله دولاً؛ وكانت هذه الكذابة قد اتصلت بأسباب أولئك الغاشمين فتوسلت اليهم بالطامات فأرضعوها اخلاف برهم، واولوها فوق ذلك انهم انفقوا في تأييدها قواهم الجبارة إذ كانت (ولا سيما على عهد معاوية) اداة من ادواتهم بل كانت لسان دعايتهم، وعين تحسسهم (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله).

وأني وائم الله لا ينقضي عجي من البخاري ومسلم وأحمد وأمثالهم ممن يرجعون الى عقل اصيل ورأى جميع ثم ينقادون انقياد الاكمه الابله الى ما يشاء أبو هريرة وأمثاله؛ فهل في امكانهم ان يعلموا متى سأله علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وغيرهم من أهل السوابق؛ وهل كان سؤالهم إياه في اليقظة أو في النوم أو في عالم الخيال؟ وأي حديث سألوه عنه؟ ومن روى هذا عنهم غير أبي هريرة؟ وأي رجل من أهل المعاجم والتراجم أو من غيرهم عد واحداً من هؤلاء في زمرة من روى عن أبي هريرة؟ ولو حديثاً واحداً^(١) ومتى كان هؤلاء يأهبون بحديثه؟ فانا ما عهدناه يحدث في مجالسهم وما كان ليحراً على الحديث بحضورهم؛ وكانوا يردلونه ويكذبونه كما سمعته مفصلاً. ولترجع الآن الى ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة أبي هريرة فيقول:

وأما قوله: وكان من احفظ اصحاب رسول الله ﷺ فانه مأخوذ من قول أبي هريرة في الحديث السابق وكنت اعلم الناس بحديثه.

وأما قوله: كان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار، فانه مأخوذ من حديثه الذي ذكره فيه بسط النمرة، وقد بيناه سابقاً وعلقنا عليه ما نفلت كل بجائة اليه.

(١) قد احصى الحاكم في ترجمة أبي هريرة من روى عن من الصحابة فكانوا ثمانية وعشرين رجلاً ليس فيهم علي ولا عمر ولا عثمان ولا طلحة ولا الزبير أما غيرهم من الصحابة فانما رويوا عنه أموراً تتعلق بالجنة والنار او بالاخلاق والحض على العلم دون للأحكام التكليفية.

وأما قوله: بأنه قد شهد له رسول الله ﷺ بأنه حريص على العلم والحديث فانما هو مأخوذ من قول أبي هريرة: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال ﷺ: لقد ظننت ان لا يسألني عن هذا الحديث احد اولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث (١).

ومن خصائصه التي تداولتها اقلام مترجميه المزود الذي اكل منه اكثر من مائتي وسق تمرًا! وغلامه الآبق الذي اعتقه لوجه الله! وحفظه وعاءين من العلم بث احدهما وكنتم الآخر؟ ودعاء رسول الله ﷺ له ولأمه! ومشيه على وجه الماء حتى عبر خليجاً من البحر فما ابتل!! له قدم الى غير ذلك من المضحكات المبكيات في آن واحد فانا لله وإننا اليه راجعون.

١٧ - نوادره

أخرج الامام أحمد بن حديث أبي هريرة (٢) عن محمد بن زياد قال: كان مروان - أيام ولايته على المدينة في خلافة معاوية - يستخلف أبا هريرة على المدينة فيضرب برجليه فيقول: خلوا الطريق خلوا الطريق قد جاء الأمير قد جاء الأمير - يعني نفسه. وأخرج ابن قتيبة الدينوري في ترجمة أبي هريرة من معارفه (٣) عن

(١) أخرجه البخاري في الصحيح من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة ونقله ابن حجر في ترجمة أبي هريرة من الاصابة وكان ابو هريرة يقول (كما في ترجمته من الاصابة) صحبت رسول الله ثلاث سنين لم يكن احد احرص على ان يعي الحديث عنه مني.
(٢) ص ٤٣ من الجزء الثاني من مسنده.
(٣) في ص ٩٤ منها.

أبي رافع قال: كان مروان يستحلف أبا هريرة على المدينة فيركب حماراً قد شدّ عليه برذعة وفي رأسه حلبة من ليف فيسير فيلقى الرجال فيقول: الطريق! قد جاء الأمير! (قال): وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب فلا يشعرون بشيء حتى يلقى نفسه بينهم، ويضرب برجليه الحديث (١).

وأخرج أبو نعيم (٢) بسنده إلى ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال: أقبل أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك؛ فقلت له: يكفي هذا. فقال: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه؟ اهـ. وأخرج أبو نعيم أيضاً (٣) من طريق أحمد بن حنبل عن عثمان الشحام عن فرقد السبخي، قال: كان أبو هريرة يطوف بالبيت (أعزه الله تعالى) وهو يقول: ويل لي بطني إذا اشبعته كظني، وإن أجمته سبني.

وعن ربيع الأبرار للزمخشري قال: كان أبو هريرة يقول: اللهم ارزقني ضرساً طحوناً ومعدة هضوماً (٤) ودبراً ثوراً.

وعن ربيع الأبرار أيضاً (٥) قال: وكان يعجبه - يعني أبا هريرة - المضيرة جداً فيأكلها مع معاوية وإذا حضرت الصلاة صلى خلف علي فاذا قيل له قال: مضيرة معاوية ادسم والصلاة خلف علي أفضل، فكان يقال له شيخ

(١) وأخرجه أيضاً ابن سعد بإسناد متعدد في ترجمة أبي هريرة آخر ص ٦٠ من القسم الثاني من الجزء الرابع من الطبقات.

(٢) في أحوال أبي هريرة صفحة ٣٨٢ من الجزء الأول من حلية الأولياء.

(٣) في أحوال أبي هريرة من كتابه حلية الأولياء ص ٣٨٢ من جزئه الأول.

(٤) بزنة فعول، يستوى فيها المؤنث والمذكر كرعوث، نقله عن ربيع الأبرار جماعة من الأثبات كالشيخ

القمي في أحوال أبي هريرة من كتاب الكنى والألقاب.

(٥) كما في أحوال أبي هريرة من الكنى والألقاب للمعاصر القمي.

وعن أبي عثمان النهدي ان ابا هريرة كان في سفر فلما نزلوا وضعوا السفرة وبعثوا اليه وهو يصلي، فقال: ابي صائم فلما كادوا يفرغون جاء فجعل يأكل الطعام فنظر القوم الى رسولهم فقال: ما تنظرون؟ قد والله أخبرني أنه صائم: فقال ابو هريرة صدق ابي سمعت رسول الله ﷺ يقول: صوم رمضان وصوم ثلاثة ايام من كل شهر صوم الدهر وقد صمت ثلاثة ايام من أول الشهر فانا مفطر في تخفيف الله صائم في تضعيف الله، اخرجاه ابو نعيم (٢).

واخرج البخاري (٣) عن محمد بن سيرين قال: كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان فتمخضت بهما فقال: بخ بخ أبو هريرة يتمخض في الكتان لقد رأيتني وأنى لأحمر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشياً علي فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أبي مجنون وما بي من جنون ما بي الا الجوع. ومن نوادره انه كان يلعب السدر قال ابن الأثير في مادة السدر من نهايته

-
- (١) المضيرة هي مريقة تطبخ باللبن المضير أي الحامض، ويظهر من هذه الحاكية وغيرها انه كان ممن حضر وقعة صفين، وانه كان يصانع الفتنة شأن المتلون ذي الوجهين واللسانين يريد بهذا ان لا يقطع على نفسه خط الرجعة الى الفتنة المنتصرة وقد رأينا بين سوريا والعراق على مقربة من صفين مقاما مشاداً يدعى مقام ابي هريرة وحدثني غير واحد ان ابا هريرة كان في بعض ايام صفيين يصلي في جماعة علي ويأكل في جماعة معاوية فاذا حمى الوطيس لحق الجبل فاذا سئل قال: علي اعلم ومعاوية ادسم والجبل اسلم.
- (٢) في اواخر ترجمة أبي هريرة ص ٣٨٥ من الجزء الاول من الحلية.
- (٣) ص ١٥٧ من الجزء الرابع من صحيحه في اواخر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، واخرجه ابو نعيم في ص ٣٧٩ من الجزء الاول من حليته.

ما هذا لفظه: وفي حديث بعضهم قال: رأيت أبا هريرة يلعب السدر، ثم قال: السدر لعبة يقامر بها - وتكسر سينها وتضم وهي فارسية معربة عن ثلاثة أبواب^(١) أهـ.

وفي هذه المادة من لسان العرب عين ما في النهاية وزاد عليه فقال ومنه حديث يحيى بن أبي كثير: السدر هي الشيطانة الصغرى (قال) يعني انها من أمر الشيطان انتهى بلفظه^(٢).

وذكر الدميري في مادة عقرب من حياة الحيوان لعب الشطرنج فقال: وروى الصعلوكي تجويزه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأبي اليسر وأبي هريرة ثم قال: والمروي عن أبي هريرة من اللعب به مشهور في كتب الفقه، قال: وروى الآجري عن أبي هريرة انه قال: قال رسول الله ﷺ إذا مررتم بمؤلاء الذين يلعبون بالازلام الشطرنج والترد فلا تسلموا عليهم^(٣).

-
- (١) قوله: معربة عن ثلاثة ابواب، أي ان اصلها في لغة الفرس «سه در» ومعناه عندهم ثلاثة أبواب، فاستعملها العرب وتصرفوا فيها فقالوا: سدره.
- (٢) فراجع في ص ٣٠ ج ٦ مادة س در.
- (٣) لكن الدميري ضعف اسناد هذا الحديث وكذب الصولي فيما نقله عن الامام زين العابدين من القول باباحة الشطرنج فان ائمة اهل البيت كافة يحرّمونه وكذلك مالك واحمد وابو حنيفة.

١٨ - وفاته وعقبه

كانت وفاته في قصره بالعقيق^(١) فحمل الى المدينة فكان ولد عثمان بن عفان يحملون سريره حتى بلغوا به البقيع حفظاً بما كان من رأيه في ابيهم^(٢) وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان يومئذ أميراً على المدينة وكان مروان معزولاً^(٣) وانما صلى عليه الوليد تكريماً له تقدم للصلاة عليه بعد ان صلى بالناس فريضة العصر وفي القوم ابن عمر وابو سعيد الخدري واضراهما^(٤).

وكتب الوليد إلى عمه معاوية ينعي اليه أبا هريرة فكتب اليه معاوية^(٥) انظر من ترك وادفع إلى وراثته عشرة آلاف درهم واحسن جوارهم وافعل اليهم معروفاً فانه ممن نصر عثمان وكان معه في الدار.

(١) نص على ذلك ابن حجر في ترجمة ابي هريرة من الاصابة ونقل موته بالعقيق ابن عبدالبر اذ ترجمه في الاستيعاب، واخرجه الحاكم في ترجمته من المستدرک وأرسله أهل الاخبار.

(٢) اخرج ذلك ابن سعد في ص ٦٣ من القسم الثاني من الجزء الرابع من الطبقات في ترجمة أبي هريرة ورواه أهل الأخبار.

(٣) نص على ذلك اصحاب الاستيعاب والاصابة والطبقات والمستدرک في ترجمة ابي هريرة.

(٤) نص على ذلك كل من ذكرناهم ممن ترجموا ابا هريرة.

(٥) كما في ترجمة أبي هريرة من مستدرک الحاكم وطبقات ابن سعد واصابة ابن حجر وغيرها من كتب الاخبار.

وكانت وفاته سنة سبع وخمسين، وقيل سنة ثمان وخمسين، وقيل سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

أما عقبة فأنما نعرف منه ولده المحرر ابن ابي هريرة وبنته التي كان يقول لها: قولي أبي أبي أن يحليني الذهب يخشى على حر اللهب، ونعرف لمحرر ولداً اسمه نعيم وهو الذي روى عن جده أبي هريرة انه كان له خيط فيه الفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به (١).

وروى عنه ايضاً: ان رجلاً سأل النبي ﷺ بما تأمروني ان اتجر قال ﷺ: عليك بالبز فان صاحب البز يعجبه ان يكون الناس بخير وفي جدة.

اما المحرر فقد ترجمه ابن سعد في طبقاته (٢) وذكر سلسلة نسبه المتصلة بدوس، وانه توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وأنه كان قليل الرواية (٣).

(١) وقد جاء في ص ٣٨٠ من الجزء الأول من حلية الأولياء ذكر بنت أبي هريرة التي كان لا يلبسها الذهب وفي ص ٣٨٣ ذكر نعيم بن المحرر بن أبي هريرة الذي روى عن جده التسيح بالخيط.

(٢) ص ١٨٨ من جزئها الخامس.

(٣) ان لأبي هريرة في إمارة الحج سنة تسع للهجرة حديثين متناقضين يروي عن أحدهما ولده المحرر والثاني يرويه حميد والحديثان في الصحاح وقد اوردناهما فيما سبق من الأصل وبسطنا القول فيهما فراجع الحديث ١٨ من الفصل ١١.

خاتمة الكتاب

ولنختتم إملأنا هذا بكلمتين لرسول الله ﷺ تتعلقان بابي هريرة ضربهما النبي ﷺ على غرار فذ من أغرته الحكمة في التدليل على زيغ الزائغين والتحذير منهم. الكلمة الأولى يشترك فيها أبو هريرة والرحال بن عنفوه والفرات ابن حبان؛ وذلك أنهم خرجوا ذات يوم من مجلسه الشريف، فقال ﷺ مشيراً إليهم (١): لضرس احدكم في النار أعظم من أحد، وان معه لقفا غادر أهـ. فكان ابو هريرة والفرات يقولان بعدها (٢) فما أمانا بعد هذا حتى ارتد الرحال وقتل مع مسيلمة الكذاب.

(قلت): كأهما كانا يحاولان تأويل الحديث فيجعلان المراد منه واحداً منهم بعينه وهو الرحال بقرينة التحاقه بعد النبي ﷺ بمسيلمة وقتله مرتداً. وهذا تضليل عن الحقيقة المتبادرة من الحديث عند اطلاقه، فانه على حد قوله تعالى: (يود احدكم ان تكون له جنة) (يود أحدهم لو يعمر الف سنة) (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً) (وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) الى كثير من امثال ذلك في الكتاب والسنة، وكلام

(١) فيما أخرجه سيف بن عمر في الفتوح من طريق احمد بن فرات بن حبان ونقله في ترجمة فرات صاحب الاستيعاب والاصابة وغير واحد.

(٢) فيما نقله عنهما صاحب الاستيعاب والاصابة في ترجمة الفرات ورواه غير واحد من حفظة الآثار.

العرب تقول في المدح: كف احدهم تمطر ذهباً؛ وقلب احدهم يفيض حناناً، وفي الذم: وجه أحدهم عنوان الوقاحة؛ وقلب أحدهم أقسى من الصلد، فلا ترتد واحداً منهم بعينه وإنما تريد الجميع؛ وهذا هو المراد من الحديث وهو المتبادر منه إلى الأذهان. ولو أراد ﷺ واحداً منهم بعينه لأبانه بقريظة تعينه. فان تأخير البيان في مثل هذا المقام مما لا يجوز على الأنبياء لقبحه عقلاً بسبب استلزامه ظلم البريئين منهم، لأنه متى علم ان أحدهم من أهل النار وانه غدار؛ ولم يعرف بعينه تفصيلاً سقط الثلاثة عن درجة الاعتبار، إذ لا يركن بعدها اليهم، ولا يعتمد عليهم، ولا يؤبه بما يقولون في اصول أو فروع ولا يحتج بحديثهم، ولا تقبل لهم شهادة في مرافعة او غيرها، ولا يولون امراً من أمور المسلمين، ولا يوكل اليهم شأن تشترط الوثاقة فيمن يوكل اليه؛ فيحرمون بأجمعهم من الحقوق المدنية في الاسلام، ويجب على الامة اجتنابهم في كل شيء تشترط فيه العدالة نزولاً على حكم القاعدة العقلية في الشبهة المحصورة مع العلم الاجمالي كما هو مقرر في محله من الأصول.

وحسبك بهذا سقوطاً لكل من الثلاثة على السواء.

وإذا كان احدهم بعينه هو الجهنمي الغادر المستوجب للحرمان فما ذنب الآخرين؟ أيجوز على سيد الحكماء، وخاتم الأنبياء أن يسقط بريئين فيجعلهما طيلة حياتهما بحكم الغدار من أهل النار؟ ثم يلقي الله تعالى عن غير بيان حاشا لله وما الذي منعه ان يقول مشيراً اليه نفسه؛ لضرس هذا في النار أعظم من احد لو لم يكونوا جميعاً في الأمر على السواء.

(فان قلت). لعله ﷺ عين الرحال حينئذ بقريظة لفظية أو حالية كالإيماء اليه

بالخصوص مثلاً ثم خفيت علينا.

(قلنا): لو كان ثمة قريظة ما خفيت على أبي هريرة وقرات، وقد

استفرغا الوسع فلم يتشبثا بشيء سوى ردة الرحال وحينئذ سجدوا لله شكرا وكانا بعد ذلك يقولان: فما أمانا بعد قول النبي ﷺ ما قال حتى صنع الرحال ما صنع (١).
على انه لا فرق في هذه المشكلة بين عدم البيان وخفائه بعد صدوره لاتحاد النتيجة فيهما، إذ لا مندوحة لنا - على كلا الفرضين - عن العمل بما يقتضيه العلم الاجمالي في الشبهة المحصورة كما لا يخفى.

(فان قلت): إنما كان المنصوص عليه بهذا الدم مجملا قبل التحاق الرحال بمسيلمة وموته مرتداً وبمجرد صنعه ما صنع تعييناًه هو للراد دون صاحبيه، وحينئذ لا اجمال ولا اشكال.
(قلنا): أولاً ان المتبادر من قوله ﷺ: لضرر احدكم في النار انما هو الجميع على حد المتبادر من قوله تعالى (**واذا بشر احدكم بالانتى**) واذن فلا اجمالاً في المنصوص عليه بالدم هنا ولا أثر لردة الرحال للعلم بسوء حاله وحال صاحبيه منذ باؤوا بالضرر والقفا.

(وثانياً): الأنبياء عليهم السلام كما يتمتع عليهم ترك البيان مع الحاجة اليه يستحيل عليهم تأخيرهم عن وقت الحاجة، ولعلك تعلم أن وقت الحاجة هنا متصل بصدور هذه الكلمة في حقهم من رسول الله ﷺ (لو كان لأحدكم شيء من الاعتبار) لأنهم منذ اسلموا كانوا محل الابتلاء في حديثهم وشهادتهم والائتمام بهم، والوصاية اليهم، والتولية لهم؛ وما الى ذلك من حقوق المدنية (في الدين) فلو لا وجوب اقصائهم عنها لما ترك ﷺ البيان حتى لحق بالرفيق الأعلى، وما كان ليتكل في ذلك على ما صنع الرحال من الردة بعد وفاته.
(وثالثاً): ان الفرات بن حيان كان جاسوساً للمشركين، وعيناً لأبي

(١) سجودهما حينئذ لله شكراً وقولهما فما أمانا ثابتان عنهما ومذكوران في ترجمة فرات من الاستيعاب والاصابة وغيرهما.

في دين الاسلام لاقتضاء العلم الاجمالي ذلك بحكم القاعدة العقلية في الشبهات المحصورة، فلولا انهم في وجوب الاقضاء على السواء لاستحال عليه - وهو سيد الحكماء - عدم البيان في مثل هذا المقام.

فان قلت: لعله بين هذا الاجمال بقرينة خفيت علينا بتطاول المدة.

(قلنا): لو كان ثمة قرينة ما كان كل من هؤلاء في الوجمل من هذا الانذار على السواء

(١).

على انك قد عرفت مما سبق انه لا فرق في هذه المشكلة بين عدم البيان واختفائه بعد صدوره لاتحاد النتيجة فيهما بالنسبة اليها اذا لا مندوحة لنا عن العمل بما يقتضيه العلم الاجمالي من تنجيز التكليف في الشبهة المحصورة على كلا الفرضين كما بيناه آنفاً.

(فان قلت): انما كان المنصوص عليه بالنار مجملاً قبل موت الاول والثاني منهم ويسبقهما الى الموت تبين وتعين انه انما هو الباقي بعدهما بعينه دون سابقيه، وحيث لا اجمال ولا اشكال.

(قلنا) اولاً علمت مما ذكرناه آنفاً ان الأنبياء ﷺ كما يمتنع عليهم ترك البيان مع الحاجة اليه يستحيل عليهم تأخيرهم عن وقت الحاجة، وعلمت أيضاً أن وقت الحاجة هنا متصل بصدور هذا الانذار لو كان لأحد الثلاثة شيء من الاعتبار، لانهم منذ اسلموا كانوا محل ابتلاء المسلمين في الحقوق المدنية الدينية كما بيناه آنفاً فلولا وجوب اقصائهم عنها لما أحر البيان اتكالا على صروف الزمان، وحاشا رسول الله ﷺ أن يقصى أحداً عن حقه طرفة عين، ومعاذ الله ان يجزي من لا يستحق الخزي ثم يقيه على خزيه حتى يموت مخزياً إذ لا تعرف براءته - بناء على هذا الفرض الفاسد - إلا بموته.

(١) كما يعلمه متتبعوا شونهم حول هذا الوعيد.

(وثانياً): إنا - شهد الله - بذلنا الطاقة بحثاً وتقياً، فلم يكن في الوسع أن نعلم ايهم المتأخر موتاً لأن الأقوال في تاريخ وفياتهم بين متناقض متساقط^(١) وبين مجمل متشابه لا يركن اليها كما يعلمه متتبعوها.

(وثالثاً): لم يكن من خلق رسول الله ﷺ وهو «العزير عليه عنت المؤمنين الحريص عليهم الرؤوف بهم الرحيم لهم» أن يجابه بهذا القول - آخركم موتاً من النار - من يجترمه وما كان (**وانه لعلی خلق عظیم**) ليفاجئ به (أو بقوله: لضرس احدكم في النار) غير مستحقه، ولو أن في واحد من هؤلاء الثلاثة (أو من أولئك) خيراً ما أشركه في هذه المفاجأة القاسية والمجاهمة الغليظة، لكن اضطره الوحي الى ذلك نصحاً لله تعالى وللأمة (وما ينطق عن الهوى).

على أن أحوال هؤلاء الثلاثة كلها قرائن قطعية على ما قلناه حول انذارهم هذا كما ان احوال اولئك أدلة ما قلناه فيهم.

وحسبك من أبي هريرة ما تبوأه من مقعده، ويكفيك من سمرة اسرافه الفظيع في دماء المسلمين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة^(٢) وبيعه الخمر

(١) أما تناقضها فلأن بعضها نص بموت سمرة سنة ثمان وخمسين وموت أبي هريرة سنة تسع وخمسين وهذا منقوض بالقول بأن موت أبي هريرة كان سنة سبع وخمسين، وهكذا بقية الأقوال في موت الثلاثة وأما الجمل المتشابه منها فكالقول بموت الثلاثة كلهم في سنة تسع وخمسين من غير بيان اليوم والشهر الذي وقع فيه الموت.

(٢) نُحْيَلِكُ فِي تَفْصِيلِ ذَلِكَ عَلَى ص ٣٦٣ مِنَ الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ مِنْ شَرْحِ النَّهْجِ الْحَمِيدِيِّ وَمَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ مِنْهَا فِي أَحْدَاثِ سَنَةِ خَمْسِينَ مِنْ تَأْرِيخِهِ الشَّهْرِ وَمَا ذَكَرْنَاهُ نَحْنُ مِنْهَا فِي الْفَصْلِ ٨ مِنْ فِصُولِنَا الْمَهْمَةِ.

علانية^(١) ومضارته للأنصاري؛ وتمرده على ما دعاه النبي ﷺ يومئذ إليه من الصلح وزهده في الجنة على وجه يستفاد منه عدم إيمانه^(٢) وشجه راس ناقة النبي^(٣) استخفافاً وامتهاناً إلى غير ذلك من بوائقه.

وناهيك من أبي محذورة أنه من الطلقاء وللمؤلفة قلوبهم، دخل في الإسلام بعد فتح مكة، وبعد ان قفل رسول الله ﷺ من حنين منتصراً على هوازن، ولم يكن شيء أكره إلى أبي محذورة يومئذ من رسول الله ﷺ ولا مما يأمره به، وكان يسخر بمؤذن رسول الله ﷺ فيحكيه رافعاً صوته استهزاء لكن صرة الفضة التي اختصه بها رسول الله ﷺ وغنائم حنين التي اسبغها على الطلقاء من أعدائه ومحاربيه وأخلاقه العظيمة التي وسعت كل من اعتصم بآول لشهادتين من أولئك المنافقين مع شدة وطأته على من لم يعتصم بها ودخل العرب في دين الله أفواجاً، كل ذلك ألجأ أبا محذورة وأمثاله إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ولم يهاجر حتى مات في مكة^(٤) والله يعلم بواطنه.

(١) فيما أخرجه الإمام أحمد من حديث عمر بن الخطاب في ص ٢٥ من الجزء الأول من مسنده.

(٢) كما في كتاب التجارة من الكافي في باب الضرر وفي الفقيه أنه خالف رسول الله ﷺ ولم يرض بنخلة في الجنة في قضية أوردتها ابن أبي الحديد في ص ٣٦٣ من المجلد الأول من شرح النهج حيث ذكر سمرة وفظائعه.

(٣) كما في روضة الكافي.

(٤) كلما نقلناه هنا عن أبي محذورة موجود في ترجمته من الإصابة وهو مما لا خلاف فيه. تمت التعليقة بتمام الاصل بقلم مؤلفهما الاقل عبدالحسين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

بقيت كلمة لابن عبد البر حول هذا الانذار إذ قال في ترجمة سمرة من الاستيعاب:
وكانت وفاته بالبصرة في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين سقط في قدر مملوءة ماء حاراً
كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد اصابه فسقط في القدر الحارة فمات «قال»:
كان ذلك تصديقاً لقول رسول الله ﷺ له ولأبي هريرة ولثالث معهما: آخركم موتاً
في النار اهـ.

(قلت): هذا تأويل غريب لا يدل على اللفظ ولا يفهمه منه احد والثلاثة المخاطبون به
لم يرتابوا في مفاده المتبادر منه، ولذا كان كل منهم يتمنى سبق صاحبيه الى الموت كما هو
ثابت عنهم، على ان تأخر سمرة في الموت عن صاحبيه كليهما غير معلوم، ولا سيما على
ما حزم به ابن عبد البر من موته سنة ثمان وخمسين، لأن أبا هريرة قد مات في قول
الواقدي وابن نمير وابن عبيد وابن الأثير وابن جرير وغيرهم سنة تسع وخمسين وفيها مات
ابو محذورة، وقيل: بل مات أبو محذورة سنة تسع وسبعين، ونص ابن الكلبي على ان أبا
محذورة مات بعد موت سمرة، فتأويل ابن عبد البر لهذه الكلمة - آخركم موتاً في النار -
مما لا يصغى اليه.

وهذا آخر ما اردناه من تمحيص السنة المقدسة وتزيهها عن الدخل الشائن لجوهر
الاسلام وروحه الرفيعة؛ والحمد لله على التوفيق لذلك واليه نبتهل في أن ينفع به المؤمنين،
ويجعله ذخيرة ليوم الدين، وصلى الله على سيد النبيين وخاتم المرسلين؛ وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه الهداة الميامين.

وكان الفراغ منه في مدينة صور يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر رمضان
المبارك سنة ١٣٦٢ هـ الموافق ٢٣ أيلول سنة ١٩٤٣ م بقلم مؤلفه اضعف المؤمنين
عملا واقواهم بعفو الله أملا عبدالحسين بن الشريف يوسف ابن الشريف جواد بن
الشريف إسماعيل بن محمد بن محمد بن شرف الدين واسمه إبراهيم بن زين العابدين بن
علي نور الدين بن نور الدين علي بن عز الدين

الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن ابن محمد ولقبه شمس الدين بن عبدالله ولقبه جلال الدين بن احمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن أبي السعادات محمد بن أبي محمد عبدالله نقيب النقباء الطالبين في بغداد ابن أبي الحرث محمد بن أبي الحسن علي المعروف بابن الديلمية ابن أبي طاهر عبدالله بن أبي الحسن محمد المحدث بن أبي الطيب طاهر بن الحسين القطعي بن موسى أبي سبحة بن ابراهيم المرتضى بن الامام الكاظم بن الإمام الصادق بن الامام الباقر بن الامام زين العابدين بن الامام ابي عبدالله الحسين سيد الشهداء، وخامس أصحاب الكساء، وسيط خاتم النبيين والمرسلين، وابن أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، علي بن أبي طالب، صلى الله على رسوله وعليهم أجمعين...

«تم طبع الكتاب في يوم ٢ / ٤ / ١٩٦٥ م»

الفهرست

أبو هريرة.....	١٧
١ - إسمه ونسبه	١٨
٢ - نشأته وإسلامه وصحته	٢٠
٣ - على عهد النبي ﷺ	٢١
٤ - على عهد الخليفتين	٢٦
٥ - على عهد عثمان	٢٨
٦ - على عهد علي	٣٠
٧ - على عهد معاوية	٣٤
٨ - أيادي بني امية عليه	٣٨
٩ - تطوره في شكر أياديهم	٤١
١٠ - كمية حديثه	٤٥
١١ - كيفية حديثه	٥٤
١ - خلق الله آدم على صورته	٥٤
تنبيهان	٥٧
٢ - رؤية الله يوم القيامة بالعين الباصرة في صور مختلفة	٥٨
كلمة في الرؤية	٦١
٣ - لا تمتلئ النار حتى يضع الله تعالى رجله فيها	٦٢
٤ - نزول ربه كل ليلة إلى سماء الدنيا تعالى الله	٦٣
٥ - نقض سليمان حكم أبيه داود	٦٤
تنبيه	٦٧
٦ - طواف سليمان بمائة امرأة في ليلة	٦٩
٧ - لطم موسى عين ملك الموت	٧٠
٨ - فرار الحجر بتياب موسى وعدو موسى خلفه ونظر بني اسرائيل اليه مكشوفاً	٧٣

- ٩ - فزع الناس يوم القيامة الى آدم فنوح فابراهيم فموسى فيعيسى رجاء
شفاعتهم فاذا هم في أمرهم ملبسون ٧٥
- ١٠ - شك الانبياء والتنديد بلوط وتفضيل يوسف على رسول الله ﷺ
بصره ٧٩
- ١١ - جراد الذهب المتساقط على أيوب وهو يغتسل ومعاتبة الله إياه على
ماحشاه في ثوبه ٨٤
- ١٢ - التنديد بموسى اذ قرصته نملة فاحرق قرينتها!!! ٨٥
- ١٣ - سهو النبي عن ركعتين ٨٦
- ١٤ - كان النبي يؤذي ويجلد ويسب ويلعن من لا يستحق!! ٩١
- ١٥ - عروض الشيطان لرسول الله وهو في الصلاة ٩٩
- ١٦ - نوم النبي عن صلاة الصبح!! ١٠٨
- ١٧ - بقرة وذئب يتكلمان بلسان عربي مبين ١١٥
- ١٨ - تأمير ابي بكر على الحج سنة تسع ونداء أبي هريرة ببراءة سنئذ ١١٦
- ١٩ - الملائكة تكلم عمر ١٣٥
- ٢٠ - تركة النبي صدقة ١٣٧
- ٢١ - أبو طالب أبي الشهادتين ١٤٥
- ٢٢ - الانذار يوم الدار ١٤٧
- ٢٣ - لعب الحبشة في المسجد عند النبي ﷺ ١٤٩
- ٢٤ - النسخ قبل حضور وقت العمل ١٤٩
- ٢٥ - ايقاع الفعل في وقت لا يسعه ١٥٠
- ٢٦ - امة مسخت فأراً ١٥١
- ٢٧ - المكروه عليه فاعتذر بسماعه من الفضل ١٥٢
- ٢٨ - حديثان متناقضان ١٥٣
- ٢٩ - مولودان يتكلمان بالمغيبات ١٥٤

- ٣٠ - توكيله بحفظ زكاة الفطرة ومجئ الشيطان في ثلاث ليالي ليسرق منها
١٥٥.....
- ٣١ - اسلام امه بدعاء النبي، ودعاؤه ﷺ بأن يجيبهما إلى المؤمنين ويجب
المؤمنين اليهما..... ١٥٧
- ٣٢ - غلام أبي هريرة في هجرته !!!..... ١٦١
- ٣٣ - قصة خيالية ترمي الى حسن عواقب الصدقة..... ١٦٢
- ٣٤ - خيالية اخرى ترمي الى حسن عواقب الوفاء بالشرط..... ١٦٣
- ٣٥ - خيالية ثالثة ترمي الى عواقب شكر النعم وعواقب كفرها..... ١٦٤
- ٣٦ - خيالية رابعة ترمي الى سوء عاقبة الظلم..... ١٦٦
- ٣٧ - خيالية خامسة ترمي الى حسن عواقب الرحمة..... ١٦٦
- ٣٨ - رواية خيالية هدفها هدف سابقتها..... ١٦٧
- ٣٩ - مسرف كافر غفر له..... ١٦٧
- ٤٠ - مذنب يتوب إلى الله ثم يؤوب الى ذنوبه يكرر ذلك فيقول الله له: إعمل
ماشئت فقد غفرت لك..... ١٦٩
- ١٢ - مسنده في حكم المرسل..... ١٧٤
- ١٣ - دعواه الحضور في وقائع لم يحضرها..... ١٧٧
- ١٤ - انكار السلف عليه..... ١٨٢

١٩٢.....	١٤ - سبوح لها منها عليها شواهد
١٩٣.....	١٥ - إحتجانه على متهميه
٢٠٣.....	١٦ - نظرة في فضائله
٢٠٦.....	١٧ - نوادره
٢١٠.....	١٨ - وفاته وعقبه
٢١٢.....	خاتمة الكتاب